المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

كلية الشريعة

قسم الفقه

مقرر

تفسير جزء تبارك

تأليف

المحاضر/ إبراهيم بن محمد السلطان

عضو هيئة التدريس بكلية الملك فهد البحرية بالجبيل

الشيخ/ طلال بن عيسى الفضيخ

عضو هيئة التدريس بكلية الملك فهد البحرية بالجبيل (سابقا)

د. ظاهر بن فخري الظاهر

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المقدمة:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين،،،

والصلاة والسلام على خاتم النبيين المبعوث رحمة للعالمين،،،

أما بعد:

فقد أكرمنا الله ﷻ بإنزال القرآن الكريم بلسان عربي مبين. ويسره للذكر والفهم. وحثنا على تدبره والتفكر فيه. فقال عز من قائل حكيم :(**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**) [ص:٢٩]، وقال ﷻ معاتبا: (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**) [محمد:٢٤].

وقد تميز الجزءان الأخيران من المصحف الشريف بالتركيز على أصول الدين، حيث أن سورهما غالباً مكية النزول –نزلت قبل الهجرة– فبها بدأ إعداد الجيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ؛ لهذا، ولكثرة قراءتهما وسماعهما من قِبل المصلين، كانت الأهمية والحاجة لدراستهما وتدبرهما. وهذا المقرر خاص بتفسير السور الست الأولى من جزء الملك .

وقد رُوعيَ في ذلك الاقتصار على أرجح المعاني، والتفصيل في عجائب التعبيرات اللفظية، والترسيخ للمبادئ التربوية التي تفيدها الآيات؛ إظهاراً لعظمة كلام الله ﷻ، ودعوة إلى العمل به، لننال عز الدنيا وسعادة الآخرة.

هذا والله نسأل حسن الفهم لكتابه، وحسن العمل به.

د. ظاهر بن فخري الظاهر

كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية (المدينة المنورة)

صفحة الموجز ١-١-١

سورة الملك

أ . المقدمة:

سورة الملك سورة مكية تُعنى بتأسيس العقيدة الإسلامية، بدأت بتمجيد الله ﷻ، وتفرده ﷻ بالملك والسلطان، وبيّنت هدفه من الخلق، ثم عرضت لكثير من مخلوقاته ونعمه العظيمة، بدءاً بالسماء، وانتهاء بالماء، وفيها ذكر لكثير من أمور الغيب: كالشياطين، والملائكة، والنار، والبعث . فهي دعوة إلى توحيد الله تعالى وتعظيمه وخشيته ومراقبته والتوكل عليه .

ب- الأهداف المؤهلة:

١. قراءة الطالب للسورة بطريقة صحيحة، ليتم حفظها بعد ذلك.

٢. التعرف على معاني ألفاظ السورة.

٣. التعرف على عظمة الله في مخلوقاته.

٤. التذكير بنعم الله العظيمة علينا.

٥. التعرف على شدة عذاب النار.

٦. التخويف من عقوبات الله الكونية.

ج- المواضيع بإيجاز:

١- فضل السورة، ومناسبتها لما قبلها، وميزاتها.

٢- معاني ألفاظ السورة.

٣- فوائد من السورة.

سورة المُلك

أ) فضل السورة:

(١) قال رسول الله ﷺ: (إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غفر له :(**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**)) [رواه أحمد وأصحاب السنن].

(٢) وقال رسول الله ﷺ: (**تبارك هي المانعة من عذاب القبر**) [رواه النسائي والحاكم].

ب) مناسبة السورة للتي قبلها:

قررت سورة التحريم أن التحريم والتحليل لله وحده، وأن الهداية والإضلال بيده ﷻ؛ ولذا لم يهد امرأة نوح عليه السلام وامرأة لوط عليه السلام، ولكن هدى امرأة الطاغي فرعون، **فتبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير**، وبهذا جاء مطلع سورة الملك.

ج) ميزاتها :

(١) **تمجيد الله** ﷻ وإظهار عظمته وجزيل نعمه وتقرير وحدانيته، فلا مثيل لها في تعليق القلب بالله ﷻ، وفي تخليص القلب من شوائب الشرك ودوافع المعصية.

(٢) **ذكر مظاهر كونية كثيرة** للتفكر فيها، من إحياء وإماتة، وسماء قوية جميلة، وكواكب مضيئة، وشهب حارقة، وأرض مذللة مليئة بالأرزاق والمياه، وزلازل وخسوف وأعاصير، وطير سابحة في الفضاء، وخلق بشري عجيب في إنشائه وفي خصائصه من سمع وبصر وعقل.

(٣) **التذكير بالآخرة وأحداثها الجسام**؛ كالنار وعذابها المهول وخزنتها الأشداء وحوارهم مع الكفار. وما في الآخرة من نعيم الجنان الكبير ومغفرة الله ﷻ للمؤمنين، وما يسبق ذلك من بعث ونشر وحشر في يوم لا يعلم موعده إلا الله ﷻ وحده.

(٤) **الاستفهامات الكثيرة والمناقشات العقلية والأسلوب الحواري المقنع**: (هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ)، (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ)، (أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ)، (أَوَلَمْ يَرَوْا)، (أَمَّنْ هَذَا)، (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ)، (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ)، (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا).

(٥) **الترهيب** غالب على جو السورة ، فتسمع فيها الرَّجم، والسَّعير، والخسف، والحاصب، والإهلاك، وتغوير المياه، وبخاصة حين ذكرت النار . أعاذنا الله ﷻ منها . فبالغت في وصفها.

الآيات: ١. ١١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ وَلِلَّذِينَ ۝٥ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾

أ) تقديم:

مطلع جميل للسورة حيث يدأت بمدح الله تعالى وتمجيده بثلاثة أمور: كثرة البركة، عظمة الملك، تمام القدرة. وكل ما يأتي في السورة هو تقرير لهذه المعاني الثلاثة حيث ستذكر لنا نعماً لله كثيرة، كما ستذكر مخلوقات عظيمة، وتدبيرات ربانية عجيبة ، بدأتها بالإماتة والإحياء، وختمتها بتغوير المياه وإعادتها.

وفيها ذكر الله ﷻ سوء مصير الشياطين، فناسب أن يذكر مصير أتباعهم من الكافرين، في وصف مهول للنار وحوار مثير بين أصحاب النار وبين خزنتها من الملائكة.

ب) المعاني:

١. (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وهو على كل شئ قدير): أي تكاثر خير الله ﷻ وعم إحسانه جميع خلقه، المالك للأشياء كلها ذو السلطة المطلقة عليها، وهو ذو القدرة التامة على كل شيء لا يُعجزه شيء أبدا.

٢. (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور): أي هو الذي أوجد ظاهرة الموت والحياة . يموت أناس ويولد آخرون . ليختبركم فيظهر أيكم أحسن عملا، بموافقة شرعه وإخلاص النية له، وهو ﷻ الغالب القاهر الأعلى الذي لا يُعجزه شيء ولا يرتفع عليه، وهو عظيم المغفرة لمن تاب من عباده.

٣-٤. (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ . ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ): أي الذي خلق سبع سماوات، بعضها فوق بعض كل واحدة كالقبة للتي تحتها متساوية ومتوافقة ما ترى في خلق الرحمن أيها الناظر أي تنافر أو عيب، فأعد النظر إلى السماء هل ترى فيها أدنى شقوق؟، ثم كرر النظر مرة بعد مرة، يرجع إليك البصر ذليلا أمام عظمتها وقوتها، كليلا قاصرا عن أن يدركها ويحيط بها.

٥. (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ): أي ولقد زينا السماء القريبة من الأرض بنجوم مضيئة، وجعلنا هذه النجوم راجمة بالشهب للشياطين عند استراقهم السمع من السماء، وفوق ذلك أعددنا لهم عذاب النار الموقدة المؤلمة في الآخرة.

٦. (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم، وبئس المصير): أي وأن للكافرين بالله ﷻ خالقهم عذاب جهنم، وساء المرجع لهم جهنم.

٧-٨. (إذا أُلْقُوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور . تكاد تميّز من الغيظ): أي إذا طُرح هؤلاء الكافرون في جهنم سمعوا لها صوتا شديدا عند التهامها لهم كالمتلهف عليهم، وهي تغلي غليانا شديدا تكاد تتمزق من شدة غضبها على الكفار.

٨-٩. (كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير. قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزّل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير): أي كلما طُرح فيها جماعة من الكفار، سألهم الملائكة الموكلون بأمرها توبيخا لهم: ألم يأتكم في الدنيا رسول يحذركم هذا العذاب الذي أنتم فيه ؟!، فيجيبهم أهل النار قائلين: بلى قد جاءنا رسول من الله، فكذبناه وقلنا له ما نزَّل الله على أحد من البشر شيئا، ما أنتم أيها الرسل إلا في تَيَهان كبير عن الحق.

١٠-١١. (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا في أصحاب السعير. فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير): أي وقال هؤلاء المعذبون تحسرا ولوما لأنفسهم: لو كنا نسمعُ كلام الله ونُصح الناصحين، أو نفكر فيما نشاهد من الحوادث والآيات لاهتدينا وما صرنا في عداد أهل النار. فاعترفوا بجرمهم الذي استحقوا به النار، فبُعداً لهم من رحمة الله ﷻ.

ج) الفوائد:

(١) محبة الله ﷻ للمدح، وهو ﷻ أحق من مُدح وأعظم من ذُكر، وهذا ظاهر في مدح نفسه في هذه السورة.

(٢) إثبات صفة اليد لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته، وقد دلت الآيات والأحاديث أن لله ﷻ يدين وله أصابع: **(بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ)** [المائدة:٦٤]، **(وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون)** [الزمر:٦٧].

(٣) توحيد الله ﷻ بالعبادة والطاعة؛ لأنه الذي بيده وحده ملكوت كل شيء، وهو صاحب الأمر والسلطة المطلقة في الكون، فلا طاعة لأحد في معصيته.

(٤) الاستعانة بالله ﷻ ودعائه والتوكل عليه، ثقة بقدرته التامة في جلب النفع وكشف الضر مهما كان.

(٥) من الآيات الربانية العجيبة التي ينبغي التَّفكر فيها: (الإماتة و الإحياء)، والتي تشمل عوالم أخرى غير الإنسان؛ كالحيوان والنبات وعالم الجن والملائكة. ومناطها في الإنسان بالروح وجودا وعدما.

(٦) الهدف من الوجود؛ إقامة العبودية لله ﷻ :(**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)** قيل: أحسن العمل أصوبه وأخلصه لله.

(٧) التنافس في الخيرات والمسابقة إلى الطاعات: **(أَيُّكُمْ)**.

(٨) إتقان الأعمال وحسن أدائها ولذا طلب الله ﷻ هنا أحسن العمل، وأثنى على نفسه بإتقان العمل: **(مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ)**، **(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)** [النمل:٨٨]، وقال تعالى: **(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ)** [الحج:٧٨]، وقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)** [آل عمران:١٠٢]. وأوصى رسول الله ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال: (لا تدعنَّ دُبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك)، وقال ﷺ: (إن الله يُحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) [السلسلة الصحيحة].

(٩) التوسط والجمع بين الخوف من عقاب الله ﷻ والرجاء في رحمته، مع تقديم جانب الخوف؛ ولذا وصف الله ﷻ نفسه بالوصفين: (**الْعَزِيزُ**) ثم (**الْغَفُورُ**)، فإذا تذكر عزة الله ﷻ تجنب معصيته، فإن وقع في المعصية تذكر مغفرة الله ﷻ فتاب واستغفر.

(١٠) السماوات سبع، بعضها فوق بعض، في كل سماء ساكنوها من الملائكة وأرواح الأنبياء والصالحين، كما في حديث الإسراء والمعراج.

(١١) قوة بناء السماوات، فرغم اتساعها وضخامتها لا تجد فيها أدنى شق: (**أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ**) [ق:٦].

(١٢) التَّفكُّر في الكون لتذكر عظمة الله ﷻ ورحمته، ومن ذلك التَّفكُّر في السماء وعظيم خلقها الذي وسِع أكبر الكواكب بمجراتها، حتى كأنها ذرات متناثرة في سقف سرادق عظيم؛ ولذا دعا ﷻ هنا إلى تكرار النظر والتفكر في السماء أربع مرات.

(١٣) من أفضل وسائل وأساليب الدعوة والتربية؛ الحوار والسؤال والتحدي لإثارة التفكير وجلب الانتباه وتحقيق الإقتناع؛ وسورة الملك متميزة في هذا الجانب: (**فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ**)، (**أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء**)، (**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ**).

(١٤) التفكر في الآية العظيمة: (**الكواكب**)، وهي كثيرة جدا تقدر بملايين المجرَّات، وفي كل مجرة ملايين الكواكب؛ والعجيب هو دقة سيرها في أفلاكها منذ خلقها الله تعالى. **أما الشُّهُب** فهي من أعجب الظواهر الكونية سرعة والتهابا: (**وَالسَّمَاء وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ**) [الطارق:١-٣].

(١٥) الحث على التجمل والتزين؛ لأن الله ﷻ يُحب ذلك، ولذا زين السماء بالنجوم: (**وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ**) [الحجر:١٦]، وقال رسول الله ﷺ: (إن الله جميل يُحب الجمال)، حثا لأصحابه ﷺ على التجمل في الثياب والنعال وغيرها.

(١٦) فضل الله ﷻ ورحمته وحفظه لدين الناس من شر الشياطين وأعوانهم من السحرة والكهان؛ ولذا جعل النجوم رُجوما لمسترقي السمع من الشياطين، ولولا ذلك لكان السحرة والكهان فوق ما هم عليه الآن، ولأوهموا الناس في معيشتهم وأفسدوا عليهم علاقاتهم.

(١٧) الأولويات في الأمور والأهداف، فالحرص على قوة المبنى قبل الحرص على جماله، هكذا رتب الله ﷻ ذلك في شأن السماء، والأولويات في حياة الإنسان تشمل الدراسة والتجارة وغيرها.

(١٨) النار معدة موجودة الآن؛ ولذا قال ﷻ هنا: (**وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**)، وقال ﷻ عن عذاب آل فرعون: (**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**) [غافر:٤٦].

(١٩) اتفاق الرُّسل والرِّسالات في الإيمان باليوم الآخر وإنذار أقوامهم وتحذيرهم من عذابه: (**كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى**).

(٢٠) تعدد أسماء النار: (جَهَنَّمَ) يشعر بأنها سوداء مظلمة عميقة. و(السَّعِيرِ) يدل أنها شديدة الحرارة. وهي كذلك حتى لو سُيِّرت فيها جبال الدنيا لذابت من حرها، وما نار الدنيا إلا جزء من سبعين جزءا من حرها.

(٢١) النار تَشعر بالكفار وتبغضهم، حتى تكاد من حنقها عليهم وغضبها من كفرهم بالله ﷻ تتقطع أجزاءا، ويقول الله تعالى: (**إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا**) [الفرقان:١٢]، ويقول تعالى: (**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ**) [ق:٣٠].

(٢٢) تنويع عذاب أهل النار البدني والنفسي؛ من الإهانة، والإرعاب، والتقليب في النار، والحنق عليهم، والتقريع لهم، ولومهم أنفسهم، والتيئيس لهم من رحمة الله ﷻ.

(٢٣) الإيمان بالملائكة (الزبانية)، قال تعالى: (**عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**) [التحريم:٦]، وفي سورة المدثر أنهم تسعة عشر ملكا: (**عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ . وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً**) [المدثر:٣٠.٣١]، وكبيرهم مالك عليه السلام: (**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ**) [الزخرف:٧٧].

(٢٤) عدل الله ﷻ، فلا يعذِّب أحدا حتى يبلغه الدِّين ويُقيم عليه الحُجَّة، ومن لم تبلغه الرسالة والنذر في الدنيا، يُرسل الله ﷻ إليه في القيامة رسولا يدعوه، فإن أطاعه نجا، وإن عصاه هلك: (**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**) [الإسراء:١٥]. وهذا هو قول أهل السنة والجماعة، مستدلين بما ثبت في الحديث الذي [رواه الإمام أحمد والبيهقي عن الأسود بن سَريع وأبي هريرة مرفوعاً: أن الأصم والهرم والأحمق ومن مات قبل الرسالة يحتجون يوم القيامة، فيأخذ الله ﷻ عليهم المواثيق أن يطيعوه فيما سيأمرهم به، فيرسل إليهم رسولا أن ادخلوا النار، قال ﷺ :(فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما)، وإنما صعب الامتحان لوضوح الحقيقة آنذاك.

(٢٥) الإنسان مسؤول عن تصرفاته مختار لأفعاله، قد منحه الله ﷻ وسائل الاختيار والهداية من سمع وعقل، فإذا سلك طريق الشر فلا عذر له مقبول.

(٢٦) أدلة الهداية نوعان؛ **مسموعة** ومنها أدلة الشرع من قرآن وسنة، **ومرئية** معقولة وهي الآيات الكونية: (**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**) [الذاريات:٢١]، (**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**) [الغاشية:١٧].

الآيات: ١٢– ٢٢

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ٢١ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢ ﴾

أ) تقديم:

بعد أن ذكرت الآيات عظمة ملك الله ﷻ وقدرته وشدة عذابه وناره، مما يدفع على خشيته، جاءت هذه الآيات تُبين فضل الخشية منه ﷻ.

وبعد أن ذكر الله ﷻ في أول السورة قوة خلق السماء وجمالها، جاء هنا يذكر الآية المقابلة وهي الأرض وتسخيرها وماجعل فيها للناس من الرزق، ثم ينبههم إلى أن يكونوا على خوف من أن يخسف الله ﷻ بهم هذه الأرض فتبتلعهم ، أو أن يرسل عليهم الحجارة من فوقهم فتهلكهم.

وبعد أن ذكر الله ﷻ آيتيه العظيمتين السماء و الأرض، ذكر الطير وهي تحلق بين السماء والأرض ما يمسكها إلا الله. ثم أكد الله ﷻ حفظه للإنسان، فلا ينصره ولا يرزقه إلا الرحمن ﷻ . وكأن الآية تقول: (لا إله إلا الله) هذا هو الصراط المستقيم.

ب) المعاني:

١٢. (إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير): أي إن الذين يخافون ربهم فيعبدونه ولا يعصونه في حالة غيبتهم عن أنظار الناس، لهم مغفرة من الله ﷻ لذنوبهم وثواب عظيم في الجنة.

١٣-١٤. (وأسروا قولكم أو اجهروا به،إنه عليم بذات الصدور. ألا يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير): أي وسواء أسررتم كلامكم أو أظهرتموه لا يخفى على الله ﷻ منه شيء، إنه ﷻ عليم بما هو أخفى وهي مضمرات القلوب. ولا غرابة، فإن الله ﷻ الخالق يعلم بخلقه، وهو العليم بدقائق الأمور وسابق الحوادث.

١٥. (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) أي: الله وحده هو الذي جعل الأرض سهلة ممهدة تستقرون عليها، فامشوا في نواحيها، وانتفعوا برزق الله ﷻ الذي أخرجه لكم، ولا تنسوا أنكم مبعوثون من قبوركم راجعون إلى الله ﷻ للحساب والجزاء.

١٦-١٧.(أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ . أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ): أي هل أمِنتم أن الله ﷻ الذي كفرتم به يخسف بكم الأرض، فهي حينئذٍ تهتز وتتزلزل بعد أن كانت ذلولا. أم هل أمِنتم الله الذي كفرتم به أن يرميكم بحجارة ونحوها من السماء، فحينئذ تعلمون أيها المكذبون كيف يتحقق إنذاري. واختار لفظ: **(مَّن فِي السَّمَاء)**: للدلالة على تمكنه وسيطرته عليهم.

١٨. (وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ): أي ولقد كذبت الأمم السابقة رسلي فانظر شدة إنكاري عليهم بما أوقعتُ بهم من العذاب الفظيع .

١٩. (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَايُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ): أي هلا تأملتم في الطيور وهي تطير ببسط أجنحتها وضمها، ما يحفظهن من السقوط إلا الله برحمته وبعلمه فإنه بصير بكل شيء.

٢٠. (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ): أي من هو الناصرلكم . أيّاً كان . غير الله ﷻ ؟. ما الكافرون في استنصارهم بغير الله ﷻ إلا مخدوعون بمن يستنصرون به.

٢١. (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ): أي من هو الرازق لكم إن منع الله عنكم رزقه ؟. بل الكافرون مستمرون في تكبرهم عن الحق وفرارهم منه.

٢٢. (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ): أي مَثَل الكافر المتعلق بغير الله الماشي على غير هديه، ومثل المؤمن المتعلق بالله ﷻ وحده، السائر على منهجه، كمثل اثنين: **أحدهما** يمشي منكِّسا وجهه إلى أسفل، **والآخر** يمشي معتدلاً مستقيماً على طريق واضِح مستقيم- فأيهما في رأيك أدل طريقاً ؟.

ج) الفوائد:

(١) فضل الخشية من الله ﷻ، بفعل أوامره واجتناب نواهيه حذرا من عقابه، مهما كان العبد غائبا عن أنظار الناس.

(٢) ميزان خشية العبد لله ﷻ حال غيبته عن الناس، فمن قام بأمر الله ﷻ واجتنب محارمه وهو منفرد عن الناس، فذلك هو الذي يخشى من الله ﷻ حقاً.

(٣) يمكن أن يقع الذنب والتقصير مع وجود الخشية من الله ﷻ، ولكن الخشية تبعث على الندم والتوبة، والله ﷻ قد وعد من يخشاه بالمغفرة لذنوبه.

(٤) التخلص مما يضر من الذنوب ومظالم العباد، قبل تحصيل ما ينفع من الطاعات والصدقات؛ ولذا قدَّم المغفرة على الأجور، وقد قيل: التَّخلية قبل التَّحلية.

(٥) عظمة عِلم الله ﷻ وإحاطته بأعمال العباد وشئونهم حتى ولو كانت مضمرة في الصدور. وهذا لازم من لوازم تفرده بالخلْق، إذ كيف يخلُق الخلْق ولا يعلم بهم.

(٦) تذكر قُدرة الله ﷻ وعِلمه ورقابته عليك في السر والعلن والظاهر والباطن، فذلك من أهم أسباب خشيتك إياه، بل من أسباب إتقانك عبادته فتبلغ أعلى درجات العبودية (الإحسان)، الذي قال ﷺ في تعريفه: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

(٧) حفظ اللسان، فإن القول سره وجهره معلوم لله ﷻ، فلنحذر من قول ما يغضب الله ﷻ. قال ﷺ: (وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم).

(٨) الاهتمام بإصلاح القلوب والنيات والمقاصد، والحرص على أعمال القلوب؛ كالإخلاص والمحبة والخشية والتوكل، فإنها أفضل الأعمال. قال ﷺ:: (إنما الأعمال بالنيات)، وقال: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).

(٩) خلْق الأرض وتسخيرها من آيات الله ﷻ العظيمة ونعمه الجليلة على العباد. حيث ذللها لحياتهم وعيشهم وتنقلهم، ولولا تذليل الله ﷻ لها لما استقروا عليها. وتسخيرها للناس يشمل ما هيئت به في حجمها وشكلها وعناصرها وتضاريسها وحركتها وغلافها.

(١٠) الأرض فلك دائر ولذا وصفها الله ﷻ بالذلول ولها مناكب، قال تعالى: (**يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ**) [الزمر:٥]، وقال تعالى: (**وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**) [يس:٤٠].

(١١) فعل الأسباب لتحصيل الرزق، ولذا قرن الله الرزق بالمشي في الأرض، وبدأ به فقال: (**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ**).

(١٢) التوازن في حياة المسلم بالجمع بين كسب الدنيا وبين العمل للآخرة والاستعداد ليوم النشور، فلا تشغله الدنيا عن الدين وعن أداء حقوق المال ، وأن يكسبه من حلال كما قال تعالى: (**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**) [القصص:٧٧].

(١٣) إثبات صفة العلو المكاني لله ﷻ وأنه ﷻ فوق العباد. (**أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ**) فالمراد بالسماء هنا **إما** جهة العلو، كقوله: (**وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً**) [الأنعام:٩٩]، **أو** أن (**فِي السماء**) بمعنى على السماء، كقوله: (**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا**):أي على مناكبها.

(١٤) من آيات الله ﷻ العظيمة وعقوباته المخيفة الزلازل والأعاصير والبَرَد، والتي تقضي على مئات الألوف من البشر ومساكنهم ومدنهم وأموالهم، كالزلازل التي تصيب الأرض كل حين، والتي يبدو أمامها الإنسان بحضارته صغيرا حقيرا.

(١٥) الأمن من مكر الله وعذابه هو من صفات الكافرين: (**فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**) [الأعراف:٩٩]، وبعكس ذلك أهل الإيمان فإنهم مشفقون من عذاب الله ﷻ يحسبون له كل حساب: (**وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ**) [المعارج:٢٧].

(١٦) أهمية النظر في قصص وحوادث الماضين للعظة والاعتبار. وممن أهلكهم الله ﷻ بالخسف قارون المتكبر بأمواله وقصوره: (**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ**) [القصص:٨١]، وزلزل الله ﷻ الأرض تحت ثمود وقوم شعيب: (**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ**) [الأعراف:٩١]، وأرسل الله ﷻ الحاصب على أصحاب الفيل (**وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ**) [الفيل:٣ .٥].

(١٧) الطيور والطيران من آيات الله ﷻ الكونية العجيبة.وهي أشكال وألوان وأصوات وأنواع: (**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**) [الأنعام: ٣٨].

(١٨) التفكر في المخلوقات كلها وعدم احتقارها، بل كلما صغرت دلت على عظمة الخالق العظيم: (**إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا**) [البقرة:٢٦] أي فما فوقها في الصغر.

(١٩) التوكل على الله ﷻ الذي وسعت رحمته كل شيء حتى الطيور على كثرتها وضعفها، إذ يحفظهن الله ﷻ في جو السماء من السقوط بما هيأهن وعلمهن وسخر لهن من أسباب الطيران. فالله ﷻ حافظ عبده إذا توكل عليه مهما كان

ضعيفا ومهما أحاط به من الأخطار؛ ولذا ضرب الرسول ﷺ الطير مثالاً لنا في التوكل فقال: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خِماصا وتروح بِطانا).

(٢٠) بطلان عقيدة التطير بنسبة الشر أوالخير إلى الطيور وأحوالها وبعض أنواعها كالبومة والغراب؛ فإن الطيور لا تملك لنفسها نفعا،وما يمسكهن في جو السماء إلا الله ﷻ.وقد قال ﷺ:(لا عدوى ولا طِيرة ولا هامة ولا صفر).

(٢١) توحيد الله ﷻ بالعبادة والتوكل؛ لأن النصر والرزق منه وحده (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**) [الفاتحة:٥].

(٢٢) اغترار وانخداع من تعلق بغير الله ﷻ، كمن يدعو الصالحين ، أو يستعين بالجن والعرافين. انظر تفاهة من يتعلقون به من أموات وأصنام ، وانظر سوء حالة السحرة والكهان، وانظر تعدد مزارات بعض الأولياء؛ كقبر الحسين ﷺ وزينب، بل فكّر أين تذهب القرابين والأموال التي يرمونها على القبر!!.إنه الاغترار والانخداع العجيب.

(٢٣) أهمية ضرب **المثال** لتوضيح الحقيقة وتقريب الصورة الذهنية؛ ولذا ضرب الله ﷻ المثال للكافر المشرك المتخبط في الضلال، والمؤمن المتبع منهج الله ﷻ، بمن يمشي مطرقا رأسه ومن يمشي على طريق واضح مستقيم، وقد قال تعالى: (**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**) [الحشر:٢١].

(٢٤) الشرك والمعاصي طريق ذلة وضياع وشقاء، ولذا شبه الله ﷻ المنحرف عن منهج الله بالماشي وهو مطرق برأسه لا يدري أين سينتهي وماذا سيقع له، وهذا واقع فيما يعيشون من حيرة أوصلت بعضهم إلى الانتحار، وحرمت كثيرا منهم من لذة العيش وطمأنينة القلب، كراكب لا يدري أين يُذهب به. وأما ذلة الشهوات فاقرأ في أخبار أصحابها وأشعارهم، تسمع آهات البين وترى دموع العشق ومعاناة السهر .

(٢٥) دين الإسلام ومنهج السنة يتصف بالوضوح واليسر وبالعزة والقوة، وحسن العاقبة، كالمشية المعتدلة على طريق واضح مستقيم.

الآيات: ٢٣ . ٣٠

﴿ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٢٦ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ٢٧ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٨ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٩ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۢ ٣٠ ﴾

أ) تقديم:

بعد أن ذكر الله ﷻ نِعمه علينا ونصره ورزقه لنا، بيّن هنا ما هو أعظم، وهو خلقه لنا، وما وهبنا من سمع وبصر وعقل، ووزّعنا في الأرض ، ثم يعيدنا بعد الموت والبلى. لكن الإنسان الكافر مكذب بالإعادة والحشر كما كذب بالله ﷻ وكفر بنعمته، فسيرى ما كذب به، ثم لا يجد ملجأ من عذاب الله.

وبعد أن خوَّف الله ﷻ الكفار من العذاب الأليم الذي ينتظرهم في الآخرة، جاء يعلن لهم العقيدة الصحيحة التي هي الضمان لنجاتهم من عذاب الدنيا والآخرة، ثم خوفهم نوعا من عذاب الدنيا وهو تغوير الماء الذي به حياتهم فلا أحد يستطيع أن يعيده لهم.

وناسب أن يختم السورة بموضوع الماء ؛ ليربط آخر السورة بأولها، فإن الماء من أكبر دلائل بركة الله، وعظمة ملكه، وعجيب قدرته ، سواء من جهة إيجاده، والإحياء به، أومن جهة التحكم فيه بالتغوير والإعادة ، فكلما تأملتَ في الماء قلتَ: (**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**).

ب) المعاني:

٢٣. (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ): أي قل لهم: الله ﷻ هو الذي خلقكم ابتداءا وطوركم وجعل لكم السمع لتسمعوا والبصر لتنظروا والقلوب لتفهموا، لكن أنتم لا تشكرون الله ﷻ حق شكره.

٢٤. (قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ): أي قل لهم أيضا: الله ﷻ هو الذي تولى نشركم وتوزيعكم في هذه الكرة الأرضية، وإليه وحده تُجمعون للحساب والجزاء على الأعمال.

٢٥. (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ): أي ويقول الكفار للرسول ﷺ وللمؤمنين: متى يتحقق هذا الوعد بالحشر، أخبرونا إن كنتم صادقين فيما تدّعون.

٢٦. (قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ): أي أجبهم يا رسول الله قائلا: إن العلم بوقت الحشر قد اختص به الله ﷻ وحده. لا أعلم به وإنما أنا رسول إليكم أحذركم شر ذلك اليوم وأخوفكم عاقبة كفركم وأبين لكم ما أمرني الله ببيانه غاية التبيين.

٢٧. (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ): أي فحين رأى الكفار يوم القيامة قريباً ماثلاً أمامهم بأهواله، ظهر الذل والخوف والحزن على وجوههم، وقيل لهم: هذا الذي ترون، هو ما كنتم به تطالبون وتستعجلون تكذيبا واستبعادا له.

٢٨. (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ): أي قل لهم يا رسول الله أخبروني لو أنزل الله ﷻ في الدنيا عذابا فأهلكني وأتباعي به، أو أكرمنا ووقانا منه، فمن يحميكم أنتم من هذا العذاب الأليم.

٢٩. (قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ): أي قل لهم: الله ﷻ المستحق للعبادة وحده هوالرحمن، ونحن به مؤمنون إلها حقا، وعليه معتمدون في كل أمورنا، فستعلمون أيها الكفار حين ترون العذاب أنكم أنتم الضالون ولسنا نحن.

٣٠. (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ) أي: قل لهم أخبروني إن صار ماؤكم الذي تشربون منه ذاهباً بعيداً في أعماق الأرض لا تستطيعون طلبه واستخراجه فمن غير الله ﷻ يجيئكم بماء عذب ظاهر للعيون على وجه الأرض.

ج) الفوائد:

(١) التفكر في خلق الله ﷻ للإنسان، فهو من أعجب آيات الله ﷻ في الكون؛ ولذا مدح الله ﷻ نفسه بذلك. ومن آيات الله ﷻ في الإنسان إنشاؤه وتطويره، وما جعل له من السمع، والبصر، والعقل. وأما **توزيع البشر** على الكرة الأرضية فهي آية أخرى عجيبة، بحيث تجد من يقطنون في سط الصحارى، ومن يسكنون رؤوس الجبال، ومن يعيشون في الأقطاب المتجمدة، وفي الجزر البعيدة وسط المحيطات.

(٢) شكر الله ﷻ على نِعمه التي لا تُحصى سواء فيما يتعلق منها بإيجادنا وإعدادنا أو بإمدادنا وهدايتنا. فلا نستخدم هذه النعم والجوارح فيما يُغضبه ﷻ: **(إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)** [الإسراء:٣٦]، وقال ﷻ: **(ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)** [التكاثر: ٨].

(٣) استقلال كل ما بذلناه لله ﷻ من عبادات وصدقات وإحسان، لا نستكثره أبدا؛ لأن فضله علينا أكبر من أن نكافئه عليه. فمهما شكرنا الله ﷻ فهو قليل في حقه: **(وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ)** [الأعراف:١٠].

(٤) الحذرمن التقليد الأعمى والسعي وراء الأكثرية دون وعي، أو مع العلم بمخالفتهم للدليل ومجابهتهم للحق، فإن القليل من الناس هم المحقون الشاكرون ﷻ: **(وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)** [سبأ:١٣].

(٥) تذكر الآخرة ويوم الحشر والاستعداد لذلك بالإيمان والعمل الصالح: **(يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)** [الشعراء ٨٨.٨٩]. وقد ذكّر الله ﷻ بهذا الحدث الهائل في مواضع متعددة من هذه السورة.

(٦) من أكبر قضايا الدين التي جادل فيها الكفار: قضية البعث واليوم الآخر. وليس للمكذبين بالبعث حجة على الإنكار إلا صعوبة أمر البعث، وقد ردَّ الله ﷻ عليهم بكمال قدرته، وبخلقه لهم أول مرة، وبخلقه ما هو أكبر من خلقهم، وبخلقه النبات وإحيائه الأرض الميتة.

(٧) سخرية الكفار بالرسل والدعاة؛ ولذا سألوا عن وقت الحشر مع أن عدم العلم بوقته لا يغير من الأمر شيئا، فما دام أنه واقع فليستعدوا له. ويؤكد هذه السخرية أسلوب كلامهم: **(مَتَى هَذَا الْوَعْدُ)**، ولم يقولوا: (متى الحشر)، وتشكيكهم في صدق الرسل فقالوا: **(إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)**.

(٨) مواجهة أسئلة أهل الباطل الساخرة بالجد وبالحقائق مع التحذير والتخويف لهم من فعلهم وضلالهم؛ ولهذا أجابت الآيات هنا سؤالهم الساخر إجابة جادة في ثبات ودون أي استهزاء أو إيذاء لهم: **(قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ)**.

(٩) من أهم آداب الحوار الناجح التي ينبغي أن يتصف بها المحاور المسلم؛ التواضع وحسن الاستماع والحلم والصبر، والثبات والثقة بالنفس، والجرأة وعدم الخجل من الحقيقة، والشفقة والحرص على هداية الخصم. فقد استمع ﷺ هنا لسؤالهم عن موعد الحشر ،رغم عدم أهميته ورغم أسلوبهم الساخر، وكان رده صريحا جريئا، لم يخجل أن يعلن عدم علمه بالجواب، وعاد ينذرهم حرصاً على هدايتهم في بيان تام: **(وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ)**.

(١٠) وقت الساعة غيب لا يعلمه إلا الله ﷻ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل؛ ولذا حصر العلم بذلك في الله تعالى: **(قل إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ)**، وقال تعالى: **(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)** [الأعراف:١٨٧].

(١١) الأدب فيما لا نعلم أن نقول: **(الله أعلم)**؛ ولذا أرشد الله ﷻ نبيه ﷺ إلى ذلك في سؤال الكفار له عن وقت قيام الساعة، وقد ذم الله ﷻ القول بغير علم وبخاصة في أمور الدين، قال تعالى:**(وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ)** [النحل:١١٦] .

(١٢) عدم الغلو في حق الرسول ﷺ ولا غيره فإنه ﷺ كغيره من الخلق لا يعلم من الغيب شيئا إلا ما علمه الله ﷻ، وقد قال الله ﷻ عنه: **(قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ)** [الأعراف:١٨٨]. وفي هذا إبطال لدعاوى الكهان والمنجمين والعرافين، ولو كان رأس الشياطين إبليس يعلم ما سيفعل الله به ما أبى السجود.

(١٣) أهمية الحوار والمناقشة والاستفهام لإثارة التفكير وتحقيق الإقناع، كما هو واضح في هذه الآيات، وفي السورة كلها. قال تعالى: **(وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)** [النحل:١٢٥]، وبسبب الحوار دخل كثير من الكفار إلى الإسلام، ورجع كثير من المبتدعة إلى الحق ، وتاب كثير من العصاة والمفسدين، وأُصلحت كثير من الخلافات والنزاعات.

(١٤) لا مانع من التنزل مع الخصم لاستدراجه وزحزحته عن باطله، كما فعلت الآية هنا: **(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ)**، ومن **أمثلة** التنزل مع الخصم والافتراض لأجل الرد عليه قوله تعالى: **(قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ)** [الزخرف:٨١].

(١٥) من أهم صفات الداعي: اليقين بالقضية التي يدعو إليها، والشجاعة في عرضها، والإلتزام بمقتضاها؛ ولذا خاطبت الآيات الكفار بأن قضية عذابكم في الآخرة أمر محتوم، وإنما السؤال: هل هناك من يجيركم من هذا العذاب؟، ثم خاطبتهم بيقين: إنكم يوما من الأيام ستعرفون أنكم كنتم في ضلال مبين. وأمر الله ﷻ نبيه أن يعلن لهم عقيدته التي يدعوهم إليها وأنه أول من يلتزم بها: **(قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا)**.

(١٦) من أهم آداب الداعي وأسس الحوار الناجح: احترام مشاعر الطرف الآخر والتلطف معه؛ ولذا عبرت الآيات بلفظ: (**أَرَأَيْتُمْ**)، وكأنها تطلب رأيهم في الأمر ، وحين واجهتهم بخطاب العذاب والضلال، لم تقل: (فمن يجيركم من عذاب أليم)، ولم تقل: (فستعلمون أنكم في ضلال مبين)، وكأن المقصود غيرهم.

(١٧) الكفار يعرفون الله ﷻ ولذا خاطبهم الله ﷻ بهذا الأسلوب: (**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**)، وقال تعالى: (**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**) [الزخرف: ٨٧]، ولكن معرفة الله ﷻ والتقرب إليه وتقديم الأعمال الإنسانية مهما كانت لا تنفع صاحبها ما لم يكن مؤمناً بالله ﷻ موحّداً له في جميع أحواله.

(١٨) المسلم الحق متواضع لله ﷻ خائف من عذابه ، لا يثق إلا برحمة الله ﷻ. وهذا واضح في قول الرسول ﷺ وأصحابه: (**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ**)، وقد قال الرسول ﷺ: (لن يدخل الجنة أحد بعمله)، فقال الصحابة ﷺ: ولا أنت يا رسول الله ؟، قال: (ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته).

(١٩) الرجاء وعدم اليأس من رحمة الله ﷻ، فهو واسع الرحمة، ولذا سمى نفسه الرحمن- وهو أبلغ صيغ كلمة الرحمة- ووصف نفسه بذلك وهو يخاطب الكفار، وكرر اسم الرحمن في هذه السورة أربع مرات.

(٢٠) التوكل على الله ﷻ في جميع الأمور،فإن العبد محتاج إلى الله دائما، محتاج إلى عطائه، محتاج إلى حفظ الله ﷻ لما أعطاه. فحاجة العبد إلى الله ﷻ حال الوجود كحاجته إليه حال العدم.

(٢١) ظن كثير من أهل الباطل أن أهل الحق على ضلال، إما لجهلهم بالحق، أو لجهلهم بحقيقة ما هم عليه من الباطل، أو لاغترارهم بما نالوا من متاع الدنيا وتزيين المفسدين لهم. وقد ذكر الله الافتراض المبني على ظنهم أن الله سيهلك محمدا وأتباعه: (**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ**) يعتقدون أن المسلمين على ضلال مبين: (**فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**).

(٢٢) الضلال والشقاء وعد الله ﷻ الذي لا يتخلف لمن كفر به وعصاه: (**قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**)، وهذا شامل لهم في الدنيا وفي الآخرة. وقال تعالى: (**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**) [طه:١٢٤]، فهذا الإيدز يفتك بالمجتمعات نتيجة الفواحش، وكذلك يكثر اللقطاء وتكثر معاناتهم ومعاناة المجتمعات منهم بعد أن تحللت المرأة وأصبحت سلعة جنسية أو صورة للدعاية والتسويق.

(٢٣) الماء نعمة وآية عظيمة تستوجب الشكر لله ﷻ والتعظيم؛ ولذا ختم الله ﷻ هذه السورة العظيمة بمسألة الماء لو غار في الأرض لا يستطيع أحد غير الله ﷻ أن يأتي به؛ ذلك أن الماء أيسر شيء يُرى لكنه أخطر شيء في حياتنا، عليه

تقوم حياة كل الأحياء من إنس وجن وحيوان ونبات، قال تعالى: (**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**) [الأنبياء:٣٠]، وارتباط حياتنا بالماء ليس فقط للشرب والتنظف فقط، بل يدخل في بناء مساكننا وصنع ملابسنا وتشغيل مراكبنا ووسائل اتصالاتنا ومستشفياتنا وسائر مرافقنا ومصانعنا، وصناعاتنا.

(**٢٤**) تصور فقْد النعم يُظهر مدى قدرها وقدر المنعم بها، ويُظهر تقصير الإنسان في شكر ربه ﷻ، ولهذا افترض الله ﷻ تغوير المياه وذهابها. وانظر ما تتعرض له بعض الشعوب من الوفيات والأمراض بسبب الجفاف.

(**٢٥**) الخوف من الله ﷻ وعدم الأمن من مكره ومن ابتلائه؛ ولذا خوَّف الله ﷻ العباد هنا بتغوير مياههم، وقال تعالى: (**لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ**) [الواقعة:٧٠]، وقال تعالى:(**فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**) [الأعراف: ٩٩].

(**٢٦**) الوضوح وعدم التكلف هو الأسلوب الناجح في الدعوة، وهذا ظاهر في تلك الآية البليغة المؤثرة: (**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ**)، فما عرضت قضية غريبة بعيدة عن بيئة المخاطبين، وما زادت عن طرح سؤال يسير مختصر: (**فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ**).

(**٢٧**) تعليق القلوب بالله ﷻ وحده، هو المنهج الدعوي الصحيح والأسلوب التربوي الناجح؛ ولهذا ختمت السورة بهذا السؤال: (**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ**). الجواب: (**الله**)؛ ليبقى حاضراً في قلب المدعو، كما قال الحبيب ﷺ يوصي ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنه:(احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك) [صحيح رواه أحمد والترمذي].

صفحة الواجب ١.١.١

س١ : اذكر حديثاً يدل على فضل سورة الملك ؟.

س٢ : مامناسبة سورة الملك لسورة التحريم ؟

س٣: اذكر ثلاثاً من ميزات سورة الملك ؟

س٤ : ما معنى الكلمات التالية: (تبارك- ليبلُوكم- طباقاً- تفاوت- فطور- كرتين - خاسئاً – حسير – بمصابيح – تفور- تكاد تميز- الغيظ- فوج- خزنتها- فسحقاً- يخشون ربهم بالغيب- بذات الصدور- اللطيف الخبير- الأرض ذلولاً- مناكبها- النشور- يخسف- تمور- حاصباً- صافات ويقبضن- في غرور- لجّوا- عتو ونفور- مكبّاً على وجهه- يمشي سويّاً- صراط- ذرأكم في الأرض- زلفة- يجير- عليه توكلنا- غوراً- ماء معين)؟.

س٥: اذكر الشاهد من السورة على مايلي:

أ- لله ﷻ يد-على مايليق بجلاله.

ب- النار موجودة الآن.

ج- فعل الأسباب لتحصيل الرزق.

د- الله بذاته فوق السماء.

هـ- بطلان عقيدة التطير.

و- الإسلام عز.

س٦: اذكر ثلاث فوائد من قوله تعالى: **(ليبلوكم أيكم أحسن عملا)**.

س٧: وضّح العلاقة بين أول آية في السورة وآخر آية فيها؟.

صفحة الموجز ١-٢-١

سورة القلم (ن)

أ. المقدمة:

هذه السورة من أوائل مانزل من القرآن الكريم في العهد المكي، وهي تدافع عن الرسول ﷺ فيما اتهمه به المشركون من الجنون، مثنية عليه، مهدّدة لخصومه، محاورة لهم، مصبّرة له ﷺ .

ب.الأهداف المؤهلة:

١- قراءة الطالب السورة بطريقة صحيحة، ليتم حفظها بعد ذلك.

٢ - التعرف على معاني ألفاظ السورة.

٣ - التعريف بمكانة نبينا ﷺ وعظيم أخلاقه، وتبين حقوقه علينا.

٤- التحذير من البخل بالزكاة وحرمان المحتاجين.

٥- إظهار بديع القصص القرآني من خلال التأمل في قصة أصحاب الجنة في السورة.

٦- التعرف على بعض آداب الدعوة والحوار الناجح.

ج. المواضيع بإيجاز:

(أ) تأريخ السورة، وموضوعها، ومناسبتها لما قبلها، وميزاتها.

(**ب**) معاني ألفاظ السورة.

(**ج**) فوائد من السورة.

سورة القلم

أ) تاريخها:

قيل هي السورة الثالثة بعد نزول أول سورة العلق، وأول سورة المدثر. وتقدُّم نزولها واضح من أسلوبها وشدة دفاعها عن الرسول ﷺ وتهديدها لخصومه ومحاجتهم بالأدلة.

ب) موضوعها:

الرد على منكري رسالة النبي ﷺ.

ج) مناسبتها لسورة المُلك:

سورة الملك تحدثت عن الله ﷻ، فجاءت سورة القلم تتحدث عن الرسول ﷺ، فهما كالتقرير للشهادتين.

د) ميزاتها:

(١) الأدلة العقلية الكثيرة على صدق الرسول ﷺ.

(٢) الأسئلة الحوارية الكثيرة المنظمة: (**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**) ، (**مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**)...الخ

(٣) القَصص البليغ؛ وهما **قصتان:** إحداهما عن فتنة المال وعاقبة من آثره على ما عند الله ﷻ، وهي قصة أصحاب الجنة. **والقصة الثانية** موجزة تمثل عجلة الداعية واعتزاله قومه ولمّا ينقطع العذر منهم، وهي قصة نبي الله يونس عليه السلام.

(٤) الأسلوب الغاضب الكفار بسبب اتهامهم لرسول الله ﷺ بالجنون. فتجد فيها التهديد للكفار، والسب لهم، والسخرية منهم، والتحقيق معهم. وحتى في قصصها تسمع التدمير والصرم، وتسمع الإغراق والنبذ.

الآيات: ١-١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦ ﴾

أ) تقديم:

هذه آيات عظيمة في الدفاع عن الرسول ﷺ ورد ما يتهمه به المشركون ، وخاصة تهمة الجنون الكاذبة ، وهي تحثه ﷺ أن يستمر في دعوته ولا يطيعهم ، وبخاصة ذلك الكافر الحقير المؤذي للرسول ﷺ – ولم تذكر الآيات اسمه، ولكنها وصفته بصفات كثيرة قبيحة سيأتي بيانها إن شاء الله ﷻ.

ب) المعاني:

١. **(ن)**: حرف من حروف الهجاء ، بدأت به السورة كما في بعض السور: (ألم، كهيعص، طه، يس، ق). والحروف في اللغة لا معنى لها في ذاتها. والله ﷻ لا يخاطب الناس بما لا يفهمون، لكن لهذه الحروف المقطَّعة مدلول وحكمة، **وهو**: أن الله ﷻ يشير إلى تحدي الناس بالقرآن المركب من هذه الحروف العربية التي يعرفونها، ومع هذا لا يستطيعون أن يأتوا بمثله، ولهذا تنص هذه السور المبدوءة بالحروف المقطعة دائما على صدق القرآن الكريم.

١. **(وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُون)**: أي أُقسم بالقلم وبما يكتب الكاتبون من ملائكة أو إنس أو جن.

٢. (**مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**): أي لستَ بفضل الله ﷻ مجنونا.

٣. (**وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ**): أي أجراً عظيماً في الآخرة، غير مقطوع أو بلا حساب ولاحد.
وهذا **دليل** على صدق رسالته ﷺ، إذ كيف يثيبه الله ﷻ أعظم الثواب لو كان مفتريا مدعيا للرسالة، **وفيه** أيضا مواساة وتصبير للنبي ﷺ على ما يلقى من المشقة والأذى في الدعوة.

٤. (**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**): أي ذو أخلاق رفيعة.
وهذا دليل على صدق رسالته ﷺ، فإن حسن خلقه مع الناس ينفي عنه الكذب عليهم وتضليلهم.

٥-٦. (**فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ . بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ**): أي ستعلم يا محمد ﷺ وسيعلم أعداؤك حين ينتصر دينك ويحل العذاب بأعدائك، من هو المجنون حقا المصروف عن الهدى. وفي هذا قلب للسبَّ عليهم، بأنهم هم المفتونون في عقولهم.

٧. (**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**): أي الله ﷻ يعلم بالمنحرفين عن دينه ، ويعلم بالمهتدين إليه . فالأمر على عكس مايتهمك به أعداؤك يارسول الله من الضلال، وما يعتقدونه لأنفسهم من الهدى.

٨. (**فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ**): أي لا تترك دعوتهم لأجل تهديدهم لك وسخريتهم منك، أو لِمَا عرضوه عليك من الزعامة والمال والزواج مقابل تركك الدعوة، أو لما عرضوه عليك من أن يعبدوا إلهك سنة على أن تعبد آلهتهم سنة.

٩. (**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**): أي تمنى هؤلاء الكفار لو تصانعهم بالسكوت عنهم فيسكتوا عنك، أو تلين لهم وتميل إليهم بقبول ما عرضوه عليك فيعطونك ما تريد.

١٠. (**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ**): أي ولاتطع خاصة ذلك الكافركثير الحلف، حقير النفس . فلحقارته يتملق الناس بكثرة الحلف لايبالي بعظمة الله ، ويسعى بينهم بالنميمة. **وفي كثرة الحلف** إشارة إلى كذبه وعدم ثقة الناس به، فهو يغطِّي ذلك بالحلف. **نزلت** في أحد الخصوم الكبار للنبي ﷺ من أصحاب الأموال والأولاد والجاه- **قيل**: هو الوليد بن المغيرة المخزومي، **وقيل**: الأسود بن عبد يغوث الزهري، **وقيل**: هو الأخنس بن شريق الثقفي.

١١. (**هَمَّازٍ، مَّشَّاء بِنَمِيمٍ**): أي كثير الاغتياب للناس ،كثير المشي بالنميمة بينهم ، ينقل كلام بعضهم في بعض، فيوغر صدور بعضهم على بعض، ويوقع بينهم الفتن والعداوات، ويفرق بينهم ، ويتزلف بذلك عندهم، وهذا من مهانته وفساده.

١٢. (**مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ**): أي شديد البخل بالمال وبأي نفع، يمنع غيره من الكرم وفعل الخير، ويصد الناس عن الإسلام.

١٢. (**مُعْتَدٍ أَثِيمٍ**): أي ظالم، كثير الفواحش.

١٣. (عُتُلٍّ ، بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ) : أي جاف عنيف، وفوق تلك الصفات القبيحة فهو معروف بالشر واللؤم لايستحي.

١٤-١٥. (أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ): أي ألأنه كثير المال والأبناء يقول عن آيات القرآن الكريم إذا تليت عليه: إنها من كتب السابقين من اليهود والنصارى، نقلها محمد منها، ليست وحيا أوحاه الله ﷻ إليه!.

١٦. (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ): أي سنجعل علامة على أنفه عقوبة و فضح وإذلال له، لتكبره عن قبول الحق. والخرطوم يكون للفيل، لكن استخدمه هنا تهكما وسخرية. **قيل**: إنهُ ضرب بالسيف على أنفه يوم بدر، **وقيل**: إن ذلك يحصل له في الآخرة.

ج) الفوائد:

(١) صدق رسالة النبي ﷺ بدلائل كثيرة وردت في هذه السورة، منها: الحروف المقطعة التي لم تكن من عادة كلامه وكلام قومه، وتعظيم القلم والكتابة مع أنه لايحسنها، وكمال خُلقه ﷺ منذ نشأته، وبقوة ثباته على دينه وإصراره على دعوته أمام الإغراءات الكبيرة.

(٢) الحث على التعلم والكتابة وحسن الخط، ولذا عظَّم الله ﷻ القلم والكتابة.

(٣) توقير أهل العلم ، فقد عظّم الله ﷻ العلم ، بل عظّم آلته القلم ، فمن باب أولى حملته.

(٤) الصبر على الأذى في الدين والمشقة في الدعوة، فقد أوذي سيد المرسلين ﷺ حتى وصفوه بالجنون.

(٥) أعداء الإسلام مفترون، لا يترددون من أي تهمة للإسلام ونبيه وأتباعه مهما كانت واضحة البطلان. فاتهموا الرسول ﷺ بالجنون، وهم يعرفون كمال عقله بل وتفوقه عليهم، ولم يلحظوا منه صرعا أو شيئا من تصرفات المجانين أبدا. ومثل ذلك دعواهم أن القرآن من أساطير الأولين، وهم يعرفون أن الرسول ﷺ أمي ولم يجلس عند معلم من أهل الكتاب أو غيرهم.

(٦) سقوط التهمة وبطلانها لا يمنع من الرد عليها إذا خُشي ضررها على المتهم ودعوته؛ ولذا رد الله ﷻ عليهم هنا.

(٧) توقير الرسول ﷺ والدفاع عنه وعن سنته والرد على متهميه وكل من يؤذيه في عرضه أو أهله أو أصحابه؛ فقد أقسم الله ﷻ بقسم عظيم للذب عن عرضه، وزكّاه، وسب خصومه، وهددهم.

(٨) حاجة المسلم والداعية للتثبيت أمام الفتن وتسلط الأعداء؛ ولذا يخاطب الله نبيه هنا ويدافع عنه ويمدحه ويبشره بعظيم الأجر وحسن العاقبة، ويوصيه بالثبات: (**فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ**)، (**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ**).

(٩) سوء عاقبة من سب الرسول ﷺ وأن الله ﷻ سينتقم منه عاجلا أو آجلا: (**فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ . بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ**)، (**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**) ، وقد قال الله تعالى: (**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**) [الكوثر:٣]، **والأبتر**: هو المنقطع تماما من الخير.

(١٠) مكانة حسن الخلق في الإسلام؛ ولذا مدح الله ﷻ نبيه ﷺ بذلك، كما ذم خصمه بسوء الأخلاق: (**هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ . مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ**)، والرسول ﷺ يقول: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

(١١) التعرف على سيرته ﷺ للاقتداء بأخلاقه العظيمة، فقد رفعه الله ﷻ بسببها ومدحه بها لنتأسى به. تقول زوجه أم المؤمنين خديجة ﵂ حين جاءها من الغار يرتجف: (والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَل، وتكسب المعدوم، وتُقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق). ويقول خادمه أنس بن مالك ﵁: (لقد خدمت الرسول ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط لشيء لمْ أفعله: لِم لَمْ تفعله؟ ولا لشيء فعلته: لمَ فعلته).

(١٢) الحكمة والرفق عند الرد على المخالفين ؛ ولذا لم يسمِّ الله ﷻ من ذمه منهم هنا، ولم يعينهم في وصف الجنون والضلال: (**بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ**)، (**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ**) فليس الهدف الإنتقام منهم، ولكن الهدف أن يعودوا إلى الحق أو أن يكفوا عن الصد عنه .

(١٣) الثبات على الإسلام والاعتزاز به، وعدم قبول الإغراءات مهما كانت، وعدم إعطاء التنازلات مهما تنازل الأعداء: (**فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ . وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**).

(١٤) الكفار ودعاة الباطل لا يشترطون دخول المسلمين في دينهم، بل يكتفون بمداهنة المسلمين لهم بالسكوت عنهم وترك دعوتهم:(**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ**)، وهؤلاء الكفار في الحقيقة مضطرون لذلك؛ لأن عقيدتهم واضحة البطلان لا يقبل بها ذوعقل.

(١٥) أهل الباطل مستعدون لتقديم أي تنازلات في الدين للوصول إلى أهدافهم السيئة في المسلمين (**فَيُدْهِنُونَ**). وماذا يضرهم إذا تنازلوا، فما لجرح بميت إيلام.

(١٦) حفظ الأيمان عن الابتذال، فلا يكون المسلم حلاَّفا،كحال ذلك الكافر الذي ذمه الله. وقد قال تعالى: (**وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) [البقرة:٢٢٤]، أي لاتجعلوا اسم الله ﷻ معرّضا للحلف به كلما أردتم عملا ، ولو كان عملا صالحا.

(١٧) الحذر من الغيبة والسخرية بغير حق؛ فإن ذلك من صفات الكفار والمنافقين والجبناء المهينين: (**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) [التوبة:٧٩].

(١٨) الحرص على التآلف بين الناس، والحذر من المشي بينهم بالنميمة. قال ﷺ: (لا يدخل الجنة نمام)، وقال تعالى: (**لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ**) [النساء :١١٤].

(١٩) بذل الخير وتشجيعه، وتجنب البخل، فقد ذم الله الكافر في هذه السورة بأنه: (**مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ**).

(٢٠) الحذر من الظلم والعدوان وإيذاء الناس، كما هو حال ذلك الكافر المعتدي الأثيم، وقد قال ﷺ: (الظلم ظلمات يوم القيامة)، وقال ﷺ: (كف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك) [متفق عليه].

(٢١) الرفق والحياء، وتجنب الجفاء والتفحش، فقد سب الله ﷻ الكافر في هذه الآيات بأنه: (**عُتُلٍّ**)، (**زَنِيمٍ**)، وقبله مدح الله نبيه ﷺ بجميل الأخلاق: (**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)، وقد كان ﷺ أشد حياءا من العذراء في خدرها، حتى إنه قد يكره الشيء من الشخص فيستحيي أن يواجهه به، لكن يعرفه الصحابة في وجه النبي ﷺ.

(٢٢) شكر الله ﷻ على نعمة المال والأبناء، وعدم التكبر بذلك، لا كما بفعله ذلك الكافر المكذب للرسول ﷺ.

(٢٣) أقبح الكبر رد الحق، كما وصف الله ﷻ به ذلك الكافر: (**أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۞ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**) أي حمله على هذا القول الكاذب كونه غنياً وجيهاً، إذ كيف يصدّق محمداً ويتبعه. يقول ﷺ: (الكبر بطر الحق، وغمط الناس) أي رد الحق، واحتقار الناس- فهما نوعان، والأول أشد.

الآيات: ١٧-٣٣

﴿ إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَـٰٓئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

أ) تقديم:

هذه قصة من أبلغ القصص القرآني، يضربها الله ﷻ تهديدا لقريش الذين أنعم الله ﷻ عليهم بالعيش الرغيد، فلم يشكروا المنعم ﷻ وكذبوا رسولهم ﷺ. **وموجز القصة:** أن رجلا صالحا من أهل اليمن كانت له حديقة عظيمة من العنب، وكان يتصدق منها على الفقراء، فمات، وورثه أبناء ثلاثة، فأرادوا حرمان الفقراء منها، فعارضهم أوسطهم، فلم يستجيبوا له، واتفقوا ليلا على قطعها صباحا قبل أن يحضر المساكين، فأنزل الله ﷻ نارا فطافت بها وأحرقتها كلها. فلما أصبحوا وانطلقوا إليها، وجدوها محترقة، فندموا وتابوا.

ب) المعاني:

١٧. (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ): أي اختبرنا كفار مكة بالرزق الذي لم يشكروه كما اختبرنا أصحاب الحديقة العظيمة الذين لم يشكروا الله ﷻ بالتصدق منها، فكانت النتيجة هلاك حديقتهم، وكذلك ستكون نتيجة الابتلاء لقريش.

١٧-١٨. (**إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ . وَلَا يَسْتَثْنُونَ**): أي حلف بعضهم لبعض أن يتعاونوا على قطع ثمرة جنتهم في الصباح الباكر، ولا يتركوا منها شيئا للفقراء.

وهذا هو **المشهد الأول** من مشاهد القصة (**مشهد التخطيط**)، حديث دار بين الشباب ليلا، ثم ذهبوا ينامون، ليأتي **المشهد الثاني** عن ما وقع للحديقة وهم نائمون (**مشهد العقوبة**):

١٩-٢٠. (**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ. فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ**): أي أحاط بها عذاب من الله ﷻ ليلا دون أن يعلموا، فأهلكها حتى صارت أرضها سوداء كالرماد. **قيل**: إن هذا الطائف نار أحرقتها.

وبعد هذين المشهدين، وفي الصباح الباكر تأتي **مشاهد** (**تنفيذ الخطة**)، وهي مشاهد أكثر تفصيلا، زيادة في التشويق والتطلع لمعرفة موقف أصحاب الحديقة من المفاجأة حين رأوا ما حلَّ بحديقتهم. **وأول مشاهد التنفيذ:** مشهدهم وهم يستعدون للخروج إلى الحديقة:

٢١-٢٢. (**فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ**): أي نادى بعضهم بعضا حين طلع الصباح قائلين: اذهبوا مبكرين إلى بستانكم لتقطفوا ثمرته كما اتفقتم.

والآن يعرض الله لنا **مشهدهم** وهم في الطريق إلى الحديقة:

٢٣-٢٤. (**فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ**): أي أسرعوا إلى حديقتهم وهم يتسارُّون بينهم، يوصي بعضهم بعضا ألا يسمحوا هذا اليوم بدخول أي مسكين عليهم أبواب الحديقة.

وبعد أن بيّن الله ﷻ سلوكهم الظاهر القولي والفعلي، جاء يبين ما في نفوسهم:

٢٥. (**وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ**): أي ذهبوا على حزم واثقين من قدرتهم على صرم حديقتهم.

والآن يأتي **مشهد المفاجأة** حين وصلوا إلى الحديقة:

٢٦. (**فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ**):أي لما رأوا حديقتهم وهي محترقة متصرمة، ظنوا أنها ليست حديقتهم، فقالوا: إنا لا شك مخطئون الطريق. وكانت مفاجأة لهم لم يتوقعوا أن يصيب الحديقة ما أصابها.

وهذا يحكي مشهد رؤيتهم الحديقة أول الأمر. ثم إنهم تأملوا فيما حول الحديقة، فعرفوا أنهم لم يخطئوا الطريق، وأنها حديقتهم فقالوا:

٢٧. (**بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ**): أي لم نضل، بل هي حديقتنا قد حرمنا الله ﷻ منها.

٢٨. (قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ): أي قال أوسط هؤلاء الإخوة سنا أو أعدلهم ديناً ورأياً- يلومهم-: قد قلت لكم ألا تنزهون الله ﷻ عن ظنكم أن الله ﷻ لا يطلع على مؤامرتكم ولا يقدر على حرمانكم من حديقتكم. وبعد أن رأوا حقيقة الحرمان، وذكَّرهم أخوهم بأن ذلك هوبسبب معصيتهم واستهانتهم بالله ﷻ، بدأ **مشهد ندمهم وتوبتهم:**

٢٩. (قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ): أي تنزه ربنا عن أن يكون ظَلَمنا بما فعل بنا، بل نحن مستحقون لذلك، فنحن الظالمون لأنفسنا المهلكون لحديقتنا بظلمنا للفقراء.

وهذا تعظيم لله ﷻ، واعتراف بالذنب، ولومٌ عام لأنفسهم. ثم توجهوا يلوم بعضهم بعضا:

٣٠. (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ): أي أخذ بعضهم يعاتب بعضا بأنه الذي اقترح ذلك، أو شجع عليه، أو أعانه، أولم يمنعه منه.

٣١-٣٢. (قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ. عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ): أي ما أشد حسرتنا وهلاكنا بسبب تعدينا حدود الله ﷻ وتكبرنا على المساكين وظلمنا الشديد لهم. نرجو مولانا ﷻ أن يعوضنا بحديقة أفضل منها، فإننا نريد أن نتقرب إليه ﷻ بالصدقات ونتوب إليه.

٣٣. (كَذَلِكَ الْعَذَابُ. وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ): أي كذلك الذي حصل لأصحاب الجنة، سيكون العذاب لكفار مكة في الدنيا، وإن عذاب الآخرة الذي ينتظرهم أشد من عذاب الدنيا، لكنهم مكذبون بالآخرة، فلو كانوا يعلمون بها علماً يقيناً لخافوا عذاب الله ﷻ وشكروا نعمته عليهم.

ج) الفوائد:

(١) أهمية القصة في الدعوة والتربية؛ ولذا قص الله ﷻ قصة أصحاب الجنة في سورة القلم. قال تعالى: **(فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)** [الأعراف:١٧٦].

(٢) العناية بالبلاغة وانتقاء الكلمات المناسبة واستخدام الأساليب المؤثرة والتسلسل في العرض، والعناية بمطلع القصة وحبكتها ونهايتها؛ كما جاء في تلك القصة البليغة قصة أصحاب الجنة.

(٣) الغنى والرزق ابتلاء من الله ﷻ، أيشكره العبد، أم يجحده .

(٤) نية الشر الجازمة يُؤاخذ بها العبد، كما فعل الله ﷻ بأصحاب الجنة إذ أقسموا على حرمان الفقراء من الثمرة، لم يردّهم عن ذلك إلا أنهم لم يجدوا حديقتهم، حيث أتلفها الله ﷻ عليهم عقوبة لهم.

(٥) منع الزكاة ظلم وذنب عظيم، فحينما عزم أصحاب الجنة على حرمان المساكين حرمهم الله ﷻ من حديقتهم، وفي الحديث: (ما منع قوم زكاة أموالهم إلا عمهم الله بالقحط) [رواه البخاري].

(٦) الزكاة وقاية للمال وبركة فيه. فلو أخرجها أصحاب الجنة لحفظوا حديقتهم وباركها الله ﷻ لهم؛ ولذا قال الله تعالى: **(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا)** [التوبة:١٠٣]، أي تطهرهم مما يضرهم، وتزيدهم بماينفعهم من مال وغيره، وفي الحديث: (ما نقصت صدقة من مال، بل تزده).

(٧) الكسب الحرام وإن قل يفسد بقية المال ويمحق بركته، وهذا ما حصل لأصحاب الجنة حين أقسموا على صرم ثمرتهم كلها بلا استثناء. فعزمهم على أكل نصيب المساكين هو الذي دمّر جميع حديقتهم، وكان الواجب عليهم أن يستثنوا حق المساكين، فهم كالشركاء معهم.

(٨) علم الله ﷻ المحيط بما يدبره العبد وما ينويه، فقد علم الله ﷻ بما دبّر أصحاب الجنة وما بيّتوا من نية الشر، وما دار بينهم من تشاور وتخافت.

(٩) الخوف من الله ﷻ وعدم الأمن من عذابه، كما قال تعالى: **(أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ . أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ. أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)** [الأعراف:٩٧ -٩٩].

(١٠) الاستغناء عن الله ﷻ سبب للتكبر على أوامره، فحين شعر أصحاب الجنة أن الحديقة بحرثهم وجهدهم منعوا حق الله ﷻ فيها، وهذا واضح في عبارتهم: **(أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ)**، وقد قال تعالى: **(كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى . أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى)** [العلق:٦-٧] ، أي رأى نفسه غنيا عن الله ﷻ. فالاستغناء أمر قلبي، أما الغنى فهوأمر مادي، فكم من غني ثري لكنه شديد الافتقار إلى الله ﷻ والتعلق به.

(١١) النصيحة والإنكار على العاصي لا تنفع صاحبها إذا شارك العاصي في المعصية، كما حصل للأوسط من الأخوة أصحاب الجنة، فإنه قد أنكر على إخوته: **(قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ)**، ولكنّ رأيهم غلب رأيه فشاركهم **(فتنادوا)** **(فانطلقوا)**، وبإمكانه أن لا يوافقهم في نصيبه، فيخرج حق الفقراء في نصيبه.

(١٢) **شروط التوبة النصوح** ثلاثة كما اشتملت عليها قصة أصحاب الجنة، **وهي:**

أ ـ الاعتراف لله ﷻ بالذنب: **(قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ)**، وهذا أول مدخل للتوبة، كما في قصة أبوينا آدم وحواء عليهما السلام حين أكلا من الشجرة المحرَّمة: **(قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** [الأعراف:٢٣].

ب ـ الندم على المعصية والخوف من عذاب الله ﷻ. قال الله ﷻ عن ندم أصحاب الجنة وخوفهم من الله: (**فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ . قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ**).

ج ـ العزم على الاستقامة وعدم العودة في المعصية؛ ولذا قالوا: (**عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ**)، فطلبوا من الله ﷻ أن يخلفها عليهم بحديقة أخرى ليتقربوا إليه بالصدقة منها.

الآيات: ٣٤ـ٥٢

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

أ) تقديم:

هذه آيات حوارية عجيبة تقرر التباين الكبير بين المسلمين وبين الكافرين في الآخرة، وأنه لا عذر للكافرين في ترك اتباع الرسول ﷺ، ثم توجهه ﷺ إلى الصبر على دعوة قومه، فلا يتعجل عليهم كما تعجل يونس عليه السلام، وإن بلغ أذاهم ما بلغ.

ب) المعاني:

٣٤. (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ): أي الذين اتقوا عذاب الله ﷻ. بفعل أوامره واجتناب نواهيه. لهم القرب من الله ﷻ في الجنات العظيمة يتنعمون.

٣٥-٣٦. (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ): أي أفتظنون أيها الكفار أن هؤلاء الذين أسلموا لله ﷻ يعذبهم كالمجرمين، ما أعجب حكمكم هذا.

وهذا الحكم الباطل بأن لهم الجنة، وللمسلمين العذاب، سيبين الله ﷻ لهم أنه لا سند له من الصحة، ولا ضمان لهم به، وذلك من خلال الأسئلة الأربعة **التالية**:

٣٧-٣٨. (أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ. إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ): أي هل عندكم أيها الكفار كتاب من الله ﷻ تقرؤون فيه مكتوبا: أن لكم ما تشتهون!. وهذا استفهام إنكاري بأسلوب ساخر.

٣٩. (أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ): أي هل أعطيناكم عهودا مؤكدة تبلغ إلى يوم القيامة من كثرتها بأن لكم ما حكمتم به لأنفسكم من الثواب والنعيم!.

فلا سند ولاعهد لهؤلاء الكفار لامكتوباً ولا غير مكتوب.

٤٠. (سَلْهُم أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ): أي اسألهم يا نبي الله من هو الكفيل منهم الذي يضمن لهم الثواب الذي تعهّد الله ﷻ به لهم على زعمهم.

فكأنهم في عقد مع الله ﷻ، وقد جعلوا على الله ﷻ كفيلا يضمن لهم حقهم لو لم ينفذ الله ﷻ لهم ما وعد. وهذا أسلوب في غاية التهكم. وما دام أنه لا كتاب عندهم من الله ﷻ بأن لهم الجنة، ولا شهود على أن الله ﷻ أقسم لهم بذلك، ولا كفيل يضمن لهم ما ادعوه على الله ﷻ، إذاً فلا حق لهم، فليذهبوا إلى غير الله تعالى:(الشركاء المزعومين).

٤١. (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ): أي هل عند هؤلاء الكفار شركاء مع الله ﷻ في الملك، إذاً فليحضروهم ليحققوا لهم ما ادعوه لأنفسهم من نعيم الجنة، إن كانوا صادقين أنهم شركاء لله ﷻ ينفعون عابديهم أو يشفعون لهم عند الله ﷻ.

٤٢. (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ): أي ليأتوا بشركائهم يوم القيامة العصيب يوم يكشف الرب ﷻ عن ساقه فيسجد له المؤمنون، ويدعى هؤلاء المشركون المراؤون للسجود حينئذ فلا يستطيعون، لتيّس ظهورهم. يقول الرسول الكريم ﷺ: (يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا) [متفق عليه].

٤٣. (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ): أي منخفضة أنظارهم، تغشاهم المهانة، خجلاً وخوفا.

٤٣. (وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ): وقد كانوا قبل في الدنيا يُدْعون إلى الصلاة ويسمعون أذانها، وهم معافَون في أبدانهم لا يمنعهم شيء عن السجود، فلايصلون.

٤٤. (فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ): أي من يكذب بهذا القرآن اترك أمره إلي سأكفيك عذابه .

٤٤. (سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ): أي سنسوقهم إلى الهلاك درجة درجة بطريقة خفية لايشعرون بها، فنمدهم بالصحة وبالغنى، ليزدادوا إثماً ويحق عليهم العذاب (**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ**) [المؤمنون:٥٥-٥٦].

٤٥. (وَأُمْلِي لَهُمْ . إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ): أي وأمهلهم في الحياة ملياً، ليزدادوا إثما ويحق عذابهم. إن عذابي ومكري عظيم.

٤٦. (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ): أي هل طلبتَ منهم مالاً مقابل دخولهم في الإسلام، فهم يمتنعون عن الإسلام لثقل تلك الغرامة عليهم!. أنت لم تطلب ذلك منهم، فلا مانع لهم من الإسلام .

٤٧. (أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ): أي هل عندهم كتاب الغيب فهم ينقلون منه ما ما زعموا لأنفسهم من النعيم.
أو المعنى: هل عندهم علم الغيب فهم يقدّرون لأنفسهم ماأحبوا .
فبعد أن بيّن الله أنه لا مانع لهم من الإسلام، بين هنا أنه لا دافع لهم إلى الكفر ولا دليل لهم عليه، ولكنه العناد والتكبر فليصبر رسول الله ﷺ ولا يستعجل حتى يأتي الله ﷻ بأمره:

٤٨. (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ): أي اصبر لأمر الله ﷻ لك بالدعوة، وما قدّره من تكذيب قومك وإيذائهم لك، وانتظر وعده لك بالنصر، فإنه آت بلا شك. والمقصود بهذا أن يستمر في الدعوة ولاييأس.

٤٨. (وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ): أي لا تستعجل كما استعجل نبي الله يونس عليه السلام، لما كذبه قومه شادّهم وغاضبهم، ثم تركهم وركب البحر، فاضطربت بهم السفينة وسط البحر اضطراباً عجيباً، ظنوا أنه لجرم أتاه أحد منهم، فاقترعوا، فوقع سهم القرعة مرات على يونس عليه السلام، فألقوه في البحر، فالتقمه الحوت، حينئذ نادى ربه وهو محبوس في ظلمات بطن الحوت قائلاً: (**لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**) [الأنبياء:٨٧]،

٤٩. (لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ): أي لولا فضل الله ﷻ عليه بالمغفرة لطرحه الحوت من بطنه بالأرض الخالية وهو ملام على استعجاله في دعوة قومه ومفارقتهم قبل أن يأذن الله له، لكن الله ﷻ أنعم عليه فنبذه وهو مكرم مغفور ذنبه .

٥٠. (فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ): أي فاصطفاه الله ﷻ فأصلح أحواله، بأن أخرجه من بطن الحوت فأنجاه من الغم، وعافاه في بدنه، وغفر ذنبه، وهدى له قومه. قال تعالى: **(فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ . وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ. وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ . فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)** [الصافات:١٤٥-١٤٨].

٥١. (وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ): أي اصبر على دعوتهم ولا تستعجل مهما حنقوا عليك حتى وإن يكادوا يصرعونك بنظراتهم الحاقدة حين يسمعون منك القرآن الكريم. **وقيل**: المراد بالإزلاق بالبصر الإهلاك بالعين الحاسدة .

٥١. (وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ): أي ويقول هؤلاء الكفار:إن محمدا ﷺ بلا شك ذاهب العقل.
ذكر الله هذه الفرية في أول السورة، ثم أعادها هنا في آخر السورة،لشدة قبحها وخطرها. وفيها لا شك سب للقرآن الذي جاء به النبي ﷺ، ولذا مدح الله ﷻ القرآن بعد ذلك فقال:

٥٢. (وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ): أي وليس القرآن الكريم بكلام مجنون، إنما هو إرشاد لكافة الخلق المكلفين، وشرف لهم في الدنيا والآخرة إذا تمسكوا به. وفي هذا رد لتهمة الجنون، إذ لا هداية ولا نفع في كلام المجانين.

ج) الفوائد:

(١) الترغيب والتحفيز من أهم الأساليب المؤثرة في الدعوة والتربية، ولذا ذكر الله ما أعده للمتقين في الآخرة من النعيم.

(٢) الجار قبل الدار، فلأهمية ذلك ذكر الله ﷻ جواره للمتقين قبل أن يذكر منازلهم في الجنات: **(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ)**، وطلبت آسية جوار الله ﷻ أولاً:**(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)** [التحريم:١١].

(٣) الجنة في السماء؛ لأنها عندالله ﷻ، وقد قال الله عن معراج النبي ﷺ إلى السماء: **(وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى)** [النجم:١٣-١٥]، وفي الحديث الصحيح أن أعلى الجنة الفردوس سقفها عرش الرحمن ﷻ.

(٤) اغترار الكفار بأعمالهم وأموالهم، حتى اعتقدوا أنهم على الحق، وأن المسلمين على الضلال: **(فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ)** [النحل:٦٣].

(٥) أهمية محاورة المدعو، ومطالبته بالدليل، ومناقشة أدلته، والإجابة على ما لديه من إشكالات وشُبه، وهكذا فعلت هذه الآيات العظيمة في أسئلة سبعة مثيرة: (**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**)، (**أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ**)، (**أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ علينا**..).

(٦) إثبات صفة الساق لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته. وقد جاء في الحديث الصحيح: أن النار لا تزال تقول: هل من مزيد،حتى يضع فيها رب العزة قدمه، فتقول: قط قط. وقال ابن عباس ﷺ في تفسير كرسي الرب ﷻ أنه موضع قدميه ﷻ.

(٧) إثبات كشف الله ﷻ عن ساقه الكريمة يوم القيامة، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عنه: أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ، قالوا: (يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟، قال: نعم)، ثم ذكر لهم اتّباع كل أمة يوم القيامة ما كانت تعبد من دون الله، ثم قال: (حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فما تنتظرون؟، لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟، فيقولون: نعم. فيكشف عن ساقه، فلا يبقى من كان يسجد لله ﷻ من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد لله اتقاءً ورياءً إلا جعل ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحوّل في صورته التي رأوه فيها أول مرة) رواه البخاري ومسلم.

(٨) إثبات رؤية العباد لله ﷻ في القيامة. وهذا يشمل المؤمنين والمنافقين، دون الكفار، كما وضحه الحديث السابق، **وقيل**: يراه الجميع لقوله تعالى: (**وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوه**) [البقرة:٢٢٣]، ثم يحتجب عن الكفار حسرة لهم: (**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**) [المطففين:١٥].

(٩) السجود والصلاة من أفضل الأعمال المقربة إلى الله ﷻ، الدالة على تعظيمه ﷻ؛ ولذا يسجد المؤمنون لله ﷻ حين يكشف عن ساقه ﷻ تعظيماً له،وفي الحديث: (إن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا فيه من الدعاء).

(١٠) من حَفِظ الله ﷻ حفظه الله ﷻ، فالمصلُّون في الدنيا مخلصين لله ﷻ وفقهم الله ﷻ للسجود يوم القيامة حين كشف ﷻ عن ساقه، أما من كان يُدعى إلى الصلاة فلا يصلي أوكان يُصلِّي رياء وسمعة، فإن الله ﷻ يجعل ظهره طبقا واحدا فلا يستطيع السجود.

(١١) خطر تضييع الصلاة، وسوء عاقبة مضيعها. فقد فضح الله ﷻ تارك الصلاة والمرائي بها يوم القيامة يوم يسجد المؤمنون لرب العالمين، فحرمه من السجود معهم، وغشّاه الذل.

(١٢) الخشوع والتذلل الذي في القلب يظهر على البصر وعلى البدن؛ ولذا وصف الله ﷻ الخائفين يوم القيامة فقال: (**خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ**)، فلو خشع قلب المصلي لخشعت جوارحه ونظراته.

(١٣) استثمار حالة الصحة والقوة والشباب في طاعة الله ﷻ، فإنها تزول، فيتمنى العبد لو عادت سلامته وقوته ليعمل صالحا، وهيهات: (**وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ**)، وفي الحديث: (اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك).

(١٤) من كيد الله ﷻ المتين بالكفار المجرمين: استدارجهم بالنعم وإمهالهم في الحياة، فيغتروا بذلك ويمعنوا في الضلال، قال تعالى: (**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا . وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا . قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا**) [مريم:٧٣-٧٥].

(١٥) استغناء الداعية عن الناس وزهده عما في أيديهم من أكبر أسباب نجاحه،حتى لا يكون لهم منة عليه، وحتى لايكون لهم مانع من اتباعه ، وهكذا كان الرسول ﷺ والأنبياء من قبله لا يسألون الناس أجرا، وكانوا يعملون بأيديهم ويحترفون، وكانوا يصبرون على أشد الجوع وأعظم البلاء.

(١٦) الصبر سلم الوصول لأفضل النتائج بإذن الله ﷻ، وبذلك أوصى الله ﷻ نبيه ﷺ هنا وفي مواضع كثيرة.

(١٧) اليأس يزيد المصيبة، والعجلة تورث الندامة، وهذه تجربة يونس عليه السلام مثال شاهد على ذلك، حين أيِس من استجابة قومه له، فاستعجل وتركهم، فكان له ما كان، لولا أن الله ﷻ تاب عليه وأنجاه .

(١٨) هدف الداعية الهداية لا مجرد التبليغ ، ولهذا عاتب الله ﷻ يونس عليه السلام حين ترك قومه بعد أن بلغهم دين الله ﷻ، وهذا نوح عليه السلام بقي يحاول مع قومه تسعمائة وخمسين عاما حتى أخبره الله ﷻ أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن، حينئذ دعا عليهم لخطورة وجودهم: (**وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا . إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**) [نوح:٢٦-٢٧].

(١٩) توقير الأنبياء، كما فعل الله ﷻ عند ذكر قصة نبيه يونس عليه السلام،وما وقع فيه من الخطأ، فإنه لم يذكره باسمه، بل قال: (**وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ**).

(٢٠) فضل نبي الله يونس عليه السلام، حيث التجأ إلى الله ﷻ في حالة فزع يطيش فيها عقل الحليم، فاجتباه ربه وجعله من الصالحين، وقد قال رسول الله ﷺ: (ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متَّى) [رواه البخاري ومسلم].

(٢١) الأنبياء والصالحون درجات عند الله ﷻ، وقد قال تعالى: (**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ**) [الإسراء:٥٥]، وقال ﷺ: (أنا سيد ولد آدم). وإنما المنهي عنه هو تفضيل أحدهم على غيره من باب التَّنقص للمفضول، ولذا قال ﷺ: (لا تفضلوني على موسى) في قصة الشجار بين الصحابي وبين اليهودي الذي قال إن موسى عليه السلام أفضل العالمين.

(٢٢) شدة بلاء الأنبياء -كما رأينا في ابتلاء الله ﷻ ليونس عليه السلام وتسليطه البحر والحوت عليه- وذلك لرفع درجاتهم، وقد قال ﷺ: (أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل).

(٢٣) ذكر خطأ الإنسان الصالح وعاقبته للاعتبار لا للتشهير، أمر جائز، كما هنا في قصة يونس عليه السلام.

(٢٤) النبي قد يجتهد فيخطئ، وقد يعاتبه الله ﷻ ويلومه، كما قال ﷻ عن يونس عليه السلام لما غاضب قومه لعدم استجابتهم له ثم فارقهم: (**لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ**). أما فيما يبلغ عن ربه من الوحي فهو معصوم لايخطئ: (**إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا،لیعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم**) [الجن:٢٧].

(٢٥) أهمية الدعاء والفزع إلى الله ﷻ في الملمات، كما فعل نبي الله يونس عليه السلام: (**إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ**)، قال تعالى: (**فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ**) [الأنبياء: ٨٧-٨٨]، أي ليست خاصة ليونس عليه السلام، فكل من تضرع إلى الله ﷻ مخلصا مقبلا، وأحسن التوسل أجابه الله ونجاه. ولاشك أن دعاء يونس عليه السلام من أحسن الأدعية والإستغفارات، فهو يقول: (**لاإله إلا أنت**) ولذا دعوتك، (**سبحانك**) ماظلمتني حين أغرقتني، (**إني كنت من الظالمين**) فأنا المقصر في حقك المعترف لك بذنبي .

(٢٦) شكر الله ﷻ على كل نعمة نالها العبد من دفع ضر أو كسب خير؛ ولذا رد الله ﷻ نجاة يونس عليه السلام غير مذموم إلى نعمته ﷻ وفضله: (**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ**) [النحل:٥٣].

(٢٧) المهم نيل رضا الله ﷻ ونجاة الآخرة، فإن النجاة من مصائب الدنيا قد تحدث للعبد وهو مذموم مبعد عن الله ﷻ، إما ابتلاءا وإمهالا من الله ﷻ، وإما لعمل صالح أو دعوة خالصة: (**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**) [العنكبوت:٦٥].

(٢٨) التضحية والتحمل في سبيل الدين والدعوة إليه، فهذا رسول الله ﷺ وهو أفضل الخلق يلاقي أشد العداوة والشتم، حتى يكادون يقتلونه بأبصارهم، وحتى قالوا إنه لمجنون، فلماذا لا نصبر نحن على المشقة والأذى في دين الله ﷻ.

(**٢٩**) قوة حجج القرآن الكريم وتأثيره؛ ولذا يكاد الكفار يهلكون الرسول ﷺ بأبصارهم إذا سمعوا القرآن، ولذا لم يجدوا مفراً إلا أن يصدّوا الناس عن الرسول ﷺ حتى لا يسمعوا منه القرآن، فقالوا إنه لمجنون، وقال تعالى: (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**) [فصلت:٢٦].

(**٣٠**) الطعن في الرسول ﷺ وأئمة الدين هو طعن في الدين بلا شك. كما فعل بعض النصارى واليهود لما أرادوا اتهام الإسلام بالإرهاب للتنفير منه رسموا نبينا ﷺ إرهابيا– قبحهم الله؛ ولذا لما اتهم الكفار الرسول ﷺ بالجنون رد الله ﷻ عليهم بأن القرآن ذكر للعالمين: (**وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ . وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**)، فاعتبر طعنهم في الرسول ﷺ طعناً في القرآن والدين.

(**٣١**) الأدب في الرد على اتهامات الأعداء، فمهما كانت التهمة وكانت منزلة المتَّهم عندنا، ولو هو الرسول ﷺ أو القرآن الكريم، فلا يكن هدفنا سب الأعداء بل نهدف لبيان الحقيقة أملاً في هدايتهم للإسلام، ولهذا كان رد القرآن على سب الكفار للرسول ﷺ رداً هادئًا مركِّزا على بيان الحقيقة: (**وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ . وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**).

(**٣٢**) عموم رسالة النبي ﷺ للعالم،فليست خاصة بقريش أو بالعرب: (**وماهو إلا ذكر للعالين**) (**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا**)، والقرآن مليء بدعوة أهل الكتاب إلى الإسلام: (**ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل . أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير**)، ويقول الرسول ﷺ: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لايؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) [رواه مسلم].

صفحة الواجب ١.٢.١

س١: ما ترتيب سورة القلم في النزول؟.

س٢: ما موضوع سورة القلم؟.

س٣: اذكر ثلاث ميزات لهذه السورة.

س٤: ما معنى الكلمات التالية من السورة: (يسطرون- ممنون- المفتون- تُدُهِن فيدهنون- حلاف مهين- همازٍ- مشاء بنميم- أثيم- عُتل- زنيم- أساطير الأولين- سنسمه- الخرطوم- أصحاب الجنة- ولايستثنون- طائف من ربك- كالصريم- يتخافتون- على حرد- زعيم- يُكشف عن ساق- ترهقهم- سنستدرجهم- أُملي لهم-كيدي متين- مَغرم- كصاحب الحوت- مكظوم- بالعراء- فاجتباه- ليُزلقونك بأبصارهم- الذِّكْر- للعالمين)؟.

س٥: (**ن**) أول السورة، ماذا تسمى في علم التفسير؟، ومالمراد بها؟.

س٦: اذكر ثلاثة أدلة عقلية على صدق رسالته ﷺ مأخوذة من السورة.

س٧: اذكر قصة أصحاب الجنة بإيجاز؟، واذكر أربع فوائد منها؟.

س٨: هل يؤاخذ العبد بنيّة الشر التي لم ينفذها؟.

س٩: اذكرشروط التوبة النصوح من قصة أصحاب الجنة.

س١٠: اذكرسبب كشف الله ﷻ عن ساقه يوم القيامة.

س١١: اذكر قصة صاحب الحوت؟، واذكر أربع فوائد منها.

س١٢: اذكر الشاهد من السورة على مايلي:

أ- الله ﷻ يقسم بما شاء من خلقه.

ب- النهي عن كثرة الحلف بالله ﷻ.

ج- لله ﷻ ساق يراها الناس في القيامة.

د- خطر ترك الصلاة؟.

صفحة الموجز ١-٣-١

سورة الحاقة

أ. المقدمة:

تتحدث سورة الحاقة عن أهوال القيامة، وصدق القرآن الكريم ، وتبرئة الرسول ﷺ من افتراءات الكفار. فبدأت بتفخيم شأن القيامة، ثم ذكرت تكذيب الأقوام السابقة وإهلاكهم، ثم وصفت وقائع عذاب الآخرة، ثم أردفت ببيان حال السعداء والأشقياء، ثم ختمت بالبيان القاطع لصدق الرسول ﷺ وأمانته في تبليغ الوحي، وأن القرآن تذكرة وعظة وحق لاشك فيه ،وأنه رحمة للمؤمنين وحسرة على الكافرين.

ب. الأهداف المؤهلة:

١- قراءة الطالب للسورة بطريقة صحيحة، ليتم حفظها بعد ذلك.

٢- التعرف على معاني ألفاظ السورة.

٣- بيان العذاب الذي حلّ ببعض الأمم السابقة، للعظة والعبرة .

٤- بيان هول القيامة والتعريف ببعض أحداثها.

٥- بيان عظمة نعيم الجنة ، وشدة عذاب النار- والأسباب المؤدية إلى ذلك.

٦- كشف افتراءات الكفار على القرآن الكريم .

ج. المواضيع بإيجاز:

(أ) موضوع السورة، ومناسبتها لما قبلها، وميزاتها.

(ب) معاني أألفاظ السورة.

(ج) فوائد من السورة.

سورة الحاقة

أ) موضوعها:

التذكير بالقيامة، وعاقبة من كذّب بها، وبعض أهوالها، وحال الناس فيها. ثم إثبات صدق المخبر بذلك (الرسول ﷺ والقرآن الكريم).

ب) مناسبتها لسورة القلم:

أكبر قضايا العقيدة التي كانت محل الخصومة بين الرسل وأممهم ثلاث: (**الألوهية**)، وقد تحدثت عنها سورة الملك، و(**الرسالة**) تحدثت عنها سورة القلم، و(**الآخرة**) وهي مدار حديث هذه السورة. ولا شك أن تذكر الآخرة أكبر الدوافع لعبادة الله والعمل بما جاء به رسولهﷺ. وهناك مناسبات أخرى بين السورتين: فالقلم نفت عن الرسول ﷺ الجنون، فجاءت الحاقة تنفي عنه تهمة الشعر والكهانة. وفي كلا السورتين إثبات لصدق الرسول ﷺ والقرآن الكريم.

ج) ميزاتها:

(**١**) ذكرت خمسا من الأمم الهالكة من غير ترتيب زمني: (ثمود، وعاد، وفرعون، وقوم لوط، وقوم نوح).

(**٢**) ذكرت كثيرا من أمور الآخرة: كالنفخ في الصور، ودك الأرض والجبال، وانشقاق السماء، ونزول الملائكة، وحمل العرش، والعرض، وكتب الأعمال، وبعض نعيم الجنة، وعذاب النار.

(**٣**) قوة الألفاظ وصرامة التعبير: (الحاقة–ثلاث مرات ـ، القارعة، الطاغية، عاتية، حسوما، صرعى، رابية، دكة واحدة، الواقعة، القاضية)، وحتى خاطبت حامل الرسالة ﷺ :(**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**).

(**٤**) أسلوب الترهيب والإنذار هو الغالب في السورة على أسلوب الترغيب؛ إذ لم يرد ذكر الجنة فيها إلا في (٦) آيات من (٥٢) آية، لكن آيات القيامة والنار وأخبار الهالكين هي غالب السورة.

الآيات: ١-١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢ ﴾

أ) تقديم:

هذه الآيات مطلع السورة فيها إثارة لهول يوم القيامة،دون تفصيل: (**الْحَاقَّةُ ۞ مَا الْحَاقَّةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ**).

ثم أخذت الآيات تعرض أمما كذّبت بالآخرة فأهلكها الله ﷻ، فتذكر قصصهم بإيجاز شديد، بدون مراعاة للترتيب الزمني: ثمود، وعاد، وفرعون، وقوم لوط (المؤتفكات)، وقوم نوح (أصحاب الجارية).

ب) المعاني:

١. (**الْحَاقَّةُ**): أي القيامة آمنوا بها.

٢. (**مَا الْحَاقَّةُ**): أي ما وصفها؟!. وهذا استفهام تعجب وتهويل.

٣. (**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ**): أي أنت لا تدري ولاتتصور ما حقيقتها ولا تحيط بها.

٤. (**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ**): أي كذبت أمة ثمود وأمة عاد بالقيامة، زعموا أنهم لا يُبعثون .

٥. (**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ**): أي أهلك الله ﷻ كفارهم بالصيحة المجاوزة للحد الشاملة لهم. **وثمود** أمة عربية كانت تسكن الحِجر المعروفة بمدائن صالح، وقد أرسل الله ﷻ إليهم نبياً منهم هو صالح عليه السلام، فكذبوه، فأهلكهم الله ﷻ.

٦-٨. (**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ . فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ**): أي أهلكهم الله ﷻ بريح باردة شديدة مدمرة، سلطها عليهم سبع ليالٍ وثمانية نهارات مستمرة، فلو رأيتهم في تلك الأيام فإنك تراهم ملقين على الأرض موتى كأنهم أسافل نخل ساقط منقعر. فلا ترى منهم نفسا باقية على الحياة .

وعاد قبيلة عربية تسكن الأحقاف جنوب الجزيرة العربية، وهم أقرب الأمم الكافرة زماناً إلى قوم نوح عليه السلام، أرسل الله ﷻ إليهم نبيهم هودا عليه السلام فكذبوه، فأهلكهم الله ﷻ.

٩. (**وَجَاء فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ**): أي فرعون مصر، ومن قبله من الكفرة (كقوم شعيب)، وقرى قوم لوط الآثمات، جاءوا بالفعلة الخاطئة.

وقرى قوم لوط هي سَدُوم وماحولها المعروفة في الأردن حول البحر الميت: (**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ . إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ**) [الأعراف:٨٠-٨١]. (**وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى**) [النجم:٥٤] أي: أسقطها الله ﷻ. (**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ . فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ**) [الحجر:٧٢-٧٤] . **والخاطئ** هو المتعمد للذنب- من خطِئ، بخلاف **المخطئ** من أخطأ: (**رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**) [البقرة:٢٨٦].

١٠. (**فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ . فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً**): أي كل هؤلاء المذكورين عصوا النبي المبعوث لهم من الله ﷻ، فأخذهم الله ﷻ بالعذاب والهلاك أخذة شديدة مستغرقة لهم.

١١. (**إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ**): أي لما ارتفع الماء وغطى الأرض بجبالها حملناكم في السفينة، سفينة نوح عليه السلام.

١٢. (**لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**): أي ذكرنا هذه القصص والحوادث لتكون لكم موعظة تذكركم بقدرة الله ﷻ وصِدْق رسله وخطر التكذيب بالآخرة، ولتحفظ هذه المواعظ وتفهمها أذن مصغية سامعة بفهم .

ج) الفوائد:

(**١**) شدة هول يوم القيامة؛ ولذا كرر الله ﷻ ذكرها، وسماها (الحاقة) و(القارعة)، وقال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**).

(٢) استخدام أساليب التهويل للأمر بحسب خطورته وغفلة الناس عنه؛ ولذا استخدمت الآيات أساليب متنوعة للتذكير بيوم القيامة العظيم والاستعداد له، وكان الرسول ﷺ إذا خطب احمرَّ وجهه وعلا صوته كأنه منذر جيش.

(٣) الإنذار والتخويف من أهم أساليب الدعوة؛ ولذا كان الغالب على هذه السورة وعلى السور المكية بل على سور القرآن الكريم. ومن خاف سلم.

(٤) تذكُّر الآخرة أساس الفلاح، والغفلة عنها أو تكذيبها هو سر الهلاك، ولهذا نسب الله ﷻ هلاك الأمم الكافرة إلى ذلك (**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ**)، ومن أخلص نعم الله ﷻ على عباده هو توفيقهم لكثرة تذكر الآخرة: (**إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ**) [ص:٤٦]، وقد قال ﷺ: (زوروا القبور فإنها تذكّركم بالآخرة).

(٥) عظمة قدرة الله ﷻ ، وهوان الخلق إذا عصوه. فبصوت يُهلك الله ﷻ ثمود، وهم الذين ينحتون الجبال بيوتا فارهين، وبريح يُهلك الله ﷻ عاداً وبلادهم التي لم يخلق مثلها في البلاد. وبالماء يُهلك الله ﷻ فرعون وجنده، ومن قبلهم قوم نوح.

(٦) شناعة جريمة قوم لوط عليه السلام حتى إن الله ﷻ سمى قراهم بالمؤتفكات؛ لشدة إفكهم وجريمتهم واختلاقهم لتلك الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، وقد قال رسول الله ﷺ: (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) [رواه أبو داود بسند صحيح]، وقال ﷺ: (لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلا أو امرأة في الدبر) [رواه الترمذي]. وقد ذكر ابن القيم– رحمه الله – مضار هذا العمل، **ومنه**: (أنه يُحدث الهم والغم، وضيق الصدر، ويطمس نور القلب، ويوجب الوحشة، ويذهب المحاسن، وينزع الحياء، ويورث الوقاحة، والمهانة، والذلة، وينكس الطباع، والذوق السوي) وإذا كان الله ﷻ قد حرّم جماع الزوجة في المحيض وهو عارض، لأنه أذى، فما الظن بالدبر الذي هو محل الأذى الدائم. ولاشك أن ذلك من أخطر مصادر الأمراض وانتقال الجراثيم والفيروسات الوبائية.

(٧) شدة الابتلاء للمؤمنين، وعظمة صبرهم وتوكلهم على الله ﷻ؛ فموسى عليه السلام وأتباعه يُبتلون بالطاغية السفاح فرعون، ونوح عليه السلام يدعو مئات السنين فلا يجاب، ثم يرسل الله ﷻ الطوفان العظيم حتى إن السفينة تجري بنوح عليه السلام وأتباعه في موج كالجبال.

(٨) من حفظ الله ﷻ حفظه الله ﷻ؛ فيرسل الله ﷻ الصيحة الطاغية على ثمود فتهلكهم، ولكن الله ﷻ يُنجي منها صالحا عليه السلام وأتباعه، ويرسل الريح العاتية على عاد فلا تترك لهم باقية، لكن الله ﷻ يُنجي منها هودا عليه السلام وأتباعه، ويشق الله ﷻ البحر لموسى عليه السلام طريقا يبساً فينجيه الله ﷻ ثم يطبق البحر على فرعون وجنوده. ويفجّر الله ﷻ الأرض ويفتح السماء بالماء، حتى يغطي الجبال، فيغرق قوم نوح وابنه وزوجته ، وينجي الله نبيه نوحا عليه السلام ومن معه في السفينة.

(٩) المهم الفهم والاتعاظ وليس مجرد المعرفة والسماع للقصص والحوادث؛ ولذا نص الله ﷻ على الهدف من ذكر قصص الماضين بأنه التذكرة والوعي: (**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**)، ولم يقل: (سامعة)، فإن ذكر الأذن كافٍ في الدلالة على السمع، لكن المقصود ما بعد السمع من الفهم والاتعاظ والعمل، قال تعالى: (**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**) [الزمر:١٨].

الآيات: ١٣-٣٧

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ١٦ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ٣٧ ﴾

أ) تقديم:

هنا تفصيل لخبر الحاقة وبيان لأبرز أحداثها: نفخة الصور، ودك الجبال، وانشقاق السماء، ونزول الرب ﷻ، وعرض العباد عليه، وإعطائهم كتب أعمالهم إما باليمين وإما بالشمال، ثم دخول المؤمنين أصحاب اليمين الجنة، وماسيجدون فيها من النعيم العظيم، ودخول الكافرين أصحاب الشمال النار، وما سيلقون فيها من العذاب الأليم.

ب) المعاني:

١٣. (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ): أي نفخ إسرافيل في البوق، نفخة عظيمة كافية لأن يموت الناس وتنقضي الدنيا وتبدأ أحداث الآخرة.

١٤. (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً): أي حُملت الأرض بجبالها فرجّتا بشدة حتى تتفتت الجبال وتستوي الأرض.

١٥. (فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ): أي فحينئذٍ حدثت الحادثة وبدأت الآخرة بأهوالها التي لا أشد من وقعتها على الخلائق.

١٦. (وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ): أي انفطرت السماء فهي حينئذٍ ضعيفة، بعد أن كانت قوية محكمة الأبواب.

١٧. (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا): أي والملائكة حينئذٍ على أطراف السماء ينتظرون الأمر لهم بالنزول إلى أرض المحشر. **وقيل:** على أرجاء أرض المحشر مصطفين محيطين بأهلها: **(وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)** [الفجر:٢٢].

١٧. (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ): أي ويحمل عرش الرب ﷻ يوم القيامة ثمانية من الملائكة العظام الأقوياء. والعرش هو السرير الذي يجلس عليه الملك: **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)** [طه:٥] ، وكما قال الله ﷻ عن بلقيس ملكة سبأ: **(وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ)**[النمل:٢٣]. وحمْل العرش ليس خاصاً بيوم القيامة، لكن قيده هنا بيوم القيامة لمجيئهم بالعرش إلى أرض المحشرلجلوس الرب ﷻ للقضاء بين العباد.

١٨. (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ): أي في هذا اليوم يوم القيامة تعرضون على الله ﷻ للحساب، وقد علم بكل أحوالكم لا تخفى عليه سريرة من سرائركم. قيل: يُعرضون على الله صفاً واحداً لا يستر أحد أحداً حفاة عراة: **(وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)** [الكهف:٤٨]، **(يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ)** [غافر:١٦] .

١٩-٢٠. (**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ . إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ**): أي فأما من أُعطي كتاب أعماله بيمينه فإنه يقول للآخرين ابتهاجا وسرورا: خذوا اقرؤوا كتابي، إني في الدنيا أيقنت أني سألقى حسابي وجزائي يوم القيامة فاستعددت له بالإيمان والتقوى والعمل الصالح.

٢١-٢٣. (**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ. فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ . قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ**): أي فهذا يكون في عيشة ترضيه غاية الرضا، في جنة رفيعة مكانة ومكانا ، ثمارها قريبة تدنو منه متى أرادها لا يحتاج إلى الصعود لقطفها .

٢٤. (**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**): أي يقال لهم تكريما لهم: كلوا واشربوا كيف شئتم متلذذين بلا كدر ولا مشقة، بسبب ما قدمتم في أيام الدنيا الماضية من أعمال صالحة.

٢٥-٢٩. (**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ . وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ. يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ. مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ**): أي وأما الكافر الشقي الذي أُعطي كتابه بشماله فإنه يقول متحسرا خائفا: أتمنى أنني لم أُعط كتابي أطَّلع على ما فعلت ولم أُحاسَب وأُناقش . أتمنى لو كانت موتتي بالدنيا هي المنهية لي فلم أُبعث بعدها أبدا. ما دفع العذاب عني مالي، وقد زال عني ملكي وقوتي وحجتي.

٣٠-٣٢. (**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ . ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ . ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ**): أي يقال لملائكة العذاب اربطوا يديه في عنقه بالأغلال، ثم في النار أدخلوه وحرقوه ، ثم في سلسلة من سلاسل الجحيم طولها سبعون ذراعا فأدخلوه فيها كما تدخل الخرزة في السلك.

٣٣-٣٤. (**إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ . وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**): أي السبب لتعذيبه هو أنه كان في الدنيا مكذبا بالله ﷻ وبعظمته، ولا يحث نفسه ولا غيره على إطعام المحتاجين. فهو جمع بين الكفر وبين البخل.

٣٥-٣٧. (**فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ . وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ . لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ**): أي فليس له يوم القيامة عند الله ﷻ صديق أو قريب ينفعه، وليس له يومئذ طعام يسد جوعه إلا من صديد أجساد أهل النار المخصص للضالين أصحاب الخطايا الكثيرة .

ج) الفوائد:

(**١**) إثبات الصوْر والنفخ فيه للموت، وهو نفخ عظيم يُحدث صوتاً ورجفة عظيمة وفزعا وموتا، قال ﷻ عن سرعة هذه النفخة ومفاجأتها: (**مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ**) . ويأتي بعدها نفخة البعث، بينهما أربعون سنة، ووقت النفختين: يوم الجمعة. قال ﷻ عن النفختين: (**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ . تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ**) [النازعات:٦-٧].

(٢) سرعة وقوع الآخرة ومفاجأتها للعباد؛ ولذا وصف الله ﷻ النفخة بواحدة، وقال تعالى: (**مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ . فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ**) [يس:٤٨-٤٩]، وفي الحديث: (لتقومنّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه...ولتقومنّ الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها) [رواه البخاري]، وقال ﷺ: (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته وأصغى سمعه، ينتظر أن يؤمر فينفخ) [صحيح رواه الترمذي].

(٣) من أبرز حوادث الآخرة: زوال الجبال واستواء الأرض، وقال ﷺ: (يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي) [رواه البخاري ومسلم] أي كخبزة الدقيق النقي.

(٤) شدة هول يوم القيامة، حتى إن السماء القوية المحكمة تتشقق وتصبح في غاية الضعف، قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**) [الحج:١]، وقال ﷺ: (ما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة، من حين تصبح حتى تطلع الشمس، شفقا من الساعة، إلا الجن والإنس) [صحيح رواه مالك وأحمد والترمذي والنسائي وأبو داود].وهذا الحديث يدل على أن وقت نفخة الموت يوم الجمعة صباحاً قبل طلوع الشمس.

(٥) عظمة الله ﷻ وعجيب قدرته، قال تعالى: (**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**) [الزمر:٦٧]، وقال تعالى: (**مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**) [لقمان:٢٨].

(٦) إثبات عرش الرحمن ﷻ ، وعظمة حملته من الملائكة، ولعظمة العرش وصف الله نفسه به فقال:(**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ**) [غافر:١٥]. واستعمله النبي ﷺ في دعاء الكرب: (لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش الكريم)، وقال ﷺ: (أُذن لي أن أحدِّث عن ملك من ملائكة الله ﷻ من حملة العرش: إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام) [رواه أبو داود بسند صحيح]. **والعرش** أكبر المخلوقات وأعلاها، أما **الكرسي** فهو موضع قدمي الرب ﷻ.

(٧) الأمر والتدبير لله ﷻ وحده، وكل الخلق مفتقرون إليه؛ ولذا اختار الله ﷻ هذا العدد القليل من حملة العرش، تأكيدا لذلك، فما دام الله ﷻ يريد أن يكون الشيء فسيكون. وحتى العرش إنما هو نوع من العظمة الآلهية، وإلا فليس الله ﷻ محتاجاً إليه ولا إلى الملائكة ولا غيرهم من الخلق، بل كلهم محتاجون إلى الله ﷻ.

(٨) الإيمان بالملائكة وعظمتهم وكثرتهم وتنوع أعمالهم واختلاف مراتبهم؛ كحملة العرش، وكتبة الأعمال، وزبانية العذاب. ولا شك أن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان الستة المعروفة.

(٩) مراقبة الله ﷻ وتقواه. فإنه قد وَكَّـــَل بالعبد من يكتب أعماله لا يغادر منها شيئا، ثم يُطلعه الله ﷻ عليها يوم القيامة ويحاسبه: (**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ**)، وقال تعالى: (**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**) [الزلزلة:٧-٨] .

(١٠) إثبات كتابة أعمال العباد، قال تعالى:(**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**) [الانفطار:١٠-١٢]، وقال تعالى:(**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ . مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**) [ق:١٧-١٨].

(١١) من أبرز أحداث القيامة: مجئ الرب ﷻ لفصل القضاء، وعرض العباد عليه، وإيتاؤهم كتب أعمالهم، المؤمنون يعطَون كتبهم باليمين ، والكفار يعطَون كتبهم بالشمال، قال تعالى: (**وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ**) [الفجر:٢٢-٢٣].

(١٢) الأخذ والعطاء باليمين، وكذلك كل ما هو من باب التكريم كالأكل والدخول والصف واللبس والنظافة والتمشيط والحلق والتقليم؛ ولذا أكرم الله ﷻ المؤمنين بإعطائهم كتب أعمالهم باليمين، وحرَم الله ﷻ الكفار من ذلك التكريم فأعطاهم كتب أعمالهم بالشمال إهانة لهم، تقول أم المؤمنين عائشة ﵂:(كان رسول الله ﷺ يعجبه التيامن في شأنه كله: في طهوره، وترجله، وتنعله) [متفق عليه].

(١٣) تذكّر الآخرة والحساب والوقوف بين يدي الله ﷻ هو السبب الذي يحمل الإنسان على طاعة الله ﷻ وتقواه والتوبة النصوح إليه. وهذا ما أعلنه المؤمن الفائز في الآخرة: (**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ**).

(١٤) عظمة نعيم أهل الجنة، فقد منحهم الله ﷻ الرضا بما آتاهم، والرفعة في الجنة العالية، والراحة في تناول ثمارها، وكمال التلذذ بالمآكل والمشارب، والشكر لهم من الله ﷻ على ما أسلفوا في الدنيا من الأعمال الصالحة.

(١٥) الحرص على عمل الصالحات وبخاصة الصدقات والصيام، فإن الله قال لأهل الجنة: (**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**). وهذا، وإن كان يشمل كل ما قدموا من الصالحات إلا أن أقربها مناسبة للأكل والشرب هنا: الصدقات وإطعام المحتاجين، وكذلك الصيام، فإن الصائم قد ترك الطعام وما يشتهي لأجل الله ﷻ فلذا كافأه الله ﷻ بإباحة ما يشتهي مما لذ وطاب من المطاعم و المشارب في الجنة.

(١٦) لا يستكثر المؤمن عملا صالحا قدمه؛ لأن الجنة سلعة غالية ونعيم عظيم وملك كبير، يقول ابن القيم رحمه الله:

ياسلعة الرحمن لست رخيصة بل أنت غالية على الكسلان

يا سلعة الرحمن ليس ينالها في الألف إلا واحد لا اثنان

(١٧) لا يحزن المؤمن على ما فات من الدنيا، فماذا يساوي نعيم الدنيا القصيرة عند ذاك النعيم العظيم في الجنة: **(وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً)** [الإسراء:٢١]، **(ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ)** [التغابن:٩].

(١٨) الدنيا عند الله ﷻ رخيصة، وإنما هي دار ابتلاء لا دار جزاء؛ فلذا يهب الله ﷻ الكافر فيها المال والسلطة، كما حصل لذلك الكافر المتحسر في الآخرة: **(مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ)**، وقال تعالى: **(كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا)** [الإسراء:٢٠].

(١٩) شدة الحساب على الكفار ويسره على المؤمنين؛ فلذا يقول الكافر: **(يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ)**، بل يتمنى الموت مما يعاني ومما ينتظر. أما المؤمن فيعطى كتاب أعماله ليراها فيطير به فرحاً يبشّر أصحابه.

(٢٠) شدة عذاب النار وتنوعه: غل، وتحريق، وسلك في السلاسل، وغسلين، ولوم، وذم.

(٢١) الإيمان أساس قبول الأعمال، ولذا قدَّمه الله ﷻ على إطعام المساكين حين ذكر أسباب دخول النار.

(٢٢) خطر حرمان المساكين وتجويعهم، فقد نسب الله ﷻ دخول الكافر إلى النار إلى عدم حضه على طعام المساكين، فكيف بمن يجيعهم ويصد الناس عن إطعامهم،كما تفعله بعض الدول الكافرة من الحصار الإقتصادي على المسلمين .

(٢٣) فضل إطعام المساكين ومساعدة المحتاجين، والإحسان إلى الناس؛ ولذا ذكر الله ﷻ أن من أسباب دخول الكفار النار هو عدم اهتمامهم بإطعام المساكين، وقد مدح الله ﷻ المؤمنين بإطعام المحتاجين حتى من غير المسلمين: **(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)** [الإنسان:٨].

(٢٤) علو الهمة بالدعوة إلى الخير والحث على الإحسان وإطعام المساكين، فالمؤمن عالي الهمة ليس مطعِما فقط للمساكين، بل ويحض على ذلك أهله والناس. يقول الله ﷻ عن إسماعيل عليه السلام: **(وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ)** [مريم:٥٥].

(٢٥) الكفار ليسو سواء ، فالكافر الذي يطعم المساكين ويقدم الخدمات الإنسانية ليس كالذي جمع بين الكفر والبخل: **(إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ . وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ)** .

(٢٦) الكفار مؤاخذون بفروع الشريعة، فكما يعاقبون على الكفر يعاقبون على حرمان الفقراء وظلم الأيتام وترك الزكاة. وقال تعالى: (**وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**) [فصلت:٦-٧].

الآيات: ٣٨-٥٢

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾

أ) تقديم:

بعدما مرَّ من أنباء غابرة عن الأمم السابقة، وما سيقع من أحداث في الآخرة، جاءت السورة هنا تؤكد حقيقة وصدق هذه الأخبار، التي يُشكك فيها الكفار ويقابلونها بالتكذيب والسخرية. فهذه الآيات كلها تقرير لصدق الرسول ﷺ والقرآن الكريم.

ب) المعاني:

٣٨-٤٠. (**فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لَا تُبْصِرُونَ . إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**): أي فلا صحة لما يزعمه المشركون، أقسم بكل ما ترونه وبما لا ترونه إن هذا القرآن لقول رسول شريف أرسلناه به إليكم.

٤١. (**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ . قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ**): أي ليس القرآن شعراً قاله شاعر كما تزعمون، لكنكم تكبَّرتم عن الإيمان به فاتهمتوه بذلك ولم تتأملوا ولو قليلاً لتدركوا أنه ليس قول شاعر.

فلفظ: (**قَلِيلًا**) جرى على أسلوب العرب في مثل قولهم: (أقلوا عليهم اللوم) أي: لا تلوموهم.

٤٢. (وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ . قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ): أي وليس القرآن بكلام كاهن مدعٍ للغيب، كما تزعمون، فأنتم لم تتفكروا فيه ولو قليلاً وإلا لما قلتم ذلك.

٤٣. (تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ): أي القرآن منزل على الرسول ﷺ من الله ﷻ رب الخلق كلهم.

٤٤-٤٧. (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ): أي لو أن محمدا ﷺ اختلق علينا شيئا من الكلام لأخذنا بيمينه ثم قطعنا العرق الكبير المتصل بقلبه ليهلك، فما يستطيع أحد أن يمنعنا منه.

٤٨. (وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ): أي القرآن موعظة وتذكير بالخير ينتفع به من يريد الوقاية من عذاب الله ﷻ.

٤٩. (وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ): أي ونحن نعلم أن منكم أيها الناس مكذبون بالقرآن وبما أخبركم به من سوء عاقبة الكافرين في الدنيا والآخرة. لكن ذلك لا يطعن في مصداقية كتابنا، ولن نبالي بتكذيبكم.

٥٠. (وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ): أي وسيكون هذا القرآن ندامة يوم القيامة على الذين كفروا، حين يرون العذاب الواقع بهم، ويشاهدون الفوز العظيم للمؤمنين فيتمنون أنهم آمنوا بالقرآن واتبعوه: **(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا)** [الفرقان:٢٧.٢٩].

٥١. (وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ): أي وإن القرآن من الله حقاً بلا ريب، وكله حقائق ثابتة لا يتطرق إليه الباطل بوجه.

٥٢. (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) [الحاقة:٥٢]: أي نزهه عما لا يليق بعظمته وفضله، وقل سبحان ربي العظيم عما يصف به الكافرون كلامه: **(سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ)** [المؤمنون:٩١].

ج) الفوائد:

(١) عظمة القرآن الكريم؛ ولذا أقسم الله ﷻ قسماً معظَّماً على صدقه، ودافع عنه، وعظّم إنزاله: **(تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ)**، ومدحه بأنه تذكرة للمتقين، وأنه حق اليقين، وقال تعالى: **(وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ)** [فصلت:٤١].

(٢) توقير الرسول ﷺ كما وقّره الله ﷻ وكرّمه، فوصفه بالرسول ﷺ الكريم، وقال تعالى: **(فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** [الأعراف:١٥٧]،ومعنى عزروه: وقّروه.

(٣) محدودية علم الإنسان وبصره، فهناك عوالم أكبر وآفاق أبعد لا يدركها ببصره مهما تطورت وسائله: (**وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**) [الإسراء:٨٥]. وكلما ازداد الإنسان علماً بهذا الكون الفسيح الهائل ازداد تواضعا أمام عظمة الخالق ﷻ، وازداد إجلالا وخشية للذي أبدعه.

(٤) افتراءات أعداء الإسلام لا حدود لها، فلا يردعهم أمانة ولا عقل، فيمكن أن يقولوا لما ليس شِعراً إنه شِعر، لأنهم ينطلقون من هوى مبغض للإسلام، والهوى يعمي ويصم.

(٥) أهمية الرد على الشبه التي يثيرها أعداء الإسلام، كما فعلت هذه الآيات، وهذا من أعظم الجهاد وأكبره، كما قال تعالى عن الجهاد بالقرآن وحججه القوية: (**وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**) [الفرقان:٥٢].

(٦) الرفق في الدعوة، والتركيز على بيان الحق للخصم مهما تطاول في السب والاتهام، كما هو منهج هذه الآيات، حيث بينت أن القرآن وحي من الله ﷻ، ولا صحة لدعوى الشعر والكهانة.

(٧) إثبات العلو المكاني لله ﷻ: (**تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**) والتنزيل إنما يكون من أعلى إلى أسفل.

(٨) سنة الرسول ﷺ وحي من الله ﷻ ، إذ ليس له أن يأتي بشيء من نفسه، ولو تقوَّل على الله ﷻ شيئا لأهلكه الله تعالى: (**إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**) [النجم:٤].

(٩) تسبيح الله ﷻ وذكره من أفضل الأعمال ومن أكبر أسباب إزالة الهم وانشراح الصدر، وبخاصة في مواجهة أعداء الإسلام الساخرين من الإسلام والمسلمين؛ ولذا أرشد الله ﷻ إلى ذلك نبيه محمداً ﷺ في ختام هذه السورة .

صفحة الواجب ١.٣.١

س١: ماهي الأمم الخمس الكافرة الهالكة التي سمتهم سورة الحاقة؟.

س٢: اذكر الأسماء الثلاثة ليوم القيامة في هذه السورة.

س٣: (عاد، وثمود، والمؤتفكات، وفرعون) حدّد ديارهم؟، والنبي الذي بعثه الله ﷻ إليهم؟، وبماذا أهلكهم الله ﷻ؟.

س٤: اكتب معاني كلمات السورة التالية: (الحاقة- القارعة- بالطاغية- صرصر عاتية- حسوما- أعجاز نخل- خاوية- المؤتفكات- بالخاطئة- رابية- طغا الماء- الجارية- تذكرة- وتعيها- واعية- الصور- دُكتا- الواقعة- واهية- الملَك- على أرجائها- هاؤمُ- قطوفها- دانية- بما أسلفتم- الخالية- القاضية- ماليه – فغلوه- صَلّوه- ذرعها- فاسلكوه- ولايحض- حميم- غسلين- الخاطئون- تقوّل علينا- لأخذنا منه باليمين- الوتين).

س٥: اذكر الشاهد من السورة الدال على ما يلي:

أ- عدد حملة العرش ثمانية.

ب- علو الله بذاته على خلقه.

س٦: اذكر حديثاً نبوياً فيمايلي:

أ- شناعة فاحشة قوم لوط.

ب- عظمة خِلقة حملة العرش.

س٧: كم النفخات في الصور؟، وفي أي يوم من الأسبوع تقع؟، وفي أي ساعة منه؟، ومن هو الملَك النافخ؟.

صفحة الموجز ١-٤-١

سورة المعارج

أ. المقدمة:

جاءت هذه السورة ترد على من كذب بعذاب الآخرة، واصفة هول يوم القيامة، وشدة عذاب النار. ثم بينت طريق الناجين الفائزين بالجنات، ثم ختمت بالحوار مع الكفار الساخرين بالرسول ﷺ والقرآن، مهددة إياهم بالهلاك وسوء المصير.

ب. الأهداف المؤهلة:

١- قراءة الطالب للسورة بطريقة صحيحة، ليتم حفظها بعد ذلك.

٢ – التعرف على معاني ألفاظ السورة.

٣- بيان شيئ من أهوال الآخرة.

٤- بيان أبرز صفات وأعمال الفائزين بالجنات، ليمتثلها الطالب في حياته.

ج.المواضيع بإيجاز

(أ) موضوع السورة، ومناسبتها لما قبلها، وميزاتها.

(**ب**) معاني ألفاظ السورة.

(**ج**) فوائد من السورة.

سورة المعارج

أ) موضوعها:

الرد على المكذبين باليوم الآخر، وبيان عظمته وبعض أحداثه، وأسباب النجاة منه.

ب) مناسبتها لسورة الحاقة:

بينهما توافق كبير في الموضوع، حيث أن مدار حديثهما على اليوم الآخر، مع اختلاف في الأسلوب والمعلومات؛ حيث قررت سورة المعارج قرب اليوم الآخر، وركزت على وصف الإنسان في القيامة، وأضافت أسباب دخول الجنة. فهي تأكيد وتتميم لسورة الحاقة.

ج) ميزاتها:

(١) ذكرت كثيرا من أمور الآخرة، **منها**: طول يوم القيامة وقربه، وتغير السماء والجبال، وسرعة الخروج من القبور، والاتجاه إلى المحشر في خشوع وذل، وذهول الناس، وكرب الكفار، وهول النار.

(٢) بينت أسباب دخول الجنة: الصلاة مع المداومة عليها والمحافظة، وأداء الزكاة لمستحقيها، والتصديق بالآخرة، والخوف من عذاب الله ﷻ، وحفظ الفروج من الحرام، ورعاية الأمانات والعهود، وأداء الشهادة دون تغيير.

الآيات: ١. ١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾

أ) تقديم:

هذه الآيات هي مطلع سورة المعارج، وهي حديث عن هول يوم القيامة، وشدة عذاب النار- أعاذنا الله منها. بدأت بعرض دعاء عجيب من أحد الكفار بأن ينزّل الله العذاب عليهم ، استبعاداً لوقوعه! . ثم أخذت الآيات تصف هول يوم القيامة وقربه، ومايحدث فيه من تغيرات كونية، ورعب عام، وبخاصة على المجرم. ثم عظمت شأن النار، وأشارت إلى أسباب دخولها.

ب) المعاني:

١-٣. (**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ . لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ . مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ**): أي دعا داعٍ من المشركين على نفسه وقومه بنزول العذاب الذي يعدهم به النبي محمد ﷺ، وهو لا شك واقع بهم، لا يستطيع أحد منع وقوعه من الله ﷻ ذي العلو والدرجات الرفيعة. السؤال المذكور سؤال تكذيب وتحدٍ: (**وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**) [الأنفال: ٣٢]. **والمعارج** هنا هي المصاعد والدرجات السماوية التي يصعد منها الملائكة والأرواح والأعمال.

٤. (**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**): أي تصعد إليه الملائكة بمن فيهم جبريل عليه السلام، وذلك في يوم القيامة البالغ طوله خمسين ألف سنة من سنى الدنيا.
ذكر عروج الملائكة في يوم القيامة إشارة إلى كثرة مايحدثه الله ﷻ في ذلك اليوم من أوامر وتدبيرات تنزل وتصعد بها ملائكته إليه.

٥–٧. (**فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً . إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً . وَنَرَاهُ قَرِيباً**): أي استمر على دعوتهم مهما كذبوك دون تضجر ولا أذى ولا يأس، وانتظر بهم يوم القيامة فإنهم وإن استبعدوا وقوعه مكذِّبين به إلا أنه واقع يسير على الله ﷻ قريب في حساب الأيام عنده.

٨–٩. (**يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ**): أي يوم القيامة تكون السماء كالرصاص المذاب، وتكون الجبال كالصوف المنتفش الملوَّن.

١٠–١١. (**وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً . يُبَصَّرُونَهُمْ**): أي في ذلك اليوم لا يسأل قريب ولا صديق صاحبه عن حاله ولايهتم به مع أنهم يرونهم ويرون معاناتهم ويعرفونهم.

١١–١٤. (**يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ**): أي يتمنى الكافر الظالم لو يفدي نفسه من عذاب يوم القيامة بأبنائه، وزوجه، وأخيه، وعشيرته التي تضمه وتجيره في الشدائد، وبجميع أهل الأرض، حتى ينجيه الله من هذا العذاب .

١٥–١٦. (**كَلَّا إِنَّهَا لَظَى . نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى**): زجراً لهذا الكافر لافداء له من العذاب، إن العقوبة التي تنتظره هي نارالآخرة المتلهّبة، التي تنزع بشدة جلدة الرأس وأطراف البدن.

١٧–١٨. (**تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى . وَجَمَعَ فَأَوْعَى**): أي تنادي إلى نفسها من أعرض عن الحق وترك طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ، وانشغل بالمال يجمع ويخزن، لا يؤدي حق الله ﷻ فيها.

ج) الفوائد:

(**١**) شدة إنكار الكفار للقيامة، وأمنهم من مكر الله ﷻ، حتى إنهم يسألون العذاب ويستعجلون القيامة .

(**٢**) الحذر من الدعاء على النفس بالشر؛ ولذا ذم الله فعل هذا الكافر الذي سأل العذاب من الله، وقال تعالى: (**وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً**) [الإسراء:١١]، وقال ﷺ:(لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعو على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم) [رواه مسلم].

(٣) إثبات العلو الذاتي لله ﷻ، دل على ذلك العروج إليه، وهو إنما يكون من الأسفل إلى الأعلى.

(٤) الارتفاع الشاهق بين السماء والأرض؛ ولذا عظَّم الله ﷻ نفسه بالمعارج، وقد قال تعال: (**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ**) [السجدة:٥]، أي أن نزول الملائكة بالأمر الإلهي من السماء إلى الأرض، ثم عروجها بما حصل، تقدر مسافته بمسيرة ألف سنة من سني الدنيا. وهذا يعني أن المسافة بين السماء والأرض خمسمائة عام، كما وردت بذلك الأحاديث.

(٥) عظمة الملائكة عليهم السلام وسرعتهم؛ ولذا عظّم الله ﷻ نفسه بعروجهم إليه. وإذا كان العلم الحديث يحدد المسافات الفلكية بآلاف السنين الضوئية، فهذا يدل على أن سرعة الملائكة فوق تخيلات البشر، وقد كان السؤال يرد على رسول الله ﷺ فلا يكاد السائل يفرغ من سؤاله حتى يأتيه جبريل عليه السلام بالوحي من الله ﷻ.

(٦) فضل جبريل عليه السلام؛ ولذا خصه الله ﷻ بالذكر من بين الملائكة وسماه: (الروح).

(٧) التفاضل بين الملائكة؛ ولذا فقد فضّل الله ﷻ جبريل عليه السلام من بينهم.

(٨) تقديم أهل العلم الشرعي والدعوة إلى الله ﷻ على غيرهم من الناس ومن المتعلمين؛ ولذا فضّل الله ﷻ جبريل عليه السلام حامل الوحي على غيره من الملائكة عليهم السلام، فخصه بالذكر، وقد يذكره قبلهم: (**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا**) [النبأ:٣٨]، ولمكانة أهل العلم الشرعي فقد قرنهم بملائكته مستشهدا بهم في قضية التوحيد، أكبر قضايا الدين، فقال تعالى: (**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) [آل عمران:١٨].

(٩) ثقل يوم القيامة وطوله، والبالغ خمسين ألف سنة، وفي الحديث: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار، فأُحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أُعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار) [متفق عليه].

(١٠) اختلاف حساب الوقت من زمن إلى زمن ومن مكان إلى آخر؛ ولذا كان طول يوم القيامة أضعاف يوم الدنيا بملايين المرات. ومعلوم اختلاف اليوم الذي يمر فيه ليل ونهار في بعض أجزاء الكرة الأرضية حيث يبلغ أشهرا في أقطابها، وكذلك يختلف طول اليوم على الكواكب الأخرى اختلافا شديدا. وفي سورة الحج يقول الله تعالى: (**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ**) [الحج:٤٧].

قال ابن عباس ﷺ: يعني يوما من الأيام الستة التي خلق فيها السماوات والأرض. **وقيل**: إن يوما من عذاب الآخرة كألف سنة عندكم، لشدته.

(**١١**) الصبر الجميل على مشقة الدعوة، وعلى إعراض المدعوين وأذاهم، فلا يتوقف الداعية ولا ييأس، ولا يتضجَّر، ولا يدفع إلا بالتي هي أحسن، قال تعالى: (**وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**) [الحجر:٨٥].

(**١٢**) قرب القيامة، وبخاصة في زماننا هذا، فقد قال رسول الله ﷺ: (بُعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى)، وقال تعالى: (**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ**) [القمر:١]، وقال رسول الله ﷺ: (إنما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس) [رواه البخاري ومسلم].

(**١٣**) هول أحداث يوم القيامة؛ فالسماء تذوب حتى تصبح كالرصاص أو حثالة الزيت، والجبال تخف حتى تصبح كالصوف المندوف المصبوغ بالألوان المتعددة. فإذا كان هذا حال هذين المخلوقين والآيتين العظيمتين، فما بالك بالإنسان الضعيف والمذنب الذليل.

(**١٤**) الذهول البشري العام يوم القيامة؛ لا يسأل أحد أحدا عن ذنبه ولا يهتم له، لأنه مشغول بنفسه لما يرى من هول الموقف وغضب الرب ﷻ يومئذٍ: (**فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ**) [الرحمن:٣٩]، (**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ**) [المؤمنون:١٠١]، أي فلا أنساب تنفع يومئذٍ. ولذا ترى أكابر الرسل يعتذرون عن الشفاعة الكبربعند الله ليقضي بين العباد، كلٌ يقول: (نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري)[متفق عليه]. وفي حوار عجيب بين أم المؤمنين عائشة ﷺ وبين الرسول ﷺ حين قال: (يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا)، فقالت: (يا رسول الله، الرجال والنساء جميعا، ينظر بعضهم إلى بعض؟)، قال:(يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض) [متفق عليه]. لكن الله ﷻ يُخفف ذلك الفزع على المؤمنين: (**وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ**) [النمل:٨٩].

(**١٥**) شدة كرب المجرمين يوم القيامة وعسره عليهم لما يحل بهم من الشدة وما يبشَّرون به من العذاب، حتى إنهم لو يستطيعون فكاك أنفسهم بأعز أهلهم لفعلوا، لكن في ذلك اليوم لا يؤخذ من النفس فدية أياً كانت.

(**١٦**) شدة عذاب النار ـ أعاذنا الله منها ـ؛ ولذا هوَّل الله ﷻ من شأنها، وسماها: (**لَظَى**) ا سماً يدل على شدة التسعُّر، ووصفها بـ: (**نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى**) من شدة نزعها لجلودهم وأطرافهم، تشويها شيّاً: (**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ**) [النساء:٥٦].

(**١٧**) النار بإذن الله ﷻ تُحس وتتكلم، فتدعو أهلها إليها: (**إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا**) [الفرقان:١٢]، وقد أخبر الله ﷻ عن حواره مع النار: (**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ**) [ق:٣٠].

(**١٨**) التكبر عن الحق، والحرص على الدنيا، هما سببا الضلال والفساد؛ ولهذا جعلها الله ﷻ وصفا لكل أهل النار: (**تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى . وَجَمَعَ فَأَوْعَى**)، وقد قال ﷺ: (ألا أخبركم بأهل النار؟، كل عُتُل جواظ مستكبر) [متفق عليه]. العتل: الجافي، والجواظ: المختال.

الآيات: ١٩-٣٥

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

أ) تقديم:

هذه آيات كريمة، فيها مدح لأهل الإيمان وتبرأتهم من الجزع والبخل، وبيان صفاتهم الطيبة، من الصلاة والزكاة، والإيمان والخشية، والبعد عن الزنا والخيانة والتزوير. وهي شبيهة بالآيات التي في أول سورة المؤمنين: (**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**) [المؤمنون: ١-٢].

ب) المعاني:

١٩-٢١. (**إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً**): أي الإنسان جبله الله ﷻ على الحرص الشديد على الحياة الدنيا، فهو إن أصابه المكروه حزن أشد الحزن، وإن أصابه الخير والمال منعه عن مستحقيه.

٢٢-٢٣. (**إِلَّا الْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ**): أي إلا أهل الصلاة المواظبين على أدائها في أوقاتها.

٢٤-٢٥. (**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**): أي والذين جعلوا في أموالهم مبلغا محددا للمحتاج، سواء المحتاج الذي يطلب المساعدة، أو المحتاج المحروم من العطاء الذي لايسأل الناس فلا يعرفون حاله .

٢٦. (**وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ**): أي يوقنون أن هناك موعدا للحساب وللجزاء بعد البعث لا يشكُّون فيه.

٢٧-٢٨. (**وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ . إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ**): أي ورغم أنهم مداومون على الصلاة ومتصدقون ابتغاء ثواب الله؛ فإنهم خائفون من تعذيب الله ﷻ لهم على ذنوبهم، وحذرون من أسباب عذابه، لأن عذاب الله ممكن الوقوع بمن عصاه، حري أن يُحذر لشدته.

٢٩-٣١. (**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**): أي الحافظون لفروجهم عما حرَّم الله ﷻ عليهم، لكن في حق زوجاتهم وإمائهم فإنهم لا عيب عليهم في جماعهن، أما من طلب لقضاء شهوته غير زوجته ومملوكته فإنه ظالم مجاوز لحده الشرعي.

٣٢. (**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**): أي محافظون مؤدون لما استؤمنوا عليه وتحملوه من مسئوليات وودائع لا يخونونها، موفون بما عاهدوا عليه والتزموه لا ينقضونه، سواء كانت أمانات وعهود دينية مع الله ﷻ، أو دنيوية مع الناس. **والأمانات** غالبا تطلق على الأشياء المطلوب حفظها، وقد تطلق على كافة التكاليف الشرعية. **والعهد** يطلق غالبا على الالتزام لأحد بالقيام بعمل أو تركه. ومضيِّع الأمانة يسمى **خائن**، ومضيِّع العهد يسمى **غادر**، كما في حديث صفات المنافق: (وإذا عاهد غدر، وإذا اؤتمن خان)، **وجمع** الأمانات؛ لأنها غالبا في أعيان ظاهرة، أما العهد فهو التزام في الذمة.

٣٣. (**وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ**): أي يؤدون شهاداتهم كما هي، لا يكتمونها ، ولا يغيرون فيها.

وهذا يشمل الشهادة لأحد أو عليه، ويشمل الشهادة الأهم- الشهادة لله ﷻ بالوحدانية. **وذكر** أداء الشهادات بعد رعاية الأمانات والعهود؛ لأن الشهادات هي الطريق لحفظ الحقوق عند التنازع والتقصير في أداء الأمانات والعهود

٣٤. (**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**): أي يؤدونها تامة ويحافظون عليها مما يبطلها أو ينقصها. فبدأ صفات المؤمنين بالمداومة على الصلاة، وختمها بحسن أدائها.

٣٥. (**أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ**): أي الموصوفون بتلك الصفات يُدخلهم الله ﷻ في جنات النعيم يكرمون بأنواع الكرامات.

ج) الفوائد:

(١) الضعف طبيعة الإنسان؛ ولذا غالبا لا يصبر عند المكروه، ويظن أن المال هو الذي يحميه من كل شر فيتمسك به ويبخل: (**يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ**) [الهمزة:٣].

(٢) الحث على الصبر، وعلى الكرم، وذم الجزع والبخل؛ ولذا نفاهما الله ﷻ عن المصلين المؤمنين، وقال ﷺ: (الصدقة برهان، والصبر ضياء) [رواه مسلم]، أي الصدقة برهان على الإيمان، والصبر نور يضيء الطريق في الحياة وبعد الممات.

(٣) عظمة شأن الصلاة؛ ولذا بدأ بها صفات المؤمنين وختمها بها، وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وقال ﷺ: (إن بين الرجل والكفر ترك الصلاة) [رواه مسلم].

(٤) الصلاة تنهى عن الخلق الذميم، وتحمل على الخُلق الحَسَن؛ كالصبر والجود؛ لأنها تعلق القلب دائما بالله تعالى: (**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ**) [العنكبوت:٤٥].

(٥) الحث على المداومة على الصلاة، وحسن أدائها؛ فقد مدح الله ﷻ المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون، والذين هم على صلاتهم يحافظون. ويقول ﷻ: (**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**) [الماعون:٤-٥]، وقال رسول الله ﷺ: (من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله) [رواه البخاري]، وقال عن المصلي الذي ينقر صلاته: (إنك لم تصلّ).

(٦) أهمية إخراج الزكاة وإعطائها لمستحقيها؛ ولذا قرنها الله ﷻ بالصلاة ومدح أهلها، وقد قاتل أبو بكر الصديق ﷺ مانعي الزكاة مستدلاً بأن الله ﷻ قرنها بالصلاة. وهي طهارة للنفس من الشح ومن الذنوب وتزكية للمال ونماء له قال تعالى: (**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**) [التوبة:١٠٣].

(٧) إغناء الناس عن المسألة، والبحث عن المحتاجين المتعففين، وحفظ ماء وجوههم؛ ولذا نص الله ﷻ على إعطاء السائل، وإعطاء المحروم المتعفف الذي قد لا يُنتبه إليه. وقال تعالى: (**لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ**) [البقرة:٢٧٣].

(٨) الإيمان بالآخرة وعظيم ثوابها هو سبب دافع للصبر والكرم؛ فتهون على المؤمن نفسه، وتهون عليه الدنيا (**وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**) [الأعلى:١٧]؛ ولذا قال رسول الله ﷺ: (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيرا له) [رواه مسلم].

(٩) الخوف من الله ﷻ، وعدم الأمن من مكره، فتلك صفة أهل الإيمان ، وكلما كان العبد أعرف بالله ﷻ كان منه أخوف؛ ولذا قال ﷺ: (إني لأخشاكم لله) وقال ﷺ: (إني لاستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة).

(١٠) التحذير من الزنا واللواط والسحاق والعادة السرية؛ لأن الله ﷻ خص قضاء الشهوة بالزوجة وملك اليمين، وما عداهما فيجب حفظ الفرج عنه: (**فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**) [المؤمنون:٧].

(١١) الحذر من أسباب الفواحش، ومن **ذلك**: التستر وحفظ الفرج عن أن يُرى أو يلفت الأنظار، وعدم استثارة الشهوة المحرمة بلباس أو بأشكال أو حركات أو كلمات أو أغنيات أو صور؛ ولذا مدح الله ﷻ المحافظين على فروجهم. وقد نهى الله ﷻ المؤمنات عن إبداء الزينة حتى مجرد صوت الجواهر المغطاة تحت الثياب: (**ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) [النور:٣١].

(١٢) الحرص على الزواج لإعفاف النفس عن التطلع إلى الحرام، فذلك من أهم طرق الحفظ الذي شرعه الله ﷻ في هذه الآيات. وقال رسول الله ﷺ:(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج).

(١٣) الحث على رعاية الأمانات والمسؤوليات الدينية والدنيوية، قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**) [الأنفال:٢٧]، ويقول الرسولﷺ:(لا إيمان لمن لا أمانة له)[رواه أحمد]، وقال رسول الله ﷺ عن الوظائف العامة: (إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها) [رواه مسلم]، ومن الأمانات السِّر، قال ﷺ: (إذا حدَّث رجل رجلاً بحديث ثم التفت، فهو أمانة) [رواه أبو داود]، وقال ﷺ: (المجالس بالأمانة) [رواه أبو داود].

(١٤) الوفاء بالعهود والمواثيق، والحذر من الغدر، ولو مع غير المسلمين: (**وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً**) [الإسراء:٣٤]، وهذا يشمل ما هو لله ﷻ، وما هو للعباد، قال ﷻ يصف الأبرار أصحاب الجنة: (**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ**) [الإنسان:٧]، وقال تعالى: (**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ**) [الرعد:٢٠]. وقال ﷺ: (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة) [رواه البخاري].

(١٥) الشهادة بالحق، فلا يشهد إلا بما يعلم، ولا يكتم الشهادة، ولا يغير فيها، بل يؤديها تامة كما هي؛ فقد مدح الله القائمين بشهاداتهم، وقال تعالى (**وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ**) [البقرة:٢٨٣]، وقد شدد الرسول ﷺ على شهادة الزُّور وعدَّها من أكبر الكبائر.

(١٦) تذكُّر الجنة ونعيمها من أكبر الدوافع للصبر والبذل في الخير؛ ولذا بشّرالله ﷻ بها ثوابا لعباده الصالحين.
ولاشك أن الجنة أغلى من كل شيء في الدنيا،ولذا يقول الله تعالى: (**إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ**) [التوبة:١١١]. **وتأمل** الإزراء بالدنيا كلها في هذين الحديثين العظيمين: إذ يقول الرسول ﷺ: (لَموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها) [رواه البخاري]، وقال ﷺ: (لوأن أمرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض، لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها) [رواه البخاري].

الآيات: ٣٦-٤٤

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

أ) تقديم:

بعد أن بيَّنت السورة صفات أهل الجنة، التفتت هنا إلى مشركي قريش بمكة المكذبين بالآخرة الساخرين بالرسول ﷺ يظنون أنهم هم الصالحون المضمون لهم النعيم في الجنة، فتهددهم وتثير في قلوبهم الخوف والحذر من يوم القيامة الموعود.

ب) المعاني:

٣٦-٣٨. (**فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ . عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ . أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ**): أي بعد أن بيّنا صفات المستحقين للجنة، فما بال هؤلاء الكفار المجردين من هذه الصفات مسرعين نحوك ممدودي الأعناق يستمعون إليك بتعجب، في مجموعات متفرقة عن يمينك وعن شمالك، أيرجو كل واحد من هؤلاء الكفار أن يُدخله الله ﷻ الجنة يتنعم فيها ؟!، إنه ظن عجيب.

وهذا الوصف يصوّر حرص كفار مكة على استماع القرآن الكريم، ولكن ليس للانتفاع والاهتداء، وإنما للطعن والاستهزاء بالقرآن؛ ولذا يجلسون حول النبي ﷺ منعزلين في مجموعات.

٣٩. (**كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ**): أي لا صحة لظنهم أن الله ﷻ يُدخلهم الجنة، فإن الله ﷻ خلقهم من ماء مهين كما يعرفون، لا تميز لهم يوجب لهم الجنة.

٤٠-٤١. (فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ . عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ): أي أقسم بالله ﷻ رب مشارق الشمس والكواكب ومغاربها إنه ﷻ قادر على أن يُهلك هؤلاء الكفار المستهزئين، ويأتي بقوم أصلح منهم، فلن يهربوا من عذابه ويعجزوه.

٤٢. (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ): أي ما دام أنك بيّنت لهم ولكنهم أصروا واستكبروا فاتركهم يخوضوا في باطلهم وفسادهم، ويلعبوا ويلهوا في دنياهم، حتى يلاقوا يوم القيامة الذي يوعدون بعذابه.

فهذا أسلوب تهديد وليس إذنا لهم في الكفر، كقوله تعالى: **(ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)** [الحجر:٣] .

٤٣. (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) : أي في ذلك اليوم يخرجون من القبور بسرعة منطلقين إلى أرض المحشر، يشبهون في ذلك منظرهم في الدنيا وهم يركضون إلى حجارتهم وأصنامهم التي نصبوها للتبرك والعبادة، أيهم يستلمها أوّلاً.

والنُصُب والأنصاب جمع نَصْب، قال تعالى: **(وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ)** [المائدة:٣]، وهي حجارة أو غيرها ينصبونها ليذبحوا عليها أو عندها ويتبركون بها. وقد **يراد** بالنصب هنا: الغرض الذي ينصبه المتسابقون أو يحددونه للوصول إليه، وهذا التشبيه يدل على وحدة اتجاه الجميع يوم القيامة لأرض المحشر واستقامتهم ودلالتهم المكان: **(يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ)** [طه:١٠٨].

٤٤. (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ): أي في ذلك اليوم أنظارهم منكسرة خاضعة من الخجل والخوف والتعب تغشاهم الحقارة، فذلك هو يوم القيامة الذي كانوا في الدنيا يوعدون به فيكذبون- قد تحقق. ها هو اليوم الذي وُعدوا بعذابه قد وقع، وكانوا قبل في الدنيا يطلبونه ويستعجلونه: **(سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ)**، وبهذا ارتبط أول السورة بآخرها.

ج) الفوائد:

(١) قد يحضر مجالس العلم والذكر من لا يطلب الحق، وإنما يحضر لإثارة الشبه والسخرية أو التجسس؛ كحال بعض المشركين الذين يحضرون مجلس الرسول ﷺ مهطعين برؤوسهم يستمعون ما يقول. ومثلهم كثير من المستشرقين الذين درسوا القرآن والسنة وكتب أهل الإسلام، وألفوا في ذلك المؤلفات الكثيرة، فلبَّسوا على قومهم الذي يثقون بهم فصدوهم عن الإسلام، وكرّهوهم للمسلمين، ومهّدوا لاستعمار بلاد المسلمين وتنصيرهم.

(٢) اغترار الكفار بأنفهسم وبأعمالهم، حتى زعموا أن لهم الجنة عند الله ﷻ. وهذا وصف ينطبق على طائفة من الناس مخدوعين بما عندهم من علم وأكابر، وما لهم من أعمال إنسانية وأخلاق كريمة، جاهلين بما عند المسلمين من الحق.

(٣) قدرة الله ﷻ التامة على البعث **بدليلين:** ابتداء الخلق من النطفة، وعظمة ملك الله ﷻ؛ ولذا ذكّر الله ﷻ المكذبين بالبعث بأنه خلقهم من النطفة، وأنه ﷻ هو رب المشارق والمغارب كلها.

(٤) الهداية بيد الله ﷻ، يخرج المؤمن من الكافر، فهو القادر على أن يُخلف أولئك المحاربين للرسول ﷺ بذرية مؤمنة خير من آبائهم: (**إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ**)، وهذا ما حصل، فقد أخلف الله ﷻ من أبي جهل ابنه الصحابي المجاهد عكرمة ﷺ، وأخلف من الوليد بن المغيرة ابنه خالدا الصحابي والقائد المشهور ﷺ.

(٥) عذاب الله ﷻ بالكفار واقع لا بد، إن فات في الدنيا لم يفت في الآخرة؛ ولذا هددهم الله ﷻ بهلاك الدنيا، ثم وعدهم عذاب يوم القيامة. وقال تعالى: (**أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ . ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ . مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**) [الشعراء:٢٠٥.٢٠٧].

(٦) التفكر في الحياة وإدراك الهدف من الوجود غائب عن أذهان الكفار، فهم في خوض في حياتهم وتخبط، وفي لعب ولهو: (**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**) [الروم:٧].

(٧) وظيفة الداعية البلاغ؛ ولذا أمر ﷻ نبيه ﷺ أن يترك الكفار يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا عذاب الآخرة لا يتوقف عن دعوتهم استجابوا أو لم يستجيبوا: (**إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ**) [الشورى:٤٨].

(٨) سرعة البعث والحشر، حيث تتشقق الأرض عنهم فيخرجون منها سراعاً: (**فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة**) أي فإذا هم بوجه الأرض.

(٩) الكفار في خوف وذل يوم القيامة، بعكس المؤمنين، فهم في أمن ومعزة: (**لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**) [الأنبياء:١٠٣].

صفحة الواجب ١.٤.١

س١ : ما معني الكلمات التالية من السورة: (المعارج_ الروح_كالمهل_ كالعهن_ حميم_ يبصّرونهم_ صاحبته_ فصيلته_ تؤويه_ لظى_ الشوى_ أدبر وتولى_ جمع فأوعى_ هلوعاً_جزوعاً_ المحروم_ مشفقون_العادون_ أماناتهم وعهدهم _ بشهاداتهم_ قِبَلك مهطعين_ عزين _ المشارق والمغارب_ نبدّل خيراً منهم_ يخوضوا ويلعبوا_ الأجداث_ نُصُب_ يوفضون_ ترهقهم)؟.

س٢ :كيف تُوجّه الآيات الثلاث:

أ- (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ).

ب_ (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ).
ج- (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) ؟

س٣: اذكر الشاهد من السورة على مايلي:

أ- علو الله ﷻ بذاته.

ب- فضل جبريل عليه السلام على سائر الملائكة.

ج- طول يوم القيامة خمسين ألف سنة.

د- حرمة العادة السرية.

هـ- حسن أداء العمل الوظيفي.

س٤: ما الفرق بين قوله: (**الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ**) وبين قوله: (**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**)؟.

س٥: اذكر من الحديث النبوي ماي دل على:

أ- النهي عن الدعاء بالشر على النفس.

ب- الحث على الزواج تحصيناً للنفس عن الحرام.

ج- الوظيفة أمانة عظيمة.

د- خطر الإعتداء بلا حق على المعاهد.

هـ-شدة حرمة شهادة الزور.

صفحة الموجز ١-٥-١

سورة نوح

أ. المقدمة:

هذه السورة تخصصت في عرض دعوة نوح عليه السلام، أول رسول إلى كفار، في أطول دعوة نبوية إلى أهل الأرض، حيث دعاهم إلى عبادة الله عز وجل وحده، ورغبهم فيها، ولكنهم كذبوه في عناد واستكبار، وهو مستمر في دعوتهم بمختلف الأساليب والمرغّبات والاستدلالات، وفي ختام السورة يدعو نوح عليه السلام على قومه حيث قضى الله جل جلاله أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن، فيغرقهم الله عز وجل بالماء، ثم يحرقهم في قبورهم بالنار. ثم يدعو نوح عليه السلام مرة أخرى على جميع الكفار الذين قضى الله عز وجل أنهم لا يُسلمون، مستغفراً لنفسه وأهله وجميع المؤمنين والمؤمنات.

ب. الأهداف المؤهلة :

١- قراءة الطالب للسورة بطريقة صحيحة، ليتم حفظها بعد ذلك.

٢- التعرف على معاني ألفاظ السورة.

٣- التعرف على قواعد وآداب هامة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

٤- التعرف على قصة وقوع الشرك في قوم نوح عليه السلام.

٥- التعرف على ثمرات الاستغفاروالتوبة.

ج. المواضيع بإيجاز:

(أ) موضوع السورة، ومناسبتها لما قبلها، وميزاتها.

(ب) معاني ألفاظ السورة.

(ج) فوائد من السورة.

سورة نوح

أ) موضوعها:

دعوة نوح عليه السلام لقومه، وهو أول رسول بعثه الله سبحانه وتعالى إلى قوم مشركين، يقصها الله عز وجل على آخر رسله إلى أهل الأرض محمد صلى الله عليه وسلم.

ب) مناسبتها لسورة المعارج:

أمرت سورة المعارج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على دعوة قومه وتكذيبهم له: **(فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا)** [المعارج:٥]، فجاءت سورة نوح تذكره بنموذج عظيم في الصبر في دعوة نوح عليه السلام لقومه والتي استمرت ألف سنة إلا خمسين عاما، فما ازدادوا منه إلا فرارا.

وفي سورة المعارج هدد الله جل جلاله قريشا أن يبدلهم بخير منهم ويذيقهم عذاب يوم عظيم، فجاءت سورة نوح مثالا حياً لهم، حيث أهلك الله عز وجل المكذبين وعذّبهم، واستخلف في الأرض نوحا عليه السلام ومن معه من المؤمنين.

ج) ميزاتها:

(١) هذه السورة وحدة متصلة عبارة عن قصة نوح عليه السلام مع قومه، بدءاً من إرساله إليهم ودعوته إياهم، ثم تكذيبهم إياه وإصرارهم، ثم دعوته عليهم وإغراقهم وتتبيرهم.

(٢) هذه السورة نموذج للدعوة والجهاد مع غير المسلمين من عباد الأصنام.

(٣) هذه السورة تبين كثيرا من قضايا الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى؛ مثل اختيار الداعية، وأولويات الدعوة، وطرقها، ووسائلها وعوامل نجاحها، وبعض المسائل الفقهية الخاصة بالدعوة؛ كالدعاء على المدعوين المكذبين.

الآيات: ١-٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُواْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠ ﴾

أ) تقديم:

في هذا الجزء الأول من سورة نوح ذكرالله ﷻ بعثه لنوح عليه السلام إلى قومه، ودعوته لهم، ومابذله معهم من محاولات، وما ذكَّرهم به من نعم ربانية عظيمة، وما أقامه عليهم من حجج ودلائل عقلية مقنعة.

ب) المعاني:

١. (**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**): أي إن الله ﷻ بعث نوحا عليه السلام إلى قومه ليحذرهم من العذاب المؤلم في الدنيا والآخرة إن لم يعبدوا الله ﷻ وحده ويجتنبوا الأصنام.

٢-٣. (**قال يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ**): أي فأنذر نوح عليه السلام قومه قائلاً: يا قومي إني محذركم عذاب الله ﷻ تحذيراً بيّناً كاشفاً للحقيقة، أدعوكم أن تعبدوا الله ﷻ تذلّلاً له وتقرباً بماشرع، وأن تتقوا سخطه وعذابه، بتجنب أسباب ذلك من شرك ومعاصٍ، وأن تطيعوني فيما آمركم به وأنهاكم مما أرسلني الله به.

٤. (**يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**): أي يعفيكم من المؤاخذة بذنوبكم ، ويبقيكم إلى موعد الموت المكتوب عليكم، فإنه موعد حدده الله ﷻ لا يؤخر عن وقته أبدا، فلو كنتم تعلمون وتتذكرون ذلك لبادرتم إلى عبادة الله ﷻ، ولما كفرتم وعصيتم.

٥-٦ (**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً . فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً**):أي قال نوح عليه السلام: يا رب إني دعوت قومي في الليل وفي النهار، ولكن لم يستجيبوا بل زادوا بُعداً ونفوراً عن الحق.

٧. (**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً**):أي وكلما دعوتهم لأجل أن يؤمنوا فتغفر لهم ذنوبهم، لم يستجيبوا، بل جعلوا أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوني، وتغطوا بثيابهم زيادة في الاحتجاب وكراهية لرؤيتهم إياي، واستمروا على كفرهم، واستكبروا عن الإيمان استكبارا عظيما.

٨-٩ (**ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً . ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً**): أي دعوتهم بصوت ظاهر مرتفع، وأيضاً دعوتهم على رؤوس الأشهاد مجتمعين، ودعوتهم في غاية السرية بانفراد بصوت خافت.

١٠-١٢. (**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً**): أي دعوتهم قائلا لهم اطلبوا ربكم مغفرة ذنوبكم؛ بالإيمان والتوبة والدعاء، فإنه ﷻ عظيم المغفرة لمن تاب وآمن، فيغفر لكم وينزل عليكم المطر غزيرا متتابعا، ويمنحكم الأموال والأبناء ويهبكم الحدائق العظيمة والأنهار الجارية.

١٣-١٤. (**مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً**): أي لماذا لا تعظمون الله ﷻ وتعرفون له قدره، وهو الذي أوجدكم في مراحل متدرجة عجيبة؛ (نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاما ولحما، ثم أخرجكم أطفالا، ثم نماكم وعلمكم ونقلكم من الطفولة، إلى الشباب، إلى الكهولة، ثم الشيخوخة والهرَم).

١٥-١٦. (**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً**): أي ألستم ترون عجيب خلق الله ﷻ لهذه السماوات السبع بعضها فوق بعض، وهذا القمر الذي جعله الله ﷻ في السماوات يشع نورًا لكم، وكذا الشمس جعلها مصباحًا مضيئًا لكم.

ووصف القمر بالنور والشمس بالسراج؛ لأن القمر لا حرارة فيه كالشمس، فمادة الشمس مشعة مضيئة، أما القمر فعاكس للنور.

١٧-١٨. (**وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً**): أي والله ﷻ أنشأ أصلكم من تراب الأرض إنشاءا متطورا عجيبا، ثم يعيدكم بعد الموت في الأرض، ويخرجكم يوم القيامة منها إخراجا تاما مؤكدا.

١٩-٢٠. (**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً . لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً**): أي والله ﷻ جعل لكم الأرض ممدودة ممهدة لتسيروا في طرق منها واسعة تتنقلون في معاشكم ومصالحكم.

ج) الفوائد:

(**١**) أهمية القصص والسير والتجارب، وبخاصة قصص الأنبياء عليهم السلام؛ ولذا عرض الله ﷻ قصة نوح عليه السلام وتجربته في دعوة قومه إلى الإسلام، وقال تعالى: (**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**) [الأعراف:١٧٦]، وقال تعالى: (**وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**) [هود:١٢].

(**٢**) خصوصية رسالة نوح عليه السلام لقومه، وكذلك غيره من الرسل، إلا نبينا محمدا ﷺ، كما جاء في الحديث: (وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة).

(**٣**) من عوامل نجاح الدعوة: قرابة الداعي لمجتمع المدعوين؛ لأنه أعرف بهم وبلسانهم وعاداتهم وواقعهم ولئلا يردوه بجهلهم بحاله وسيرته، ولذا أرسل الله ﷻ نوحا عليه السلام في قومه، وكذلك كل نبي: (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**) [إبراهيم:٤]، (**لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ**) [التوبة:١٢٨]. وعليه فينبغي البحث عن المؤهلين للدعوة من أبناء المجتمعات وإعداد دعاة كل مجتمع من أبنائه، فهذا أقبل لديهم وأنفع وأبقى من الداعية بواسطة مترجم.

(**٤**) رحمة الله ﷻ بالعباد؛ ولذا أرسل اليهم وأنذرهم من العذاب، وأمهلهم قبل أن يهلكهم ويعذبهم، وقال تعالى: (**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**) [الإسراء:١٥]، وقد يمتد هذا الإمهال مئات السنين كحال قوم نوح رغم ما يسخرون ويمكرون ويفسدون: (**وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ**) [الكهف:٥٨].

(**٥**) أسس الدين: عبادة الله ﷻ، وتقواه، واتباع رسوله، هكذا أوجزها نوح عليه السلام وقدمها لقومه: (**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ**). **وعبادة** الله ﷻ تشمل جميع الأعمال التي يحبها الله ﷻ ظاهرة أوباطنة، **وتقوى** الله ﷻ اجتناب كل ما يكرهه

الله ﷻ من الأعمال الظاهرة والباطنة، **واتباع** الرسول ﷺ وطاعته هو الطريق الوحيد لتحديد الأعمال المطلوب فعلها أو المطلوب اجتنابها.

(٦) وضوح الدين ويسره وخيره، فلم يطلب نوح عليه السلام ولا غيره من الرسل أمرا مستحيلا ولا عسيرا ولا معقدا، بل طلبوا من الناس أن يعبدوا الله ﷻ وفق ما أوحاه لنبيه، وما طلبوا منهم إلا ما هو خير لأنفسهم في الدنيا والآخرة: (**يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى**).

(٧) الإيمان والتوبة يجبّان ما قبلهما، مهما كان حال الشخص قبل، ومهما كان الذنب الذي تاب منه؛ ولهذا بشر نوح عليه السلام قومه الكفرة المجرمين إن آمنوا أن يغفر الله ﷻ ذنوبهم، وإن استغفروا أن يغفر الله ﷻ لهم.

(٨) أقدار الله ﷻ منها محقق ومنها معلَّق؛ **فالمحقق** هو الذي قدّر الله ﷻ أن لا يقع إلا هو، **والمعلَّق** هو الذي قدّر الله ﷻ أن يقع إن حدث كذا وكذا، وهذا لا شك لا يقع، ولله ﷻ الحكمة في تقديره: (**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**) [الأنبياء:٢٣]. وقد دلَّ على هذا التقسيم للأقدار قوله: (**يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى**)، فمغفرته لهم قدر معلق على إيمانهم وهم لم يؤمنوا فلم يغفر لهم . وقد أهلكهم الله جميعا بالطوفان . فالقدر المحقق أنهم لا يؤمنون وأنهم سيموتون في موعد الفيضان؛ ولذا قال بعده: (**إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لَا يُؤَخَّرُ**)، ومما يدل على هذا التقدير وحكمته ما جاء في الحديث: (لا يدخل أحد الجنة إلا أُري مقعده في النار لو أساء ليزداد شكرا، ولا يدخل أحد النار إلا أُري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة) [رواه البخاري].

(٩) فضل نوح عليه السلام وعظمة الجهد الذي بذله في دعوة قومه، حتى إن الله ﷻ خصه بهذه السورة، وخص بها دعوته وما قاله وما تحمله من قومه، وهم يفرون منه، وإذا لقوه سدوا آذانهم وغطوا وجوههم لينصرف عنهم، والكبر يملأ قلوبهم عليه وعلى من معه، ويمكرون مكرا كبيرا به وبمن معه، وتطول السنون على تلك الحال: (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا**) [العنكبوت:١٤].

(١٠) الصبر في الدعوة إلى الله ﷻ، كما أخبر الله ﷻ عن نوح عليه السلام مع قومه، وقال ﷻ لنبيه محمد ﷺ: (**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**) [الأحقاف:٣٥].

(١١) التنويع في أوقات الدعوة وأساليبها ووسائلها، كما فعل نبي الله نوح عليه السلام، حيث دعا قومه ليلا ونهارا، ومجاهرة وإخفاتا، وإعلاناً وانفرادا، وترهيبا وترغيبا. يذكِّرهم حينا خطر الكفر والمعاصي، وحينا يذكرهم بمنافع الإيمان والتوبة والاستغفار، وحينا يذكرهم بعظمة الله ﷻ وآياته في الإنسان والأكوان، وبنعمة الله ﷻ على العباد.

(**١٢**) الذنوب سبب للحرمان؛ ولذا دعا نوح عليه السلام قومه للإستغفار، لينزل الله جل جلاله لهم المطر ويرزقهم. وفي الحديث: (إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه) [رواه أحمد].

(**١٣**) فضل الاستغفار والتوبة، وأثر ذلك في حصول المطر، والثمر، والكسب، والأولاد، ورفع القحط والفقر، وعلاج العقم: (**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً**)، وقال تعالى عن هود عليه السلام مع قومه عاد: (**يا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ**) [هود:٥٢]، وحين خرج عمر رضي الله عنه بالناس للاستسقاء، فما زاد على الاستغفار، فلما كلموه في ذلك قال: (لقد استسقيتُ بمجاديح السماء)، ثم تلا الآية التي في سورة نوح.

(**١٤**) طلب الغِنى مهما بلغ جائز؛ ولذا رغَّب نوح عليه السلام قومه في الاستغفار بأنه طريق الحصول على الأموال وكثرة البساتين والأنهار. وقد كان في الأنبياء أغنياء وملوك؛ كإبراهيم عليه السلام وداود عليه السلام وسليمان عليه السلام، وكان في الصالحين تجاراً وأغنياء؛ كأبي بكر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، وفي الحديث: (نِعم المال الصالح للعبد الصالح).

(**١٥**) طلب الأبناء والمحاولة لذلك جائز، وليس هذا من كره البنات المذموم؛ فإن في الإبن منافع لا تتحقق في البنت: (**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى**) [آل عمران:٣٦]؛ ولذا رغَّب نوح عليه السلام قومه في الاستغفار ليرزقهم الله عز وجل البنين، وذكر الله سبحانه وتعالى تلك النعمة على أحد المشركين، يذمه على عدم شكرها:(**وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا.وَبَنِينَ شُهُودًا**) [المدثر:١٢.١٣].

(**١٦**) تعظيم الله عز وجل وخشيته، بتذكر ضعف الإنسان، وعظمة ماخلق الله تعالى: (**مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً . أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً**).

(**١٧**) أهمية التفكر في المخلوقات؛ ولذا لفت نوح عليه السلام أنظار قومه إلى أطوار خلقهم، وإلى عظمة خلق السماوات وما فيها من قمر منير وشمس متوهجة مضيئة، وإلى الأرض المبسوطة وما سخَّر لهم فيها من سبل المعاش والتنقل. ولا شك أن التفكر طريق الإيمان.

(**١٨**) أهمية تذكر نعمة الله سبحانه وتعالى علينا، فذلك دافع لشكر الله سبحانه وتعالى والاستحياء منه والتوبة إليه؛ ولهذا ذكّر نوح عليه السلام قومه بنعمة الله سبحانه وتعالى عليهم، وقال تعالى: (**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**) [الضحى:١١].

(**١٩**) الحث على السياحة والسعي في الأرض؛ فقد بسط الله سبحانه وتعالى الأرض ليسعى عليها العباد. ومن **فوائد** ذلك: التفكر في خلق الله عز وجل، وشكر نعمه، ونشر الدين، وكسب المال، ونقل المعارف والتقنيات النافعة، يقول الله تعالى: (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا**) [الملك:١٥].

الآيات: ٢١-٢٨

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾

أ) تقديم:

بعد أن ذكرالله ﷻ بعثه لنوح عليه السلام إلى قومه ، ومابذله من محاولات معهم، جاء هنا يذكر شكواه إلى ربه من عصيان قومه ومكرهم وتمسكهم بضلالهم، وكيف أجاب الله ﷻ شكواه وأعذره من قومه فأغرقهم ثم أحرقهم. ثم ذكر الله ﷻ دعوة نوح عليه السلام على جميع الكفار أن يطهّر الله ﷻ الأرض منهم كما طهّرها من كفار قومه. وفي الختام يستغفر نوح عليه السلام لنفسه ووالديه وأهل بيته وجميع المؤمنين والمؤمنات، وأن يستمر العذاب على الظالمين.

ب) المعاني:

٢١. (قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً): أي قال نوح عليه السلام شاكيا أمره إلى الله ﷻ: يا رب إن قومي أبوا طاعتي فيما أرسلتني به إليهم، واتبعوا في الشر أكابرهم الذين أطغتهم أموالهم وأولادهم عن قبول الحق، فكانت سبباً لهلاكهم.

٢٢. (وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً): أي دبّر هؤلاء المتبوعون مع أتباعهم الحيل الكبيرة ضد نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين؛ لقتلهم، أو فتنتهم عن دينهم، أو منعهم من الدعوة وصد الناس عنهم: **(قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ)** [الشعراء:١١٦].

٢٣. (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً): أي وقال هؤلاء المتبوعون لأتباعهم: لا تتركوا معبوداتكم إلى عبادة ما يدعوكم إليه نوح عليه السلام، ولا تتركوا بخاصة أصنامكم وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرا.
قيل إنها أكبر أصنامهم، وهي تماثيل ترمز لرجال مشهورين بالصلاح كانوا قبل زمن نوح عليه السلام، فلما ماتوا حزن عليهم قومهم وأتباعهم حزنا شديدا، فوسوس إليهم الشيطان أن يجعلوا صوراً لهم ويسمونها بأسمائهم وينصبوها في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها للعبادة ليتذكروهم فينشطوا للعبادة، فتطاولت السنين وقلّ العلم الشرعي، وجاءت بعدهم أجيال، فوسوس لهم الشيطان بأن أسلافهم إنما صنعوها ليعبدوها ويستسقوا بها، فحينئذٍ عبدوها ـ وكان ذلك أول وقوع للشرك في البشرية ـ فبعث الله عز وجل فيهم نوحا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده ونبذ هذه الأصنام.

٢٤. (وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً): أي وقد أضل هؤلاء المتبوعون كثيرا من الناس بهذه الأصنام وبالتحريض عليها، فزيّنوا لهم وأوهموهم أن هذه الأصنام آلهة تجلب لهم النفع وتدفع عنهم الضرر، فأضلوا الناس بهذه الأصنام التي لفقوا حولها القصص والكرامات، كما قال إبراهيم عليه السلام **(وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ. رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ)** [إبراهيم:٣٥ ـ ٣٦].

٢٤. (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالا): أي ولم تزد دعوة المتبوعين لأتباعهم الظالمين بالتمسك بهذه الأصنام إلا بُعداً عن الحق ومعاداة له، فيخترعون كل وقت من الكرامات حول هذه الأصنام، ويبتدعون من الطقوس ما يزيد الأتباع ضلالا.
وقيل: إن هذا دعاء من نوح عليه السلام عليهم لما أعلمه الله عز وجل أنهم لن يؤمنوا حتى لا يزيدهم الله جل جلاله شقاء.

٢٥. (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً): أي بسبب ذنوبهم ومظالمهم الكبيرة أهلكهم الله جل جلاله بالغرق، فأدخلهم نارا عظيمة، فلم يدفع عنهم عذاب الله سبحانه وتعالى أحد.
قدّم الله جل جلاله خبر هلاكهم على دعوة نوح عليه السلام عليهم، فلعل هذا الدعاء كان أثناء الطوفان بأن يطهِّر الله عز وجل الأرض من جميع الكفار فلا يترك أحداً منهم.

٢٦-٢٧. (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً . إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً): أي ودعا نوح عليه السلام ربه قائلا: يا رب لا تترك من الكفار أحدا يسكن على الأرض ويتحرك عليها، فإنك إن تتركهم أحياءا يضلوا عبادك المؤمنين عن الحق، ولا يلدوا إلا مائلا للباطل جاحدا للحق.

قال ابن عباس رضي الله عنه: (كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح، فيقول له: احذر هذا فإنه كذّاب، وإن أبي حذَّرَنيه، فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك)أ.هـ.

٢٨. (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً): يا رب اغفر لي ذنوبي وتقصيري واغفر لوالدَيّ، ولمن دخل بيتي مؤمنا، ولكل مؤمن ومؤمنة، ولا تزد أي ظالم إلا خسارا ودمارا.

دعا على الظالمين بالهلاك: (**رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً**)، ثم دعا عليهم بأن لا يزدهم الله ﷻ بعد الموت إلا تباراً وعذابا.

ج) الفوائد:

(**١**) سُنَّة الرسول وحي من الله ﷻ يجب اتباعها؛ ولذا شكا نوح عليه السلام إلى الله قومه على عدم طاعتهم له. وقال تعالى: (**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ**) [النساء:٨٠].

(**٢**) الأموال والأولاد قد تكون نقمة على أهلها، كما ذكر نوح عليه السلام عن أكابر قومه الكافرين. وفي قصة قتل الغلام على يد الخضر عليه السلام قال الله تعالى: (**وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا . فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا**) [الكهف:٨٠-٨١]

(**٣**) الدُّنيا رخيصة عند الله ﷻ يُعطيها من يحبه ومن لا يحبه، أما الدِّين فلا يعطيه الله ﷻ إلا من يحب؛ ولذا جعل الله ﷻ المال والأولاد لرؤساء الضلال من قوم نوح عليه السلام، وقال تعالى: (**كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا**) [الإسراء:٢٠]، ثم يوجّه الله ﷻ الأنظار إلى ما ينبغي التنافس فيه وهي درجات الجنة: (**انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**) [الإسراء:٢١].

(**٤**) الحذر من الكفرة وقادتهم، فإنهم أهل مكر عجيب، كما أخبر الله ﷻ عن مكر قوم نوح عليه السلام، وكما أخبرنا عن مكر المجرمين التسعة من قوم صالح عليه السلام: (**قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ . وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**) [النمل:٤٩-٥٠]، وكذلك مكراليهود ودبّروا لقتل عيسى عليه السلام: (**وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**) [أل عمران:٥٤].

(**٥**) التضليل، والعصبية، طريقان خطيران من طرق دعاة الشر، كما فعل أكابر الكفار من قوم نوح عليه السلام، فسموا الأصنام آلهة تضليلا للحقائق، وأضافوها إليهم: (**آلِهَتَكُمْ**) إثارة لحميتهم لها، وكما قال الكفار من قوم إبراهيم عليه السلام بعد أن كسر أصنامهم: (**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**) [الأنبياء:٦٨].

(**٦**) الدعاء على الظالم جائز؛ ولذا قال نوح عليه السلام: (**وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً**)، وبخاصة الذي يضلل الناس ويصدهم عن الإسلام ويفتن المسلمين عن دينهم فهذا أشد الظلم: (**رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديّارا،إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ**). والرسول ﷺ قنت شهراً يدعو في صلاة الفجر على رعل وذكوان ولحيان وعُصية، القبائل التي شاركت في قتل قراء الصحابة السبعين ﷺ، ودعا على بعض صناديد قريش الذين آذوا المسلمين بمكة فهلكوا.

(٧) إثبات عذاب القبر والبرزخ، فقد ذكر الله ﷻإدخال قوم نوح في النار بعد غرقهم مباشرة، وعبّر بالفعل الماضي (**أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً**) للدلالة على أنه قد وقع. وقال تعالى في آل فرعون: (**وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ . النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا. وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**) [غافر:٤٥-٤٦]، ولهذا هدد الله ﷻ الظالمين بالبرزخ فقال تعالى: (**حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**) [المؤمنون:٩٩-١٠٠]. والأحاديث في عذاب القبر ونعيمه كثيرة جدا؛ ولذا كان ﷺ يستعيذ بالله ﷻ من عذاب القبر في صلواته كلها.

(٨) وجوب البراء من الكفار، والولاء للمؤمنين؛ ولذا دعا نوح عليه السلام على كفار قومه، ودعا للمؤمنين والمؤمنات منهم، وقد قال الله تعالى: (**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ**) [المجادلة:٢٢]، وقال تعالى: (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**) [المائدة:٥٥].

(٩) الدعاء من أفضل الأعمال الصالحة، كذلك فعل نوح عليه السلام والأنبياء من بعده، وقال الله ﷻ عنهم: (**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**) [الأنبياء:٩٠]، وقال ﷺ: (الدعاء هو العبادة)، وأخبر الله ﷻ عن حديث أهل الجنة وتذكُّرهم أفضل أعمالهم في الدنيا فكان الدعاء هو أرجاها: (**إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ**) [الطور:٢٨].

(١٠) فضل الاستغفار، فهو دعاء وافتقار إلى الله ﷻ، وهو تعظيم لله ﷻ وتواضع واعتراف بالذنب والتقصير في حقه ﷻ؛ ولذا فهو خُلُق النبيين، قال إبراهيم عليه السلام: (**وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**) [البقرة:١٢٨]، ويقول نبينا ﷺ: (إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) [رواه البخاري].

(١١) الدعاء للغير ولعموم المسلمين من فضائل الأعمال، كما فعل نوح عليه السلام وغيره من الأنبياء، قال إبراهيم عليه السلام:(**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**) [إبراهيم:٤١]، وقال الله لنبيه ﷺ: (**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**) [محمد:١٩]، وقال تعالى: (**وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ** يَقُولُونَ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**) [الحشر:١٠]، وقال ﷺ: (ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملَك: ولك بمثله) [رواه مسلم].

(١٢) برالوالدين والدعاء لهما، كما فعل نوح عليه السلام، وقال تعالى: (**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا . إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**) [الإسراء:٢٣-٢٤]، وقال ﷺ: (رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة) [رواه مسلم].

(**١٣**) صلة الأهل والأقارب والدعاء لهم؛ ولهذا استغفر نوح عليه السلام لأهل بيته، وقال تعالى: (**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى**) [البقرة:٨٣]، وقال ﷺ: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)، وقال ﷺ:(من أحب أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه)[متفق عليه].

(**١٤**) الإكرام بالدعاء وحسن الكلام وغيره من وجوه الإكرام للضيف والزائر والخادم ومن دخل البيت ولو لعمل مؤقت؛ ولذا عمم نوح عليه السلام دعوته لكل من دخل بيته، وقد قال ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) [متفق عليه].

(**١٥**) لا يُستغفر لكافر أصلي أو مرتد؛ لذا خص نوح عليه السلام في استغفاره لأهل بيته بمن كان منهم مؤمنا، وقد قال تعالى: (**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى**) [التوبة:١١٣].

صفحة الواجب ١.٥.١

س١: مامعنى الكلمات التالية في سورة نوح: (أجل مسمى- استغشوا ثيابهم- جهارا- أعلنت لهم - مدرارا- وقارا - أطوارا - طباقا – سراجا- أنبتكم- بساطا- لتسلكوا- سبلاً فجاجا- كُبّارا- دَيّارا- تبارا).

س٢: ما السبب في وصف القمر بالنور والشمس بالسراج؟.

س٣: ما الفرق بين القدر المحقق ، والقدر المعلَّق؟.

س٤: ماذا تعرف عن وَدّ وسواع ويغوث ونسر؟.

س٥: اذكر الدليل الشاهد من السورة على مايلي:

أ- التنويع في أساليب الدعوة وطرقها.

ب- الاستغفار والتوبة علاج للقحط والفقر والعقم.

ج- جوازالدعاء على الكافر الظالم.

د- ثبوت عذاب القبر.

صفحة الموجز ١-٦-١

سورة الجن

أ. المقدمة:

هذه السورة مصدرهام لحقائق كثيرة عن عالَم الجن، وفيها توجيهات عظيمة للنبي ﷺ في تبليغ الدعوة إلى الناس، فافتتحت السورة بقصة استماع نفرمن الجن للرسول ﷺ وهو يقرأ القرآن يصلي بأصحابه ﷺ الفجر في وادٍ بمكة، وماقالوه عن الله ﷻ وعن كتابه الكريم، ومأأخبروا به عن مجتمعهم . ثم اشتمل القسم الثاني من السورة على توجيهات من الله ﷻ لنبيه ﷺ في تبليغ الدعوة، وختمت ببيان استئثار الله ﷻ واختصاصه بعلم الغيب وإحاطته بكل شيء، تصحيحاً للمفهوم الخاطئ عتد الناس أن الجن وأتباعهم من الكهان يعلمون الغيب.

ب. الأهداف المؤهلة :

١- قراءة الطالب للسورة بطريقة صحيحة، ليتم حفظها بعد ذلك.

٢- معرفة الطالب لمعاني ألفاظ السورة.

٣- التعريف بعالم الجن، وأنهم مكلفون مثلنا.

٤- بيان ضعف الجن وإزالة الرهبة لدى الناس منهم وتعلقهم بهم وبأتباعهم من السحرة والكهان .

٥- تقرير التوحيد لله ﷻ وأنه وحده الذي يملك الضر والنفع،ويعلم الغيب .

ج. المواضيع بإيجاز:

(أ) موضوع السورة، ومناسبتها لما قبلها، وميزاتها.

(ب) معاني ألفاظ السورة.

(ج) فوائد من السورة.

سورة الجن

أ) موضوعها:

قصة استماع الجن لقراءة الرسول ﷺ وإيمانهم به، وإنكارهم تعوّذ الإنس بهم، رداً على قريش تكذيبهم للرسول ﷺ واعتقادهم في الجن النفع والضر ومعرفة الغيب.

ب) مناسبتها لسورة نوح:

في سورة نوح تصبير للرسول ﷺ بأنه إن كذَّبه قومه فقد كذَّب نوحا عليه السلام قومُه رغم ما بذل في دعوتهم. فجاءت سورة الجن بتصبير آخر للرسول ﷺ بأنه إن كذَّبه قومه فقد عوضه الله ﷻ بالجن الذين استمعوا لقراءته فآمنوا به واتبعوه.

وفي سورة نوح دعوة لقريش إلى الإيمان بتهديدهم إن لم يؤمنوا أن يهلكهم الله ﷻ كما أهلك قوم نوح عليه السلام، وفي سورة الجن دعوة لهم للإيمان أيضا، حيث يعرض لهم إعجاب الجن بالقرآن الكريم واتباعهم للرسول ﷺ من أول سماع منهم للقرآن، عكس ما كانت قريش تزعم أن الرسول ﷺ كاهن يتلقى من الجن.

ج) ميزاتها:

(١) هذه من أعظم سور العقيدة في إبطال الشرك وتقرير التوحيد؛ حيث نفت عن الله ﷻ الشريك والصاحبة والولد، وأنكرت الاستعانة بالجن، وأثبتت البعث، وقررت عجز الجن أمام قوة الله ﷻ، وحتى النبي لا يملك نفعا ولا ضرا ولا يعلم غيبا إلا ما أعلمه الله ﷻ.

(٢) السورة خطابية، تخاطب الرسول ﷺ أن يخاطب الناس، فبدأت بكلمة: (**قُلْ**) وقد تكررت فيها خمس مرات، كما تكرر فيها:(**أَنَّ**) التوكيدية أكثر من عشرين مرة. وفي معظم السورة كان الجن يتحدثون عن أنفسهم. وكذا الرسول ﷺ يتحدث فيهاعن نفسه.

الآيات: ١-١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥ ﴾

أ) تقديم:

هذا هو الجزء الأول من السورة والذي يمثل حديث الجن عن أنفسهم، وإعجابهم بالقرآن، وإسلامهم، وإنكارهم الشرك، وإثباتهم البعث، وملاحظتهم لزيادة الرمي بالشهب، وأقسامهم من حيث الصلاح وعدمه.

ب) المعاني:

١-٢. (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً): أي قل يا محمد ﷺ للناس: إن الله ﷻ أخبرني أن جماعة من الجن استمعوا لتلاوتي القرآن، فلما سمعوه قالوا لقومهم: إنا سمعنا قرآنا بديعا في مضمونه وأسلوبه، يدل على الحق والخير، فصدقنا بهذا القرآن، ولن نشرك بالله ﷻ خالقنا ورازقنا أحدا في عبادته.

وهذا يدل على أن هؤلاء الجن كانوا عربا فصحاء بلغاء؛ ولذا أدركوا جمال القرآن وأثّر فيهم حتى وصفوه بذلك وآمنوا به وانطلقوا يتحدثون إلى قومهم في حماسة ونصح، فشدوا بهذا الوصف انتباه قومهم وشوّقوهم لمعرفة ما في هذا القرآن، ثم أخبروهم بمضمونه وما يدعو إليه من الرشد، ثم رغبوهم في الإسلام بإشهار إسلامهم أمامهم وبراءتهم من الشرك الذي كانوا عليه وقومهم.

٣. (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً): أي وأنه- تعاظم قدر ربنا ﷻ وغناه- لم يتخذ لنفسه زوجة ولا ولدا. فنفوا عن الله ﷻ ما كان يزعمه المشركون من أن الملائكة بنات الله من جنية، كما قال تعالى: (**أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ**)، إلى قوله: (**وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ**) [الصافات:١٤٩.١٥٨] ، وكذلك نفوا ما يزعمه النصارى أن عيسى عليه السلام ابن الله من مريم.

٤-٥. (وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً . وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً): أي كان أكابرنا . الذين تبين لنا سفههم . يقولون في حق الله ﷻ قولاً جائراً بعيداً عن الصواب حين ادعوا الزوجة والولد لله ﷻ، وكنا نحسب أنه لن يتجرأ أحد من الإنس ولا من الجن أن يكذب على الله ﷻ، فلذلك صدَّقنا هؤلاء الرؤساء واتبعناهم على طريقتهم، حتى سمعنا القرآن فعرفنا أنهم كذبوا على الله ﷻ وأنهم سفهاء حمقى.

٦. (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقا): أي كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن حتى لا تؤذيهم الجن، فما نفعهم ذلك، بل زادهم الجن تسلطاً وغشيانا وأذى حين شعروا أن الإنس يخافون منهم. وكان المشركون في الجاهلية إذا نزلوا بوادٍ تعوّذوا بالجن فقالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه.

٧. (وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً): أي وأن الإنس حسبوا كما حسبتم أيها الجن أن الله ﷻ لن يبعث أحدا منكم ولا من الإنس بعد الموت.

٨-١٠. (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً . وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدا): أي وأنا وصلنا السماء كعادتنا لاستماع كلام أهلها، فوجدناها قد تغيرت فمُلئت بالملائكة الأشداء الذين يحرسونها، وبالشهب المحرقة التي يُرمى بها كل من يسترق السمع، وكنا قبل ذلك نتخذ مواقع من السماء لاستماع كلام أهلها، فمن يستمع الآن يجد شهابا قد

أُعد له يرمى به حتى يحرقه، وأنا لا نعلم هل هذا الحرس الشديد وهذه الشهب الكثيفة لعذاب يريده الله ﷻ إنزاله بأهل الأرض، أم أراد الله ﷻ بهم هدى وحفظاً لدينهم من الشياطين وأتباعهم؟.

١١. (وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً): أي وأننا معشر الجن؛ منا الأخيار الأبرار، ومنا قوم أقل منهم صلاحا، فنحن على مذاهب متباينة. يقول الحسن البصري رحمه الله: (الجن أمثالكم: قدرية، ومرجئة، ورافضة، وشيعة).

١٢. (وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَباً): أي وأننا أيقننا أن لن نفلت من قبضة الله ﷻ في أي مكان كنا من الأرض، ولن نفلت من قبضته لو هربنا من الأرض كلها.

١٣. (وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقا): أي وأننا حين سمعنا القرآن الهادي إلى الحق صدَّقنا به كتابا منزلاً من الله ﷻ على رسوله ﷺ هدى للعالمين، فمن يؤمن بالله ﷻ معبودا حقا لا شريك له، فلن يخاف نقصا من الأجر وفواتا من الخير ولا يخاف غاشية من الشر وزيادة في الإثم.
فهؤلاء الجن المؤمنون قالوا ذلك لقومهم من باب التحدث بنعمة الله ﷻ عليهم بالهداية ومن باب دعوتهم إلى الإسلام.

١٤-١٥. (وأَنّا منّا المسْلِمونَ ومنّا القَاسِطون، فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً):أي وأننا معاشر الجن؛ منا المسلمون لله ﷻ المستقيمون على دينه، ومنا الظالمون المنحرفون عن الإسلام صراط الله ﷻ المستقيم، فالذين استقاموا على الإسلام مستسلمين لله رب العالمين فأولئك هم الذين اختاروا وأصابوا طريق الحق والخير، حري بهم أن يسعدوا في الدارين، وأما الظالمون المنحرفون عن الإسلام فلا شك أنهم سيكونون وقوداً لجهنم تزيد بهم اشتعالاً عليهم. فالقاسطون من كلمة: (قسط) بمعنى مال وظلم-عكس- المقسطون من كلمة: (أقسط) بمعنى استقام وعدل: (**فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا، إن الله يحب المقسطين**) [الحجرات:٩].

ج) الفوائد:

(**١**) الرسول ﷺ لا يعلم الغيب؛ ولذا لم يعلم باستماع الجن وما جرى منهم إلا بعد أن أوحى الله ﷻ إليه بذلك، وسيأتي ذلك مصرَّحا في ختام السورة: (**قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً . عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً**)، وإذا كان هذا هو حال سيد المرسلين ﷺ، فغيره من باب أولى سواء من الملائكة أو الجن أو الإنس: (**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**) [النمل:٦٥].

(**٢**) الإيمان بعالم الجن، وأنهم مخلوقون يسمعون ويفهمون ويتكلمون، ومنهم عرب فصحاء أذكياء، وأنهم مكلفون مختارون، وفيهم رجال ونساء، ومنهم سفهاء وعقلاء، ورؤساء وتابعون، وأنهم يعيشون على الأرض ويموتون فيها.

والشيطان يطلق كوصف على الكافر المضل من الجن والإنس: (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**) [الأنعام:١١٢]، ولكن الشيطان كجنس فإنما يطلق على نوع من الجن هم إبليس وذريته: (**فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ**) [الكهف:٥٠]، وهؤلاء محرومون من الهداية أبدا، مجبولون على الشر، بخلاف بقية الجن، فهم كالإنس يمكن أن يهتدوا ويتوبوا.

(**٣**) عظمة القرآن الكريم، حتى أبهر الجن فتعجبوا منه ومدحوه وآمنوا به وأسرعوا إلى قومهم يخبرونهم ويقولون في ثقة: (**إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدا**)، وقد لقوا النبي ﷺ يصلي بأصحابه الفجر، ولكن أبلغ ما لفت انتباههم هو القرآن ، فلم يذكروا هنا إلا سماعهم للقرآن.

(**٤**) نشر القرآن الكريم وتفسيره وترجمته بمختلف اللغات؛ كتابة وصوتا، وإقامة الدروس والقنوات والإذاعات والمطابع لأجل ذلك، فإنه أعجب شيء وأعظم هداية من كل وسيلة، كما شهدت بذلك الجن. وشهد بتأثيره حتى الأعداء، يقول الوليد بن المغيرة: (إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمورق، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه).

(**٥**) كمال عقول هؤلاء الجن وشجاعتهم وعلو همتهم؛ فلذا أدركوا جمال القرآن وبلاغته العجيبة، وفهموا أدلته المقنعة فآمنوا مباشرة، وانطلقوا إلى قومهم دعاة منذرين، يخبرونهم بما سمعوا، ويعلنون فيهم أنهم آمنوا، ويبطلون ما عليه قومهم من شرك ودعاوى ضالة، ويرغِّبونهم في الإسلام ويحذرونهم من الكفر والضلال.وكما قال الله ﷻ عنهم في سورة الأحقاف: (**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن. فلما حضروه قالوا أنصتوا. فلما قضي ولّوا إلى قومهم منذرين**) فأشبهوا أبا بكر الصديق ﷺ الذي قال فيه الرسول ﷺ:(ما من أحد دعوتُه إلا كانت له كبوة، إلا أبا بكر)، ثم أسرع ﷺ يدعو أصحابه فجاء بأكثر العشرة المبشرين بالجنة.

(**٦**) شمول رسالات الأنبياء للجن؛ ولذا لم يترددوا في الإيمان بالقرآن واتباع الرسول ﷺ، واعتبروا من لم يعتنق الإسلام قاسطا معذبا في جهنم.

(**٧**) التوحيد ونبذ الشرك أكبر قضايا الإسلام وموضوعات القرآن الكريم؛ ولذا كان أول أمر حكاه الجن بعد إعلانهم إيمانهم أنهم قالوا: (**وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدا**)، وهو غالب حديثهم إلى قومهم؛ حيث نفوا عن الله ﷻ الزوجة والولد، وأنكروا استعاذة الإنس بالجن، وبينوا أنهم لا مهرب لهم من الله ﷻ.

(**٨**) شدة جريمة من نسب إلى الله ﷻ الزوجة أو الولد؛ ولذا سارعت الجن إلى نفي ذلك عن الله ﷻ، وبخاصة أن مشركي الإنس يزعمون أن لله ﷻ زوجة من الجن. وقد وصفت الجن القائل بذلك سفيها، ووصفت قوله بالشطط وهو البعد الشديد عن الحق. وقد قال الله ﷻ: (**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا . تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا**) [مريم:٨٨-٩٠].

(٩) الكذب على الله ﷻ أقبح شيء؛ ولذا لم يكن الجن يظنون وقوعه من أحد من الإنس ولا من الجن. وهذا يشمل نسبة الزوجة والولد والشبيه لله ﷻ، ويشمل وضع الأحاديث واختلاق النصوص المكذوبة، ويشمل التحليل والتحريم بلا دليل؛ ولذا جعل الله ﷻ الكذب عليه أقبح من الشرك، فقال تعالى: **(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)** [الأعراف:٣٣].

(١٠) بطلان الاستعانة بالجن في حماية أو علاج أو دلالة أو غيرها؛ ولذا أنكر الجن استجارة الإنس بهم، وبينوا أنها لم تنفع الإنس بل زادتهم رهقا؛ ولذا حرم الإسلام الكهانة والسحر، وبين أن ذلك استمتاع ونفع محرم: **(وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ)** [الأنعام:١٢٨]، وسئل النبي ﷺ عن النُّشرة . أي حلُّ السِّحر بالسحر . فقال: (هي من عمل الشيطان) [رواه أحمد وأبو داود بسند حسن]، وسئل عن الكهان فقال: (ليسوا بشيء). وقال ﷺ: (من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) [رواه مسلم].

(١١) القوة والسرعة التي وهبها الله ﷻ للجن، حتى إنهم لمسوا السماء وقعدوا عندها يستمعون كلام أهلها، وفي قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ وطلب سليمان عليه السلام من جنوده إحضار عرشها من اليمن إلى الشام: **(قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ)** [النمل:٣٩].

(١٢) كثرة الملائكة وقوتهم، فقد ملؤوا السماء رغم ضخامتها حرّاسا عليها، حتى لم تستطع الشياطين مواجهتهم. وفي الحديث: (البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم) [رواه البخاري]، ويوم القيامة تأتي كل نفس معها سائق وشهيد من الملائكة.

(١٣) ازدياد الرمي بالشهب بعد بعثة النبي ﷺ، فقد مُلئت السماء بالشهب حتى لا ينجو منها مسترق. وليس معنى هذا أنه لا يوجد رمي بالشهب قبل، ولكن زيد فيها حماية للرسالة الخاتمة التي لن يأتي بعدها رسالة تصحح للناس دينهم وعقائدهم. روى مسلم: أن الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم كانوا ليلة جلوسا فرمي بنجم فاستنار، فقال لهم الرسول ﷺ: (ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رُمي بمثل هذا؟)، قالوا: (كنا نقول: وُلِد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم)، فبين لهم الرسول ﷺ عدم صحة ذلك، وأن السبب هو استراق الجن للأمر الإلهي حين يسمعون الملائكة في السماء الدنيا تتحدث به، فقال: (فتخطف الجن السمع، فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون). ومعنى هذا أن رميهم بالشهب متحقق، ولكن قد لا يحترق الجني حتى يبلّغ الكلمة للإنسي، كما في الحديث الآخر: (حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه) [رواه البخاري].

(١٤) رحمة الله ﷻ بالعباد، وإرادته الخير والصلاح لهم؛ ولذا حمى الله السماء بالحرس والشهب حتى لا تسترق الجن السمع فيضللوا الناس.

(١٥) السماء جرم يُلمس ولها أبواب ومقاعد؛ ولذا أخبر الجن أنهم لمسوها واتخذوا منها مقاعد للسمع، حتى جعل الله ﷻ الملائكة الحراس عليها، والشهب المنطلقة من الكواكب التي تحت السماء الدنيا .

(١٦) الجن لا يعلمون الغيب؛ ولذا لم يعلموا سبب ملئ السماء بالحرس والشهب، فذهبوا يبحثون في الأرض، حتى وجدوا الرسول ﷺ يصلي بأصحابه الفجر فاستمعوا لقراءته، فعلموا أن هذا وحي من الله ﷻ، ولأجله حُرست السماء. وحتى استراقهم للسمع لا يعتبر علما بالغيب؛ لأنه أصبح معلوما للخلق تتحدث به الملائكة، وهذا يبطل الكهانة ويرد على من يصدق الكهان؛ ولذا ختمت السورة بتقرير أن عِلم الغيب لله ﷻ لا يُطلع عليه إلا من شاء. وقد كانت الجن من جنود سليمان عليه السلام ممن سخرهم الله ﷻ له، وكان يؤدب المقصر منهم ويقيد المتمرد منهم في الأصفاد الحديدية، فلما مات لم يعلموا بموته، وظل قادتهم منهم ينفذون على من تحتهم من الجن، وكلهم خائف من سليمان عليه السلام حتى كانت المفاجأة: (**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**) [سبأ:١٤].

(١٧) الأدب مع الله ﷻ، كما فعلت الجن، فقد تأدبوا مع الله ﷻ في كلامهم فنسبوا له الخير دون الشر. وحين أرادوا نسبة الزوجة والولد لله ﷻ قدموا لها بتعظيم الله، وكأنهم تكابروا مجرد ذكر هذه التهمة فقالوا: (**وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً**)، وعيسى عليه السلام حين يسأله الله ﷻ يوم القيامة فيقول: (**يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ**) [المائدة:١١٦].

(١٨) الشر المحض لا يُنسب إلى الله ﷻ، وإن كان الله ﷻ هو الذي خَلَقه؛ لأنه من جهة خلْق الله ﷻ له خير، إذ كل تدبيرات الله ﷻ حكيمة؛ ولذا لم ينسب الجن الشر إلى الله ﷻ وإنما نسبوا إليه الخير، وقد قال رسول الله ﷺ: (والخير كله في يديك، والشر ليس إليك) [رواه مسلم]. فمثلا: الشياطين والكفر والمعاصي، هي من جهة الله ﷻ الذي خلقها: حكمة وخير، بها تظهر قدرة الله ﷻ في خلق المتضادات، وبسببها تحصل التوبة والانكسار لله ﷻ، وبها تظهر مغفرة الله ﷻ على العباد وعفوه عنهم، ولهذا قال رسول الله ﷺ: (لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون، فيغفر لهم).

(١٩) الجن غير الشياطين، فإن في الجن مسلمين صالحين، كما أخبر الجن في هذه السورة، أما الشياطين وهم إبليس وذريته فكلهم كفرة أعداء، كما قال تعالى: (**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**) [الكهف:٥٠].

(**٢٠**) التوكل على الله ﷻ واللجوء إليه من أذى الجن، فإنهم في قبضة اللهﷻ لا يستطيعون الهروب من الله والإختفاء منه في الأرض ولا خارجها، كما صرحوا في هذه الآيات، ويقول الله تعالى: (**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**) [النحل:٩٨-٩٩]، وفي الحديث: (إذا خرج من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هُديت وكُفيت ووقيت، ويتنحى عنه الشيطان) [رواه الترمذي وأبوداود]، وقال ﷺ: (لو أن أحدكم إذا نزل منزلا قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره في ذلك المنزل شيء حتى يرتحل منه) [رواه ابن ماجه بسند صحيح].

(**٢١**) إعلان الإسلام والتوبة مما يشجع الآخرين على الاقتداء وعلى الدعوة، وهذا ما فعله هؤلاء الجن وكرروه أمام قومهم ترغيبا لهم في الإسلام. وقد كان الأقوياء من الصحابة ﷺ يشهرون إسلامهم أمام المشركين بمكة، مما يسند الراغبين في الإسلام من الضعفاء للدخول فيه. وهذا يؤكد أهمية نشر قصص من يُسلم من الشخصيات البارزة وإعلان المقابلات معهم لذلك.

(**٢٢**) الإسلام دين العدل والخير والإصلاح، ينبذ الظلم والفساد والشر. ولذا اعتبر هؤلاء الجن الصالحون أن عكس كلمة(المسلمون) هي كلمة(القاسطون) بمعنى الظالمون الجائرون المفسدون . والحقيقة أن منهج الإسلام هوالعدل مع كل أحد، ولو كان عدواً كافراً محاربا: (**لا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى**).

(**٢٣**) الجن يعذَّبون في النار وينعمّون في الجنة كالإنس؛ ولذلك آمن هؤلاء الجن ودعوا قومهم وقالوا: (**فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً**)، وقد قال الله تعالى: (**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**) [هود:١١٩].

الآيات: ١٦-٢٨

﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾

أ) تقديم:

بعد خطاب الجن لقومهم، يأتي خطاب الله ﷻ وخطاب رسوله ﷺ الموجه إلى المكلفين من إنس وجن. وفي هذا الخطاب دعوة إلى الاستقامة على الإسلام والتوحيد، وإعلان من الرسول ﷺ عن عقيدته وافتقاره لربه ﷻ وأنه لا يعلم الغيب، كما أعلن الجن ذلك في الآيات السابقة.

ب) المعاني :

١٦-١٧. (وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً . لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ): أي لو أن العباد من إنس وجن ساروا على طريقة الإسلام دون انحراف، لأسقاهم الله ﷻ في الدنيا ماءا غزيرا، ليختبرهم كيف يشكرون نعمة الله ﷻ عليهم. **قيل إن سبب هذه الآية:** أن الله ﷻ أصاب قريشا بالقحط والجوع، حتى أكلوا العظام وأصبح الواحد منهم يرى مثل الدخان من الجوع، وذلك حين أبطؤوا الإسلام وآذوا المسلمين، فدعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: (اللهم أعني عليهم بسبع، كسبع يوسف) [رواه البخاري ومسلم].

١٧. (وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً) أي: ومن يعرض عن ذكر الله ﷻ وطاعته وكتابه فإن الله ﷻ يدخله عذابا شاقا متزايدا: **(فذوقوا،فلن نزيدكم إلا عذابا)**.

١٨. (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً): أي وأن المساجد إنما تُبنى لعبادة الله ﷻ وحده، فلا تدعو وتتعبدوا لأحد مع الله ﷻ فيها.

١٩. (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً): أي وأنه حين قام الرسول ﷺ يتقرب إلى الله ﷻ يصلي الفجر كاد أولئك النفر من الجن ـ وهم مجتمعون حول الرسول ﷺ يستمعون قراءته . أن يصبحوا متلاصقين من شدة تزاحمهم، أو كادوا يقعون على الرسول ويلتصقون به.

٢٠. (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً): أي قل لقريش وغيرهم إنما أعبد ربي ﷻ وحده، ولا أشرك معه في العبادة أحدا كائنا من كان.

٢١. (قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَدا): أي قل لهم: إني لا أقدر أن أضركم أو أدفع عنكم سوءا وشرا، ولا أجلب لكم هداية وخيرا.

٢٢. (قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً): أي قل لهم: إني لن يحميني من عذاب الله ﷻ إن عصيته أحد من الخلق كائنا من كان، ولن أجد من غير الله ﷻ مكانا ألتجئ وأختبئ فيه عنه ﷻ. فكما أنه ﷺ لا يملك لهم نفعا، فكذلك لا يملكون له نفعا وحماية من الله ﷻ.

٢٣. (إِلَّا بَلَاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ): أي لكن أملك أن أبلغكم من الله ﷻ كلامه وما أرسلني به إليكم، لا مفر لي من ذلك. **(فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَ غُ)** [آل عمران:٢٠].

٢٣-٢٤. (وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً . حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً): أي والذين يعصون ما أمر الله ﷻ به ورسوله ﷺ ويُعرضون عن دين الله ﷻ الذي جاء به رسوله ﷺ، فإن جزاءهم نار الآخرة لابثين فيها دائما لا يخرجون، فإذا رأوا هذا العذاب قد حل بهم علموا أنهم أضعف معينا، وأقل جنودا، لا ينصرهم أحد، ولا ينتصرون بأنفسهم ويمنعون عنها العذاب.

٢٥-٢٨. (قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً . عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً . لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً): أي قل لهؤلاء المشركين: لا أدري هل قريب ما وعدكم الله ﷻ به من عذاب الآخرة، أم يجعل الله ﷻ له أجلا بعيدا؟، فهو العالم وحده بما غاب عن علم الخلائق من نيات وأسرار وأشياء، فلا يُطلع على علمه الغيبي

أحدا، لكن من اختاره الله ﷻ لرسالته فإنه يطلعه على شيء من ذلك الغيب، ويجعل أمام الرسول وخلفه حرسا من الملائكة يحفظونه من شر الجن والشياطين حتى لا يُلقون الباطل على لسانه، ليتحقق ظاهراً علم الله ﷻ بأن رسله قد بلّغوا رسالاته، وهو ﷻ العليم بجميع شؤونهم، وقد أحاط بأعداد الأشياء كلها.

ج) الفوائد :

(١) الإيمان والاستقامة والتوبة سبب للخير والرزق والمطر، فقد وعد الله ﷻ بالماء الغزير من استقام على طريقته وطريقة نبيه ﷺ. وقد سبق في السورة أنه حري بالرشد آمن من النقص والشدة، وقال تعالى: (**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ**) [الأعراف:٩٦]، وقال تعالى: (**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**) [الطلاق:٢.٣]، وقال رسول الله ﷺ: (من سرَّه أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه).

(٢) لا تغتر وتزكِّي نفسك لما أعطاك الله ﷻ من الرزق، فإن رزق الدنيا ابتلاء، فإذا ناله العبد . ولو بسبب دعاء أو عمل صالح . فلا يغتر ولا يحكم لنفسه بالقبول، فإنه لا يُقطع لأي إنسان بقبول الله له ورضاه عنه إلا بوحي من الله تعالى: (**فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**) [النجم:٣٢]. وأما الرزق الذي يمنحه الله ﷻ للشخص الصالح فهو قرينة على رضا الله ﷻ عنه . كما سبق . ولكن ليس دليلا جازما بذلك.

(٣) لا تحزن لما فاتك من الدنيا، فإن رزق الدنيا ابتلاء من الله ﷻ كما صرحت السورة. فقد لا تنجح في هذا الابتلاء فيصرفه الله ﷻ عنك رحمة بك، فإن العبد قد يُعطى الرزق فيفتتن به ويتكبر وينسى الآخرة. وقد يظن غير المتأمل أن الابتلاء بالشدة والمصائب أصعب من الابتلاء بالنعم والرخاء، والحقيقة عكس ذلك، فكثيرون هم الذين يصبرون وينجحون أمام الضراء والشدائد، لأن الشدة والمصيبة توقظ الضمير وتثير في النفس الالتجاء إلى الله ﷻ وتخلّص القلب من التعلق بغيره وتذكره بنعمته، أما الرخاء فإنه يخدّر النفس وينسيها المنعم ويلهيها عن شكره ويهيئ الفرصة لكثير من الفتن؛ ولذا يقول الرسول ﷺ: (والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم) [متفق عليه].

(٤) البعد عن طاعة الله ﷻ وذِكره وكتابه أسباب للمصائب والغموم، بل عذابا متصاعدا، كما وصفه الله ﷻ فقال: (**وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء**) [الأنعام:١٢٥]، ويقول تعالى: (**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**) [طه:١٢٤].

(٥) تعظيم المساجد وتكريمها، لأنها بيوت الله ﷻ، فتعظيمها تعظيم لله تعالى: (**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ**) [النور:٣٦]، وقال تعالى: (**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**) [التوبة:١٨].
وكلما قدم ﷺ من سفر كان أول ما يبدأ به المسجد فيصلي فيه ركعتين، وأمر ﷺ بتحية المسجد فقال: (إذا دخل أحدكم المسجد، فلا يجلس حتى يصلي ركعتين)، ونهى ﷺ عن اتخاذ المسجد طريقا تعظيما لمكانته، وكذلك نهى عن البيع والشراء

وعن نشد الضالة فيه، وعن إيذائه بالقذر والروائح الكريهة، وقال ﷺ: (من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى به بنو آدم) [رواه مسلم].

(٦) تحريم بناء المساجد على القبور، أو دفن الأموات فيها؛ فإن المساجد بيوت الله ﷻ لعبادته وحده، وقد نص الله ﷻ على ذلك وعقّبه بالنهي عن دعاء غيره معه، وقال ﷺ عن هذا المنكَر الموجود آنذاك عند نصارى الحبشة: (أولئك كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) [متفق عليه]. وأما قبر النبي ﷺ فهو إنما دفن في بيته لقوله: (ما مات نبي إلا دُفن حيث مات)، ولخشية الصحابة ﷺ إن أبرزوا قبره مع الناس أن يُتخذ قبره مسجدا يُصلَّى عنده ويُدعى الله ﷻ عنده، ولكن الخلفاء ومع ازدياد المصلين اضطروا إلى توسعة المسجد، فقام عمر بن عبد العزيز بأمر الخليفة الوليد بن عبد الملك بتوسعة المسجد حتى دخلت الحجرة في المسجد، وحتى لا تكون ذريعة لأهل البدع، فقد سد بابها وبنى عليها حائطا آخر ليفصلها عن المسجد، وحتى جعلوه بشكل مثلث رأسه إلى الشمال، لئلا تكون الحجرة قبلة ولا تشبه الكعبة.

(٧) إخلاص الدعاء والعبادة لله ﷻ وحده، فقد نهى الله ﷻ أن يُدعى معه أحد كائنا ما كان، وأنكر في السورة استعاذة الإنس بالجن، وقال تعالى: **(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)** [الشعراء:٢١٣].

(٨) العبودية لله ﷻ طريق الشرف والعزة؛ ولهذا وصف الله ﷻ بها نبيه وسيد رسله محمد ﷺ في هذه السورة في مقام الدعاء والعبادة، وكذلك وصفه بها في مقام الوحي: **(فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى)** [النجم:١٠]، وفي مقام الإسراء الشريف: **(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)** [الإسراء:١]، وفي مقام الصلاة: **(أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى)** [العلق:٩-١٠]؛ فمن كان لله ﷻ أعبد كان عند الله ﷻ أكرم: **(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)** [الحجرات:١٣].

(٩) الصلاة من أفضل التوسلات إلى الله ﷻ؛ ولذا سماها الله ﷻ الدعاء: **(وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ)**، ولذا شُرعت صلاة الاستسقاء توسّلا إلى الله ﷻ لينزل المطر، وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وقد قال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ)** [البقرة:١٥٣].

(١٠) الحرص على تعلم الدين واستماع القرآن الكريم ودراسته؛ ولذا ذكر الله ﷻ هذا الموقف العجيب من الجن: **(وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً)**. **ومن أحسن الأمثلة** لذلك قصة جبريل عليه السلام حين جاء في صورة طالب يريد أن يتعلم من الرسول ﷺ، فدخل في أحسن هيئة وجلس أمام الرسول ﷺ واضعا يديه على فخذيه، واقترب حتى ألصق ركبتيه بركبتي رسول الله ﷺ ثم بدأ يسأل مصغيا للإجابة مرتبا أسئلته: (أخبرني عن الإسلام...،أخبرني عن الإيمان...) [رواه البخاري].

(**١١**) الشرك أكبر الكبائر؛ ولذا أعلن الرسول ﷺ البراءة منه قبل غيره: (**قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً**)، وكما فعلت الجن أول السورة: (**فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً**)، وقد قال الله ﷻ لسيد المرسلين: (**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) [الزمر:٦٥].

(**١٢**) عدم الغلو في أحد، ولو كان رسول الله ﷺ، فإنه ﷺ لا يملك لأحد ضرا ولا رشدا، ولا أحد يستطيع أن يمنع عنه عذاب الله ﷻ لو عصاه، وقد قال الله ﷻ بعد معركة أُحد: (**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ**) [آل عمران:١٢٨]. وقد قال ﷺ: (لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله) [متفق عليه]، وقال ﷺ: (إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو) [رواه أحمد والنسائي بسند صحيح].

(**١٣**) ربط المدعوين بالمنهج لا بشخص الداعي؛ ولذا أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يعلق الناس بربهم ﷻ، وأن ينبههم إلى عدم التعلق بشخصه: (**قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً . قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ**)، وهذا مبدأ مهم في الدعوة إلى الله ﷻ: (**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا**) [آل عمران:١٤٤].

(**١٤**) أن يكون الله ﷻ أكبر شيء في قلب المسلم والداعي، فذلك سر القوة والثبات؛ ولذا قال لهم الرسول ﷺ في شجاعة: (**قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً**)، أي: ماذا تساوون أنتم أمام قوة الله ﷻ، وماذا تساوي الخليقة كلها أمام الله ﷻ. وهذا هو منطقه ومنطق أصحابه الكرام في حمراء الأسد عقب معركة أحد: (**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ**) [آل عمران:١٧٣-١٧٤]. وأصعب من ذلك موقفه ﷺ في الغار لما وصل إليه المشركون ليقبضوا عليه حياً أو ميتا، فيبكي أبو بكر خوفا على نبيه ﷺ، فرد عليه النبي ﷺ في ثقة بالغة: (يا أبابكر، ماظنك باثنين الله ثالثهما)، وقد أشاد الله ﷻ بهذا الموقف الإيماني الرائع في قوله: (**إلا تنصروه فقد نصره الله . إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار . إذ يقول لصاحبه لا تحزن،إن الله معنا**). وفي قصة موسى عليه السلام مع الطاغية فرعون وقد أدركهم بجيشه في حصار مطبق: (**فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون. قال كلا إن معي ربي سيهدين**).

(**١٥**) التركيز في برامج الدعوة على الإبلاغ وسعة الانتشار؛ لأن التبليغ هو مهمة نبينا محمد ﷺ وليس عليه الهداية، ولذلك استخدم ﷺ كافة الوسائل الممكنة في زمنه، بنفسه، وبنوابه، وبكتبه، وزار مواقع انتشارالأخبار كوفود الحج، والأسواق كسوق عكاظ وغيره. والآن اتسعت وسائل النشر من قنوات وشبكة معلومات يمكن استغلالها لإيصال صوت الحق إلى العالم.

(١٦) لا يحزن الداعي لعدم الاستجابة له؛ لأن مهمته البلاغ، ومن عصى رسول الله ﷺ فعذابه عند الله ﷻ ينتظره. ويكفينا ما أخبرنا به رسول الله ﷺ أن النبي من السابقين يأتي يوم القيامة وليس معه أحد، أي: لم يستجب له ولم يتبعه أحد من الناس.

(١٧) العمل بالسنة فهي وحي من الله ﷻ، ومن يعص الرسول ﷺ فقد دخل في الوعيد المذكور في السورة، وقد قال تعالى: (**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ**) [النساء:٨٠].

(١٨) وقت الساعة غيب لا يعلمه أحد من الخلق، حتى رسول الله ﷺ؛ وإنما أطلعه الله ﷻ على بعض علاماتها، قال تعالى: (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**) [الأعراف:١٨٧]، وقال تعالى: (**فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا**) [محمد:١٨]، أي علاماتها، ومنها قوله تعالى: (**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ**) [القمر:١]، وقوله الله ﷻ عن عيسى عليه السلام: (**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ**) أي مجيئه علامة على قربها.

(١٩) الجن لا يمكن أن تُلقي شيئا على لسان الرسول ﷺ، ولا حتى أن تتمثل به الشياطين في الأحلام، وهذا من الرصد والعزل الكامل بين الرسول ﷺ وبين الشياطين.

(٢٠) حفظ الله ﷻ لهذا القرآن وهذا الدين، فقد حفظه الله ﷻ على لسان الرسول ﷺ، كما حفظه على لسان جبريل عليه السلام في السماء، وبقي محفوظا في الصدور وفي السطور: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) [الحجر:٩]، (**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**) [القيامة:١٧]، وكل شبهة يثيرها شياطين الإنس والجن في كلام الله ﷻ يكشفها القرآن ولله الحمد: (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ**) [الحج:٥٢] ومعنى تمنى: قرأ.

(٢١) مراقبة الله ﷻ في جميع الأحوال؛ فإنه المحيط بالإنسان وبكل المخلوقات، وبذلك يتقي العبد المعاصي، ويسارع إلى الطاعات، ويتقن العمل؛ ولذا كانت المراقبة هي سر بلوغ أعلى منازل الدين (الإحسان)، كما قال ﷺ مجيبا لجبريل عليه السلام حين سأله عن الإحسان، قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) أي أتقن عبادتك لله ﷻ حتى كأنه أمامك تراه، وتجنب معصيته متذكراً أنك وإن كنت لاتراه فإنه يراك ﷻ.

صفحة الواجب ١.٦.١

س١: ما مناسبة سورة الجن لسورة نوح؟.

س٢: ما معنى الكلمات التالية في السورة : (نفر- عجبا- تعالى جدُّ ربنا- صاحبة- شططا- رهقاً-حرساً شديدا – للسمع – رصدا – طرائق قددا- بخسا – رهقا – القاسطون –الطريقة- غدقا – لنفتنهم فيه – يسلكه – صعدا – لما قام عبدالله يدعوه – لبدا – ملتحدا – أمدا)؟.

س٣: تحدث عن عالَم الجن من خلال هذه السورة؟.

س٤: هل كان الرمي بالشهب موجود قبل زمن النبي ﷺ؟، واذكر الدليل على ذلك.

س٥: اذكر الدليل الشاهد من السورة على مايلي:

أ– الأدب مع الله تعالى.

ب– الجن على مذاهب متعددة كالإنس.

ج– الإستعانة بالجن سبب لتسلطهم على الإنسان.

د– الجن الكفار يعذبهم الله في النار.

هـ – الإستقامة سبب للمطر والرزق.

س٦: اذكر أمرين من تعظيم بيوت الله ﷻ، واذكر أربعة أمورمنهي عنها فيها.

المراجع

١. تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

٢. تفسير أحكام القرآن لابن العربي.

٣. تفسير القرآن الكريم للبغوي

٤. تفسير فتح القدير للشوكاني.

٥. تفسير أضواء البيان للشنقيطي، تكملة تلميذه عطية محمد سالم.

٦. تفسير تيسير الكريم الرحمن للسعدي.

٧. تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب.

٨. تفسير صفوة التفاسير للصابوني.

٩. التفسير المنير للزحيلي.

١٠. التفسير الميسر لمجمع المصحف الشريف.

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المقدمة	**١**	**سورة المعارج**	**٥٦**
سورة الملك	**٢**	الآيات ١.١٨	٥٨
الآيات ١-١١	٤	الآيات ١٩.٣٥	٦٢
الآيات ١٢-٢٢	٩	الآيات ٣٦.٤٤	٦٦
الآيات ٢٣-٣٠	١٤	**سورة نوح**	**٧٠**
سورة القلم	**٢١**	الآيات١.٢٠	٧٢
الآيات ١.١٦	٢٣	الآيات ٢١.٢٨	٧٧
الآيات ١٧.٣٣	٢٨	**سورة الجن**	**٨٣**
الآيات ٣٤.٥٢	٣٢	الآيات ١.١٥	٨٥
سورة الحاقة	**٤١**	الآيات ١٦.٢٨	٩٢
الآيات ١.١٢	٤٣	**المراجع**	**٩٩**
الآيات ١٣.٣٧	٤٦	**الفهرس**	**١٠٠**
الآيات ٣٨.٥٢	٥٢		

المقدمة:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين،،،

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه بقية سور (جزء تبارك) سور **العقيدة، والعبادة، والدعوة**. فكما حدثتنا سورة (الملك) عن الإيمان بالله ﷻ، وسورة (القلم) عن الإيمان بالرسول ﷺ، وسورتا (الحاقة والمعارج) عن الإيمان باليوم الآخر، وسورتا (نوح و الجن) عن الدعوة إلى الله ﷻ.

فهاتان سورتا (**المزمل، والمدثر**) توجهان الدعوة النبوية وتردان على خصومها.

وهذه سور (**القيامة، والإنسان، والمرسلات**) تقرر البعث والجزاء بالأدلة البينة، وتصف أحداث الآخرة وصفا دقيقا.

ومنهجنا في تفسير هذه السور هو التدبر والتفكر، بشرح المعاني، واستنباط الفوائد منها. اتباعاً لقول الله تعالى: (**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**).

نسأل الله ﷻ أن ينفعنا جميعا بذلك، إنه هو السميع العليم.

د. ظاهر بن فخري الظاهر

كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية (المدينة المنورة)

صفحة الموجز ١-١-١

سورة المزمل

أ. المقدمة:

تناولت سورة المزمل الإرشادات الإلهية الموجهة لنبينا ﷺ في بدء دعوته المباركة، فأمره الله ﷻ بقيام الليل وترتيل القرآن ومداومة الذكر والعبادة ، ليكون زاداً له في طريق الدعوة الثقيل. وأمره الله ﷻ بالتوكل عليه وبالصبر على أذي المشركين، مهدداً مكذبيه بعذاب الآخرة وبمثل مصير فرعون الذي كذب وعصى موسى عليه السلام. ثم اختتمت السورة بنسخ فرضية قيام الليل، حاثّة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والاستغفار.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ يقرأ الطالب السورة بطريقة صحيحة، ليتم حفظها بعد ذلك.

١-٢ يعرف الطالب فضل قيام الليل.

١-٣ يعرف الطالب آداب الدعوة إلى الله ﷻ.

١-٤ يعرف الطالب ما أعده الله ﷻ للمكذبين وما أوقعه بفرعون.

١-٥ يعرف الطالب مثالاً للنسخ في القرآن الكريم.

ج.المواضيع بإيجاز:

(أ) تعريف بالسورة: موضوعها، ومناسبتها، وميزاتها.

(ب) معاني الآيات.

(ج) فوائد الآيات.

صفحة الموجز ١-١-١

سورة المزمل

أ) موضوعها:

تذكير الرسول ﷺ بما يُعينه ويصبره على تحمل الرسالة؛ وتحذير قومه من تكذيبه .

ب) مناسبتها:

ذكرت سورة الجن إيمان الجن بالرسول ﷺ وإعجابهم بالقرآن الكريم، وهذا ما يثبته ﷺ في طريق الدعوة، وبخاصة أنها بعد حادثة الطائف المعروفة؛ فجاءت سورة المزمل تذكره بأمور أخرى تزيده ثباتا ونجاحا في الدعوة؛ كقيام الليل، وترتيل القرآن والذكر والصبر. وفي سورة الجن تبشير للرسول ﷺ بإسلام الجن فجاءت سورة المزمل تدعوه إلى قيام الليل، كالشكر لله ﷻ على إسلامهم .

ج) ميزاتها:

(**١**) بيان الأسباب المعينة للداعية من الصلاة والذكر؛ ومن التوكل والصبر.

(**٢**) بيان هول عذاب الآخرة وأحداث القيامة.

(**٣**) نسخ وجوب قيام ما لا يقل عن ثلث الليل المذكور أول السورة بالآية الأخيرة من السورة، وهذا نموذج لنسخ حكم قرآني أشد بحكم قرآني أخف، مع بقاء تلاوة المنسوخ، وكلاهما في سورة واحدة.

صفحة الموجز ١-١-١

الآيات: (١ . ١٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝ ﴾

أ) المعاني:

(**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**): أي الملتحف.

والمراد به النبي ﷺ. وسبب تزمله ﷺ: خوفه الشديد في حادثة لقاء جبريل عليه السلام به أول مرة في غار حراء، حين نزل عليه بقول الله تعالى: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**) [العلق:١]، فرجع إلى زوجته خديجة رضي الله عنها وهو يرتجف ويقول: زملوني، زملوني.

(**قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ**): أي قم للصلاة أكثر الليل، لا حرج عليك أن تقوم نصفه أو قريبا من النصف، أو تزيد على النصف.

أو أن الاستثناء هو من عدد الليالي: أي لا تترك قيام الليل إلا قليلا من الليالي، لعذر من مرض أو سفر أو قتال-كما بينته آخر الآيات - والعذر عادة يكون قليلا.

(**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**): اقرأه بتمهل وتجويد وتحسين. أكد الأمر: (**تَرْتِيلًا**) للاهتمام والإتقان.

(**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**): أي سننزل عليك قرآنا وشرعا ثقيلا في وحيه وتكاليفه وأمانة تبليغه. والقرآن ثقيل في إنزاله على نبينا ﷺ حتى كان عند تلقيه يتفصد جبينه عرقا في الليلة الشاتية.

صفحة الموجز ١-١-١

وهو ثقيل في مسؤوليته كما قال ﷻ عن أمانة الدين: (**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا**) [الأحزاب:٧٢].

(**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئا وَأَقْوَمُ قِيلًا**): أي الصلاة والتلاوة التي ينشئها العبد في الليل بعد النوم هي أشد توطئة وتثبيتا لقلبه وحفظه، وأحسن تلاوة وأنفعها. لما يتحقق فيها من الخشوع والتدبر والإخلاص والتضرع.

(**إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا**): أي يكفيك النهار فإن لك فيه مجالا واسعا للتحرك في مصالحك ومعاشك، وفي دعوتك وأداء رسالتك، فتفرغ في الليل للصلاة.

(**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ**): أي اذكر ربك ﷻ مثنيا عليه بأسمائه الحسنى داعيا إياه.

(**وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا**): أي استمر في عبادة ربك وانقطع إليه وعلق قلبك به تماما؛ ولذا لقبت مريم عليها السلام بالبتول، لاعتكافها الدائم في المعبد، والتجائها التام إلى الله تعالى: (**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ**) [آل عمران:٣٧].

(**رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا**): أي رب مشرق الأرض ومغربها، لا معبود بحق إلا هو ﷻ،فتوكل عليه واستعن به واجعله المفوض للقيام بأمورك، ما دام أنه رب الكون والإله الحق وحده ﷻ.

(**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ**): أي اصبر على ما يقولون فيك من الأقوال الباطلة، **ومنها**: اتهامهم للرسول ﷺ بالجنون، وبالسحر، وقولهم فيه إنه كذّاب، وأنه شاعر. ووصفهم له بأنه صابئ- أي مخالف دين آبائه -، وسبهم له بمذمّم. وادعاؤهم أنه يعلمه بشر، وأن القرآن أساطير الأولين منقول منها.

(**وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**): أي اترك مجالستهم ومشاركتهم فيما هم عليه من الباطل وأعرض عنهم دون إيذاء لهم، بل بألطف أسلوب. لتبقى الفرصة سانحة للسماع منك، والاستجابة لك ولو بعد حين.

ب) الفوائـد:

١. فضل قيام الليل، وأهميته في إعداد المسلم لمواجهة الشدائد، وتثبيته في المحن؛ ولذا أرشد الله ﷻ رسوله ﷺ إلى ذلك في هذه السورة المكية المبكرة، وحثه على قيام أكثر الليل، رغم ما يتحمله في النهار من مشاق الدعوة والمعاش، فقال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا**)، ثم بين له السبب والحكمة: (**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**).

٢. أفضل قيام الليل أن يكون بعد نوم أول الليل، وأن تكون الصلاة حسب النشاط، فإن وجد نشاطا زاد في الوقت إلى نحو الثلثين، وإلا اقتصر على الثلث. وأما عدد الركعات فحسب التلاوة، فإن أطال التلاوة قلل الركعات إلى أحد عشر ركعة، كما هو فعل الرسول ﷺ، وإن قصر التلاوة زاد في عدد الركعات. وأثنى الرسول ﷺ على صلاة نبي الله داود عليه السلام، فقال: (أفضل الصلاة صلاة داود عليه السلام، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه) [متفق عليه].

٣. عظمة القرآن الكريم وفضل تلاوته وتدبره، وأهمية ذلك في إعداد المسلم وتصبيره، وبخاصة أثناء قيام الليل.

٤. الحث على ترتيل القرآن الكريم وتحسين تلاوته وتجويده، فقد أمر الله ﷻ بذلك أمرا مؤكدا : (**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**)، وقد أنزله الله ﷻ مرتلا: (**ورتلناه ترتيلا**). وهذا من تعظيم كلام الله ﷻ، ومما يساعد على تدبره وفهمه واكتشاف عجائبه وفوائده المكنوزة.

٥. النفوس تحتاج إلى الإعداد والتدريب والتهيئة كما تحتاج الأبدان لذلك، والنفس القوية الصابرة المكافحة هي المؤهلة لمواجهة الشدائد والمستحقة أن تكون قائدة قدوة لغيرها، بخلاف الضعيفة الكسولة المدللة؛ ولذلك أمر الله ﷻ نبيه محمدا ﷺ في أول البعثة بقيام الليل إلا قليلا، وعلل ذلك بالإعداد للمهمة الثقيلة الملقاة عليه: (**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**).

٦. عظمة صبر الحبيب المصطفى ﷺ لشدة ما يلاقيه من مشقة عند تلقي الوحي.

٧. المستقبل الكبير لابد أن يمر بتضحيات كبيرة ومواقف شاقة؛ ولذا عانى رسول الله ﷺ في تلقي الرسالة منذ أول الأمر، كما في قصته مع جبريل عليه السلام أول ما لقيه بغار حراء فضمه جبريل عليه السلام حتى كادت نفسه تخرج (فعل به ذلك ثلاثا)، ثم تلا عليه الآيات أول العلق. فرجع ﷺ يرتجف يقول زمِّلوني، ويقول لخديجة رضي الله عنها: (خشيت على نفسي) أي من الموت. ومعاناة الرسول ﷺ في تبليغ الرسالة ومواجهة الخصوم أكثر، حتى قال ﷺ: (أوذيت ولم يؤذ أحد، وأُخفت ولم يخف أحد). وقد سئل الإمام أحمد . رحمه الله . وهو صاحب التجربة العظيمة في الابتلاء: أيمكَّن للرجل أم يُبتلى؟، فقال: (لا يمكَّن له حتى يبتلى).

٨. ثقل أمانة الدين والدعوة، فتحتاج إلى إعداد وصبر وتوطين للنفس على العوائق والعقبات. ولا شك أن من يقوم بتلك الأمانة فهو البطل، قال تعالى: **(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)** [الأحزاب:٧٢]. وقال عز وجل عن الصلاة: **(وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ)** [البقرة:٤٥]، وقال سبحانه وتعالى عن الصدقات: **(فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۞ فَكُّ رَقَبَةٍ ۞ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۞ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ)** [البلد:١١-١٥].

٩. النهار للتحرك في المعاش والمصالح الأخرى، والليل للسكن وعمارة البيوت بذكر الله عز وجل، كما نبهت إليه الآيات: **(إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا)**، قال الله تعالى: **(فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا)** [الأنعام:٩٦]، وقال تعالى: **(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۞ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا)** [النبأ:١٠-١١]، ومن المصالح الصحية في ذلك أن حرارة الشمس في النهار ترفع الغازات الضارة وتقتل كثيرا من الفيروسات، بخلاف الليل حيث تهبط هذه الغازات وتقترب من سطح الأرض، مما يؤثر على صحة الإنسان حين يتعرض لها.

١٠. التوسط والجمع بين عمل الدنيا وبين عمل الآخرة، فيجمع المسلم بين الكسب وبين العبادة. وهكذا وجهت الآيات رسول الله ﷺ، وقال تعالى: **(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)** [القصص:٧٧]، وقال تعالى: **(رَبَّنَآ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً)** [البقرة:٢٠١].

١١. الحث على ذكر الله عز وجل، مع تعظيمه بالقلب والكلام والفعل: **(وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ)**، فبذلك يطمئن قلبك لذكر خالقه ومحبوبه الأعظم: **(أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)** [الرعد:٢٨]، وأيضا فإن الله سبحانه وتعالى يرفع ذكرك ويؤيدك: **(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)** [البقرة:١٥٢].

صفحة الموجز ١-١-١

ولذلك وصى الله ﷻ نبيه ﷺ هنا، وفي مطلع الوحي والرسالة. فكان ذلك ديدنه ﷺ، يذكر الله ﷻ في كل أحيانه، ويوصي بذلك: (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله)، وكان ذلك من أعظم الزاد والعدة لنبي الله موسى عليه السلام وأخيه هارون عليه السلام في مهمتهما الكبيرة إلى فرعون: (**اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي**) [طه:٤٣].

١٢. التبتل إلى الله ﷻ بأن يصرف المسلم جميع الوقت في طاعة ربه ومرضاته، منقطعا عن كل ما يشغله عن ربه ﷻ. هذا هو التبتل الذي أمر الله ﷻ به نبيه ﷺ وأكده عليه: (**وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا**)، وقد قال ﷻ: (**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**) [الأنعام:١٦١-١٦٢].

١٣. (**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**) ليست مجرد كلمة، ولكنها عقيدة تقتضي عملا والتزاما؛ ولذا رتب الله ﷻ عليها التوكل فقال: (**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا**). ولذا رفض المشركون أن يقولوها، ولما قال ﷺ لعمه أبي طالب: (قل لا إله إلا الله،كلمة أحاج لك بها عند الله)، قال هو على ملة عبد المطلب. ففهم منها أبو طالب تغيير معتقده والبراءة من دين أبيه عبد المطلب، ولكن كثيرا من المنتسبين إلى الإسلام لا يفهمونها فهم يقولونها ثم يتبركون بالقبور ويأتون السحرة.

١٤. التوكل على الله ﷻ حق التوكل، فيعتقد العبد أن التوفيق بيد الله ﷻ، ولن يصيبه إلا ما كتب الله ﷻ له، وهذا الاعتقاد يظهر في دعائه لربه ﷻ، والتجائه إليه، كما يظهر بعد النتيجة في رده الفضل إلى الله ﷻ وشكره على ما يسره له ﷻ، كما يظهر في صبره وعدم تسخطه مما أصابه لو كانت النتيجة على غير ما يحب.

١٥. الصبر الجميل على الأذى في الدين والدعوة إلى الله ﷻ، فبذلك أمر الله ﷻ نبيه ﷺ في مواجهة خصومه وما يرمونه به من التهم ويسخرون منه، قال تعالى: (**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**)، وقال تعالى: (**وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**) [الأحزاب:٤٨]، وهذا هو الأليق بحكمة الداعية والطريق للتأثير في المدعوين، ونيل أجر الصابرين: (**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**) [الزمر:١٠].

وقد واجه ﷺ أنواع الأذى، فصبر كما أمره الله ﷻ، وحين لم يجد إلا السخرية والأذى من أهل مكة ذهب إلى الطائف يدعوهم، فواجهوه بالرفض والأذى كذلك، فأحزنه وأهمه ذلك أشد الهم حتى إنه لم ينتبه إلا وهو في قرن الثعالب فإذا ملك الجبال يستأذنه أن يطبق على أهل مكة جبلي الأخشبين، فقال ﷺ: (لا، ولكن لعل الله أن يُخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا).

١٦. إيذاء الرسول ﷺ ودعاة الحق بالكلام السيئ والتهم ليس أمر جديدا، فقد استعملت قريش ضد الرسول ﷺ الشعر وأندية الحج وأسواق التجارة، وهي وسائل الإعلام في زمنهم، كما استخدم الكفار اليوم وسائلهم من القنوات والشبكات والصحف ورسوم الكاريكاتير. لكن الله ﷻ لهم بالمرصاد؛ ولذا قال الله ﷻ بعد ذلك: **(وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا)**، وقال تعالى: **(إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)** [غافر:٥١].

١٧. الهجر لأهل الشرك والمعاصي ولأعداء الدين، وهذا لا يتعارض مع دعوتهم وبيان الحق لهم. فإن المشاركة والمؤانسة وشدة المخالطة مما تؤثر في قلب الداعية وتسيئ سمعته، وقد يرى فيها المدعو أو غيره إقرار وتشجيعا على الباطل، وقد قال الله ﷻ: **(وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)** [الأنعام: ٦٨]، وقال تعالى: **(وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ)** [النساء:١٤٠].

١٨. أن لا يكون هجر الداعي لأهل الفجور بإساءة وإيذاء لهم، بل تكون المقاطعة مع عبارات الشفقة عليهم، لتأليف قلوبهم وإتاحة الفرصة لدعوتهم وعودتهم للحق. كما في قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر، فإبراهيم عليه السلام يدعو أباه بعبارات لطيفة مشفقة: **(يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا)** [مريم:٤٥]، فيهدده أباه ويطرده: **(قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا)** [مريم:٤٦]، فيجيبه إبراهيم عليه السلام: **(قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۞ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ)** [مريم:٤٧-٤٨].

صفحة الموجز ١-١-١

الآيات: (١١-١٩)

﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالاً وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولاً ﴿١٨﴾ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴿١٩﴾ ﴾

أ) المعاني:

(**وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا**): أي اتركني والمكذبين لك ذوي الغنى والترف أكفيك أمرهم، وأمهلهم مدة الحياة الدنيا القصيرة، ثم نعذبهم أشد العذاب .

(**إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا ۞ وَجَحِيمًا ۞ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ۞وَعَذَابًا أَلِيمًا**): أي قد أعددنا للمكذبين قيودا ثقيلة، ونارا عظيمة، وطعاماً ينشب بالحلق لا يستساغ لبشاعته ومرارته ونتنه، وعذابا مؤلما غير ما ذكر؛ كعذاب القبر، وعذاب القيامة، وأنواع العذاب في النار كالماء الحميم ، والزمهرير، والظلل، والمقامع، وثياب القطران- أعاذنا الله من ذلك.: (**إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۞ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**) [غافر:٧١-٧٢].

(**يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا**): أي اذكروا يوم تتزلزل الأرض بجبالها، وتتحول الجبال إلى كثيب رمل متهايل، يسيل إذا أخذت من أسفله. فالجبال تدك، ثم تكون كالرمل المتهايل، ثم تصبح هباءا متطايرا تنسفها الريح في الجو كالسحب .

صفحة الموجز ١-١-١

(**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ**): أي بعثنا إليكم نبينا محمدا يبلغكم ﷺ رسالتنا ثم يشهد عليكم يوم القيامة أنه بلغكم وأقام الحجة عليكم.

(**كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۞ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا**): أي كما أرسلنا موسى عليه السلام إلى فرعون.لكن فرعون عصى ذلك الرسول فأخذه الله بالعذاب أخذا شديدا. فقد أهلك الله فرعون وجنوده بالغرق .

(**فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا**): أي فكيف تتقون يوم القيامة الذي يشيب الصغار من هوله إن أنتم كفرتم بالله ﷻ ورسوله ﷺ. فإنه لا مفر لكم من عذاب الله ﷻ يوم القيامة إلا أن تتوبوا عن كفركم. يقول الرسول: (يأمر الله آدم يوم القيامة: أن أخرج من ذريتك وفد النار. فيقول: من كل يارب؟، قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فيومئذ تضع كل ذات حمل حملها ويشيب الولدان)

(**السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ**): أي منشقة بسبب هول يوم القيامة. **استخدم** لفظ المذكر: (**مُنفَطِرٌ**) لم يقل: السماء منفطرة، غيّر الأسلوب من المؤنث إلى المذكر ليناسب التغيير المادي الذي حدث للسماء فأصبحت شيئا آخر غير السماء المعهودة: (**يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ**) [إبراهيم:٤٨].

(**كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا**): أي كان وعد الله بحدوث يوم القيامة وأهواله منفذا لا محالة.

(**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا**): أي هذه الآيات عبرة وعظة، تذكر الإنسان بما سيقع له من أحداث يوم القيامة، وما يجب عليه وما ينبغي أن يحذره من عذاب الدنيا والآخرة.فلا عذر للإنسان يمنعه أن يختار ويسلك الطريق التي توصله إلى مرضاة ربه .

ب) الفوائد:

١. الخوف من الله ﷻ، لشدة عذابه وانتقامه، كما هو واضح في تهديد الله ﷻ للمكذبين، وما ذكره ﷻ من عذاب أخروي كالأنكال والجحيم، أو عذاب دنيوي، كما فعل بفرعون حين أخذه بالغرق أخذا وبيلا، وقد قال ﷻ: (**وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**) [آل عمران:١٧٥]، وقال تعالى: (**وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ**) [آل عمران:٢٨].

٢. النِّعم الدنيوية قد تكون للكفار، فلا تدل على صلاح أو فساد، بل قد تكون عند الكفار أكثر: (**كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا**) [الإسراء:٢٠]، وكم أعطى الله ﷻ قارون، وأعطى فرعون حتى قال تعالى: (**أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي**) [الزخرف:٥١]، (**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ**) [المؤمنون:٥٥-٥٦].

٣. خطر الغنى والنعم إذا لم تشكر، فإنها أوجب للذم وأقبح في الذنب. كمن يسيء إليك وقد أحسنت إليه، فهذا أشد ممن يسيء إليك ولم يسبق أن أحسنت إليه، وقد قال ﷻ: (**فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ**) [الأنعام:٤٤].

٤. الله ﷻ يمُهل ولا يُهمل، قال ﷻ: (**وَأُمْلِي لَهُمْ**) [الأعراف:١٨٣] أي أمهلهم مليا. وكم أمهل الله ﷻ فرعون حتى فعل الأفاعيل ببني إسرائيل، ثم أخذه الله ﷻ أخذا وبيلا: (**لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ ۝ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**) [آل عمران:١٩٦-١٩٧].

٥. متاع الدنيا قليل مهما كان، ومهما أمد الله ﷻ العبد وأمهله، فإنه قليل زائل: (**وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا**)، (**قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ**) [النساء:٧٧]، (**فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**) [فاطر:٥].

٦. شِدة عذاب الآخرة وتنوعه . أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما: (**فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ**) [الفجر:٢٥-٢٦]

٧. شِدة أهوال يوم القيامة؛ حتى إنها تتزلزل الأرض بجبالها، وتتفتت الجبال فتصبح كثيبا مهيلا، وكذلك السماء تنشق وتتغير، وحتى إن الصغار يشيبون من هوله. فلا إله إلا الله، ما أعظمه من يوم وما أشد خطره: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**) [الحج:١-٢]، (**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ**) [غافر:١٨].

٨. الناس يبعثون يوم القيامة على حالهم من السِّن: (**فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا**)، وقال ﷻ: (**وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا**) [الحج:٢].

٩. شهادة الرسول ﷺ على أمته يوم القيامة أنه بلغهم وأقام الحجة عليهم، قال ﷻ: (**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا**) [النساء:٤١]، قرأ ابن مسعود رضي الله عنه سورة النساء على الرسول ﷺ حتى وصل هذه الآية فقال ﷺ: (حسبك الآن)، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (فالتفت، فإذا عيناه تذرفان) [متفق عليه].

١٠. فضل نبي الله موسى عليه السلام، حيث ضرب الله ﷻ به المثل لنبينا محمد ﷺ، وكانت قصصه وأخباره مع قومه هي أكثر ما جاء في القرآن عن السابقين. وأثنى عليه رسول الله ﷺ في صبره، فقال يوم حنين حين اتهمه المنافقون في قسمة الغنائم: (رحم الله أخي موسى، لقد أُوذي بأشد من هذا فصبر).

١١. معصية الرسول ﷺ معصية لله ﷻ موجبة لغضبه وانتقامه؛ لأنه رسول مبلِّغ لا يشرّع من نفسه: (**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**) [النجم:٣-٤]، فسنته وحي مثل القرآن، وقد قال ﷻ: (**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ**) [النساء:٨٠]، وقال تعالى: (**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ**) [آل عمران:٣١].

١٢. النصر والعاقبة لدين الله ﷻ وأوليائه، مهما أوتي أعداؤهم من ملك وقوة، كما حصل لموسى عليه السلام وبني إسرائيل المستضعفين المعذبين على يد الطاغية فرعون، وقد قال ﷻ: (**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**) [غافر:٥١]، وقال ﷻ: (**فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**) [هود:٤٩].

١٣. من أعظم أحداث التاريخ إهلاك الله ﷻ للطاغية فرعون، ذلك الظالم السفاح والمدعي الربوبية، حيث قال: (**أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**) [النازعات:٢٤]، وقال: (**مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي**) [القصص:٣٨]، فأخذه الله ﷻ أخذا عجيبا، حيث أظهر الله ﷻ قوته ومعجزته الكبرى في شق البحر ووقوف الماء ويبس الطريق لموسى وقومه، ثم إطباقه على فرعون وقومه.

فهذا اليوم الذي حدث فيه ذلك (وهو العاشر من محرم) من أيام الله ﷻ الكبرى التي أظهر الله ﷻ فيها الحق، وأزال الظلم؛ ولذا صامه موسى عليه السلام شكرا لله، فلما جاء رسول الله محمد ﷺ صامه وأمر بصيامه.

١٤. أهمية القراءة والنظر في قصص الماضين لأخذ العظة والعبرة منها: **(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)** [يوسف:١١١].

١٥. القرآن الكريم أعظم واعظ لمن تدبره وفهمه موقناً به: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۞ قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)** [يونس:٥٧-٥٨].

١٦. إثبات مشيئة العبد ومسؤوليته الكاملة عن أفعاله؛ ولذا رد الله ﷻ دعوى من اعتذر بعدم هداية الله ﷻ له: **(أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ۞ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِين ۞ بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ)** [الزمر:٥٦-٥٩].

١٧. يسر طريق التوبة والعودة إلى الله ﷻ، وقُرب الله من التائب: **(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)** [الزمر:٥٣]. وقال ﷺ: (لَلله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة) [متفق عليه].

صفحة الموجز ١-١-١

الآية (٢٠)

﴿إِن رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

أ) المعانـــي:

(**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ ونصفه وثلثه وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ**): أي لقد علِم الله ﷻ أنك وجماعة من أصحابك تصلي ما يقارب الثلثين من الليل، وأحيانا نصف الليل، وأحيانا ثلثه. لما أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالقيام في أول هذه السورة قام حتى تفطرت قدماه، فأنزل الله ﷻ يخبره بأنه وأصحابه ﷺ حققوا المطلوب.

(**وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**): أي يحدد أوقاتهما طولاً وقصراً.

(**عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ**): أي يعلم الله ﷻ أنكم لن تكملوا وقت قيام الليل كله بالصلاة، وتستمروا على ذلك كل الليالي، لشدة المشقة عليكم ولما يعرض لكم من مرض أو سفر، فرجع عليكم بالإعفاء من وجوب قيام الليل أو بعدم تحديد القيام بمدة معينة.

(**فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**): أي فاقرؤوا في صلاة الليل ما استطعتم دون مشقة. **وعبَّر** عن الصلاة بالقراءة، لأنها مقصودها الأهم، كما في قوله تعالى: (**وَقُرْآنَ الْفَجْرِ**) [الإسراء:٧٨] أي صلاة الفجر.

صفحة الموجز ١-١-١

(**علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ**): أي يسيرون ويسافرون لطلب الرزق.

(**وآخرون يقاتلون في سبيل الله**) أي في سبيل نصرة دينه وابتغاء مرضاته.

(**فاقرؤوا ما تيسر منه وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**): أي أدوها على الوجه الأقوم.

(**وَآتُوا الزَّكَاةَ**): أي أعطوها مستحقيها.

(**وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**): أي أنفقوا لوجه الله ﷻ في سبل الخير المتنوعة، بنفس طيبة سخية. **سمَّاه**: (**قَرْضًا**) لأن الله ﷻ يحفظه للمنفق ويعوضه عليه في الآخرة.

(**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**): أي وما تفعلوا من عمل صالح مما سبق ومما لم يُذكر هنا -كالكلمة الطيبة والشفاعة الحسنة، والدلالة على الخير- تجدوا ثوابه في الآخرة أحسن منه، وأجره مضاعفا: (**مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا**) [النمل:٨٩]، (**مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**) [الأنعام:١٦٠].

(**وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**): أي اطلبوه مغفرة ذنوبكم وتقصيركم في عبادته فإنه ﷻ عظيم المغفرة واسع الرحمة. وقد **ختم** السورة بالاستغفار وكان قد بدأها بالصلاة؛ لأن الاستغفار ختام الصلاة والتهجد، وكأن الصلاة تمهيد للدعاء والاستغفار ووسيلة للمغفرة والقبول من الله ﷻ.

ب) الفوائد:

١. حرص الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ على قيام الليل، فكانوا يقومون نحواً من ثلثي الليل إلى الثلث: (**كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**) [الذاريات:١٧]، وهذا رغم ما يلاقونه من شظف العيش وما يواجهونه من متاعب الدعوة. قام النبي ﷺ يصلي الليل وقام بجواره عبد الله بن مسعود ﷺ ، يقول ابن مسعود ﷺ: فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء، قيل: وما هممت؟، قال: هممت أن أجلس وأدعه [متفق عليه].

صفحة الموجز ١-١-١

وعن عبد الله بن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: (نِعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل)، يقول ابنه سالم: فكان عبدالله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا [متفق عليه].

٢. طول القيام والتلاوة في صلاة الليل أفضل من كثرة الركعات؛ ولذا خص التلاوة في صلاة الليل بالذكر، وقد كان رسول الله ﷺ يقتصر غالبا على إحدى عشر ركعة، لكن يطيل القيام، حتى قام مرة في ركعة واحدة بأكثر من خمسة أجزاء، ذكر ذلك حذيفة بن اليمان ﷺ حين صلى مع رسول الله ﷺ، يقول حذيفة: (صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت يركع عند المائة، ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى ثم افتتح النساء فقرأها، ثم آل عمران فقرأها، يقرأ مترسِّلا، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ) [رواه مسلم].

٣. رحمة الله ﷻ وعظيم فضله على العباد بتخفيف الأحكام عليهم، فألغى عن الناس وجوب قيام الليل وألغى عنهم تحديده بما لا يقل عن ثلث الليل.

٤. يُسر الإسلام، ورفعه للمشقة؛ ولذا خفف حكم وجوب قيام الليل بما لا يقل عن الثلث، وراعى أحوال المرضى والمسافرين والمقاتلين، وقد قال تعالى: (**مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**) [الحج:٧٨]، وقال ﷺ: (إن هذا الدين يسر).

٥. المشقة تقدر بقدرها؛ ولذا لم يلغ قيام الليل، ولكنه خففه، وجعله راجعا إلى استطاعة الشخص وحسب ما تيسر له: (**فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**).

٦. ثبوت **نسخ** الأحكام، لحكمة يريدها الله ﷻ، ومن ذلك نسخ حكم قرآني بحكم قرآني، كما هنا، حيث نسخت هذه الآية الأخيرة من السورة حكم وجوب قيام الليل بما لا يقل عن ثلث الليل وذلك بعد عام من نزول أول السورة. وفي هذا أيضا دلالة على نزول القرآن **منجَّما** أي مفرقا: (**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ**) [الإسراء: ١٠٦].

٧. حفظ الصحة من مقاصد الإسلام؛ ولذا عذر الله ﷻ المريض عن قيام الليل، وفي الأثر الثابت: (وإن لنفسك عليك حقا، فأعطِ كل ذي حق حقه). فيجتنب ما يضر صحته أو يتلف حياته.

٨. فضل التكسب والسفر لذلك، حتى إن الله ﷻ عذر أهله عن قيام الليل، وقدمهم على أهل الجهاد، وقد حثَّ الله ﷻ على ذلك يوم الجمعة: (**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ**) [الجمعة:١٠]، وفي الحج: (**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ**) [البقرة:١٩٨].

٩. رد الفضل إلى الله ﷻ فيما يناله العبد من رزق ونعمة، لا كما قال قارون: (**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي**) [القصص:٧٨].

١٠. فضل الجهاد في سبيل الله ﷻ وأهميته؛ ولذا عذر الله ﷻ أهله عن قيام الليل. وحتى أن الله ﷻ ذكره هنا قبل أن يفرضه: (**عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)، وأي شيء يعدل الجهاد والقتال في سبيل الله ﷻ والإعداد له،إنه ذروة سنام الإسلام.

١١. تنويع الاختصاصات، لسد الاحتياجات وتحقيق التكامل اقتصاديا وعسكريا وطبيا، وكما قال ﷻ: (**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً**) [التوبة:١٢٢].

١٢. مراعاة الأولويات، وتقديم ما نفعه متعدٍ على ما نفعه قاصر، وما هو واجب على ما هو مستحب؛ ولذا قدم الاكتساب والجهاد على قيام الليل.

١٣. أداء الصلاة على أحسن وجه؛ ولذا كانت أوامر القرآن الكريم بإقامتها لا مجرد أدائها، وقد قال الله ﷻ: (**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**) [الماعون:٤-٥].

١٤. أهمية الزكاة، ولذا قرنها بالصلاة. ومن هنا قاتل أبو بكر الصديق ﷺ مانعي الزكاة وقال: (والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة).

١٥. الصلاة والزكاة مشروعتان من أول الإسلام، قبل الهجرة النبوية وقبل الإسراء والمعراج، وإن فُصِّلت أحكامهما بعد ذلك.

١٦. فضل نوافل العبادات؛ الصدقة والصلاة؛ ولذا حث الله ﷻ عليهما هنا: (**فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**) (**وَأَقْرِضُوا اللَّهَ**)، وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: (وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه).

١٧. الحرص على التأدب بآداب الصدقة من الإخلاص لله ﷻ وأن تكون من جيد المال لا من رديئه، وأن لا يتبعها بالمن والأذى، فذلك هو القرض الحسن لله ﷻ.

١٨. التنويع في الأعمال الصالحة ولو بالقليل، قيام ليل، صدقة، دعوة، بر، صلة...: (**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ**)، وقد كان ﷺ ينوع حتى في أذكاره واستفتاحه الصلاة، وكان صاحبه أبو بكر ﷺ يحرص على التنويع والتميز في كل نوع، حتى لما قال النبي ﷺ: (من كان من أهل الصلاة دُعي-أي للجنة- من باب الصلاة، ومن كل من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان)؛ فقال أبو بكر ﷺ: (يا رسول الله ما على الرجل من بأس أن يدعى من كل هذه الأبواب؟)، فقال ﷺ: (نعم، وأرجو أن تكون منهم) [متفق عليه]. وسأل ﷺ الصحابة ﷺ مرة: (أيكم أصبح اليوم صائما؟)، فقال أبو بكر ﷺ: أنا، ثم قال: (أيكم تبع جنازة؟) قال أبو بكر ﷺ: (أنا)، ثم قال: (أيكم تصدق اليوم على مسكين؟)، قال أبو بكر ﷺ: (أنا)، فقال ﷺ: (ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة) [رواه مسلم].

١٩. أهمية الترغيب في العمل الصالح وذكر فضائل العمل وثوابه، للتحفيز عليه. وهذا هو منهج القرآن والسنة: (**تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**)، وفي آيات أخرى ذكر الله ﷻ مضاعفة الحسنة إلى عشر، وقال ﷺ: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل) [متفق عليه].

٢٠. فضل الاستغفار وختام العمل الصالح به، وخاصة بعد الصلاة وفي السحر؛ ولذا ختم الله ﷻ به السورة التي بدأها بقيام الليل، قال تعالى: (**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**) [الذاريات:١٨]، وكان ﷺ يستغفر بعد السلام من الصلاة ثلاثا.

٢١. تقديم العمل الصالح قبل الدعاء والاستغفار كوسيلة للقبول؛ ولذا ﷻ قدَّم للاستغفار بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وبالصدقة. وهكذا كان الاستسقاء والاستخارة يقدم لهما بالصلاة.

صفحة الواجب ١-١-١

س١: اذكر ميزتين لسورة المزمل.

.....

س٢: ما معنى الكلمات التالية في سورة المزمل: (المزمل- رتل القرآن- سنلقي عليك قولا ثقيلا- ناشئة الليل- أشد وطئا- أقوم قيلا- سبحاً طويلا- تبتل إليه- فاتخذه وكيلا- هجراً جميلا- ذرني والمكذبين- أولي النعمة- أنكالا- طعاماً ذا غصة- كثيبا مهيلا- شاهداً عليكم- أخذاً وبيلا- تذكرة- يقدّر الليل والنهار- لن تحصوه- فتاب عليكم- يضربون في الأرض- أقرضوا الله)؟.

.....

س٣: اذكر الشاهد من سورة المزمل على ما يلي:

أ- فضل قيام الليل بعد نوم أول الليل. .....

ب- أن النهار للحركة والمعاش والليل للسكينة والصلاة.....

ج - (لا إله إلا الله) عقيدة وعمل وليست مجرد كلمة.....

د- بعث الناس يوم القيامة على حالهم من السن.....

هـ حفظ الصحة من مقاصد الإسلام.....

س٤: اذكر ما يدل على شدة معاناة النبي ﷺ من تلقي الوحي.

.....

س ٥: عدد أربعة أحداث من أحداث القيامة ذكرتها سورة المزمل.

.....

س٦: ما العلاقة بين أول سورة المزمل و آخرها؟.

.....

س٧: لماذا سمى الصدقة قرضا ؟، واذكر ثلاثة من آداب الصدقة.

.....

س٨: اذكر مثالين من طول قيام النبي ﷺ.

.....

س٩: وضح الناسخ والمنسوخ في سورة المزمل.

.....

صفحة الموجز ١-٢-١

سورة المدثر

أ. المقدمة:

تضمنت هذه السورة المباركة بعض التوجيهات الإلهية لرسولنا ﷺ، وما ذكره الله ﷻ من تهديد ووعيد شديد لزعيم من زعماء الشرك، ووصفت يوم القيامة وما فيه أهوال، وأوضحت السورة مسؤولية كل نفس بما كسبت وثقلها بأوزارها، وبشرت المؤمنين بالنجاة، ثم ختمت ببيان سبب أعراض المشركين عن العظة والتذكر والإيمان.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ يقرأ الطالب السورة بطريقة صحيحة، ليتم حفظها بعد ذلك.

١-٢ يعرف الطالب عوامل نجاح الداعية التي أمر الله بها نبيه محمدا ﷺ في بداية دعوته.

١-٣ يعرف الطالب قصة الوليد بن المغيرة في وصفه للقرآن الكريم بأنه سحر.

١-٤ يعرف الطالب بعض الأسباب الموجبة لدخول النار.

ج. المواضيع بإيجاز:

(أ) التعريف بالسورة: تاريخها ، وموضوعها، ومناسبتها، وميزاتها.

(ب) معاني الآيات.

(ج) فوائد من الآيات.

صفحة الموجز ١-٢-١

سورة المدثر

أ) تاريخها:

من أوائل سور القرآن الكريم، نزل أولها (١-٧) بعد نزول سورة العلق، فهي الثانية في ترتيب النزول بعد سورة العلق.

ب) موضوعها:

الأمر للرسول ﷺ بالدعوة، وما يعينه عليها، وتهديد خصومه.

ج) مناسبتها:

بعد أن دعت سورة المزمل النبي ﷺ إلى العمل وقيام الليل لإعداد نفسه للرسالة الثقيلة، جاءت سورة المدثر تأمره بالدعوة وتبليغ الرسالة. وفيها تأكيد أيضا لما ورد في سورة المزمل من الصبر والهجر الجميل وذكر هول القيامة والنار، وتهديد المكذب المعاند، وسائر المجرمين. فهما تذكرة لمن شاء أن يتذكر ويستقيم.

د) ميزاتها:

١. بيان ما يجب على الداعي إلى الله أن يتصف به من حيوية وتعظيم لله ﷻ ونظافة وإخلاص وتواضع وصبر وحكمة.

٢. بيان هول يوم القيامة وعذاب النار وأسباب دخولها.

٣. ذكر بعض مواقف كبار قريش من دعوة الرسول ﷺ؛ كالوليد بن المغيرة وأبي جهل.

٤. الترهيب هو الغالب في أسلوب السورة، وبخاصة أنها سورة مكية مبكرة واجهت شدة احتدام خصومة قريش للرسول ﷺ؛ ولذا كانت تعبيراتها تحمل عبارات الترهيب (فأنذر)، والتخويف بيوم القيامة العسير، وبعذاب سقر، والتهديد للوليد بن المغيرة، والتفصيل عند ذكر أصحاب النار، دون أصحاب الجنة.

صفحة الموجز ١-٢-١

الآيات: (١-١٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ﴾

أ) المعاني:

(**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**): أي الملْتَحف. والمراد به النبي ﷺ، لخوفه الشديد حين لقيه جبريل عليه السلام أول مرة بغار حراء، كما سبق في ندائه في السورة السابقة: (**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**).

(**قُمْ فَأَنذِرْ**): أي قم لتحذر الناس من عذاب الله جل جلاله إن لم يؤمنوا.

(**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**):أي خص الله جل جلاله بالتعظيم، وليكن هو أكبر شيء في قلبك، وبيِّن عظمته للناس.

(**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**): أي حافظ على نظافتها من النجاسات والأوساخ. فأمره بإصلاح ظاهره بعد أن أمره بإصلاح باطنه.

(**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**): أي اجتنب الأصنام والشرك والمعاصي، وكل ما يسبب الوقوع فيها من مجالس ونحوها. والهجر ابتعاد وكره. والرسول ﷺ قد عصمه الله عز وجل قبل الإسلام من الشرك ومن الفواحش ولكن الله سبحانه وتعالى يحثه هنا على التمسك بذلك كما حثه على طهارة الثياب وهو الطاهر المطهر ﷺ.

(**وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ**): أي لا تمنن بما أعطيت وفعلت من الخير، مستكثرا له في نظرك. فالاستكثار هو سبب المن، فلو استقل عمله لما امتن به.

(**وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**): أي لأجل الله ﷻ اصبر على القيام بدين الله ﷻ، واصبر على ما يصيبك من الأذى في تبليغه، وعلى جميع أقدار الله ﷻ المؤلمة.

(**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ**): أي تذكّر وليتذكّروا إذا نفخ في الصور، وهو القرن أو البوق الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام يوم القيامة لتعود الأرواح إلى أجسادها ويبعث الناس للحساب والجزاء.

(**فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ**): أي صعب شديد الأهوال والمشاق: (**إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**) [الحج:١].

(**عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ**): أي يكون ذلك اليوم ثقيلا شاقا عَلَى الْكَافِرِينَ خاصة دون المؤمنين. فإن الله ﷻ ييسره على المؤمنين رغم عسره الشديد وعظمته: (**وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ**) [النمل:٨٩].

ب) الفوائـد:

١. بعثة النبي ﷺ رحمة من الله ﷻ بعباده حيث أرسل إليهم هذا النبي ينذرهم من العذاب وينقذهم من الهلاك: (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**) [الأنبياء:١٠٧]. وقد شبه الرسول ﷺ حال الناس بمن أوقد نارا فأخذ الفراش يتقحم فيها ثم قال ﷺ: (وأنا آخذ بحجزكم عن النار) [رواه مسلم].

٢. الحركية والنشاط هو سلوك الداعية الناجح والقائد المؤثر: (**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ**)؛ ولذا كان رسول الله ﷺ يخطب الناس قائما، وكانت مشاعر الحرص والنصح تتدفق في كلامه وحركاته، يقول أنس رضي الله عنه: (كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبَّحكم ومسَّاكم) [رواه مسلم].

٣. الإنذار والتخويف أقوى وأكبر أساليب الدعوة إلى الله ﷻ؛ ولذا وجه الله ﷻ إليه نبيه ﷺ في أول خطوات الدعوة: (**قُمْ فَأَنذِرْ**)، ذلك أن غالب الإعراض عن دين الله ﷻ والتفريط في طاعته ناتج عن الشهوات المحرمة واللذات العاجلة، كما قال رسول الله ﷺ: (حُفَّت النار بالشهوات وحُفَّت الجنة بالمكاره) [متفق عليه]، فلا يقتلع النفوس من لذاتها ويردعها عن شهوتها إلا قوارع الإنذار ومصارع المنذَرين.

٤. صفة عظيمة وسر هام في نجاح الداعية والقائد، ألا وهو أن يكون الله ﷻ أكبر شيء في قلبه. فلا يكون أحد أخوف عنده من الله ﷻ،ولا يقدم على طاعته ولا على رضاه رضا أحد، ولا يشغله عن عبادته شاغل؛ ولذا كان النداء إلى الصلاة: (الله أكبر، الله أكبر): **(قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ)** [الأنعام:١٩]أي الله ﷻ أكبر شاهد مراقب عليك.

٥. تعظيم الله ﷻ في قلب المدعو، هو الأسلوب الصحيح للدعوة المؤثرة وتحقيق الاستقامة الدائمة؛ ولذا بدأ الله ﷻ بذلك مع نبيه من أول التنزيل: **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)**، وقال لقمان الحكيم عليه السلام لابنه وهو يَعِظه: **(يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)** [لقمان:١٣]، ثم قال: **(يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)** [لقمان:١٦].

٦. النظافة وحسن الملبس خُلُق المسلم، ومظهر الداعية الناجح، والقائد المثالي، ولولا أهمية ذلك ما نص الله ﷻ عليه في أول وصايا القرآن للنبي ﷺ، وهذا من اللياقة في التعامل مع الناس، وسبب لانجذابهم إلى الداعي واحترامهم له، وهو عند أداء العبادة من التعظيم لله ﷻ؛ ولذا قال الله ﷻ: **(يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ)** [الأعراف:٣١]، وأثنى الله ﷻ على الأنصار أهل مسجد قباء فقال تعالى: **(فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ)** [التوبة:١٠٨]، وفي الحديث: (إن الله جميل يحب الجمال) [رواه مسلم]. وكان ﷺ يلبس أحسن الحلل، ويتطيب بأفضل الطيب، وكان يستاك كثيرا، ويمتشط، ويتوضأ لكل صلاة غالبا. ولأنه ﷺ سيبقى في الحج عدة أيام مكشوف الشعر قام بتلبيد شعره وضمخه بأطيب الطيب المسك.

٧. الاهتمام بالظاهر والباطن جميعا، وبالوسيلة وبالمقصد معا؛ ولذا جمعت الآيات بين تعظيم الله ﷻ وبين تطهير الثياب. فإنما العيب هو فيمن يهتم بالمظهر وبالوسائل فقط، سواء في نفسه أو في تربيته أو معاملته. **فمثلا** في الصلاة ينبغي أن يجمع بين طمأنينة البدن وحسن الملبس إلى جانب خشوع القلب ومناجاته للرب ﷻ، وفي التربية يجمع بين الاهتمام بالولد طعاما وشرابا ولباسا وعلاجا مع الاهتمام به دينا وأدبا وشجاعة.

٨. المقاطعة للشرك والمعاصي والبعد عما يوقع فيها، وهذا هو الهجر المطلوب. أما من يترك شرب المسكر ولكن لا يزال يحضر مجلسه فهذا لم يهجر الخمر، ومثله من يترك الغناء ولكن لا يزال يحتفظ بأشرطته ووسائله، وكذا من ترك الفجور لكنه يحتفظ بالصور والأفلام الجنسية.

٩. ابتعاد الداعي عن مواطن الشر ومجالسه وصحبة أهله أمر مهم لسلامة عرضه، ولئلا يستفيد منها صاحب الشر إقرارا له وتشجيعا، ووقاية للداعي من تأثر قلبه بالمخالطة والمؤانسة؛ ولذا فإن الله ﷻ حين أمر نبيه بالإنذار والدعوة أوصاه بالهجر للرجز، وقد سبق في المزمل قوله: **(وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا)** [المزمل:١٠].

١٠. الحذر من المنة فإنها تفسد العمل والأجر. يقول الله ﷻ في وصف المؤمنين: **(ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى)** [البقرة:٢٦٢]، وقال ﷻ: **(وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)** [محمد:٣٣]، وقد ذم الله ﷻ أقواما فقال: **(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)** [الحجرات:١٧].

١١. استقلال المسلم والداعي لما يفعله من العبادة وما يبذله من الخير وما يقدمه لنصرة دين الله ﷻ؛ ولذا حذر الله ﷻ هنا من استكثار العمل وأنه سبب التمنن المذموم: **(وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ)**. ومن أحسن ما يتوسل به العبد إلى الله ﷻ إعلانه تقصيره في حق ربه، كما فعل أبونا آدم عليه السلام فغفر الله ﷻ له: **(رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا)** [الأعراف:٣٣].

١٢. أهمية الصبر للمسلم والداعي خاصة، فلا نجاح دنيا وآخرة إلا بصبر، فهو أوسع نعمة وأنفعها، قال ﷺ: (ما أعطي أحد عطاء خيرا و أوسع من الصبر) [متفق عليه]. وهذا يشمل الصبر على طاعة الله ﷻ، والصبر عن معصيته، والصبر على أقداره المؤلمة، والصبر على الدعوة إليه وإلى دينه؛ ولذا كان الصبر ختام الوصايا الأربع في سورة العصر. وممارسته تكسب صاحبه خلق الصبر، ويعينه الله ﷻ، كما في الحديث: (ومن يتصبَّر يُصبِّره الله) [البخاري].

١٣. أن يكون الصبر لأجل الله ﷻ: (**وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**) فهذا هو الذي يستمر وبه يؤجر المسلم، فيكون تركه شهواته المحرمة لأجل الله ﷻ وخوفا من عقابه لا مجرد مضرتها لصحته وسمعته. وفي الحديث القدسي يقول الله ﷻ عن الصائم: (يترك طعامه وشهوته من أجلي) [متفق عليه]، وقد **قيل**: من ترك شيئا لله ﷻ عوَّضه الله ﷻ خيرا منه.

١٤. إثبات الصُّور والنفخ فيه للبعث، نفخا مفزعا يقرع الأسماع والقلوب؛ ولذا قال ﷻ: (**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ**)، وقال تعالى: (**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ**) [النمل:٨٧]، وفي الحديث: (إن طرْف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان) [صححه الحاكم ووافقه الذهبي]، وقال ﷺ: (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ، قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟، قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا) [صححه الألباني بشواهده].

١٥. هول يوم القيامة، والحرص على الاستعداد الجيد له: (**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**) [الشعراء:٨٨-٨٩]، إن كل أهوال الدنيا تهون عنده، إنه اليوم العسير الذي أنذره الله العالمين على ألسنة جميع الرسل، يقول مؤمن آل فرعون ينصح قومه: (**وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ۞ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ**) [غافر:٣٢-٣٣].

١٦. تيسير الله ﷻ ليوم القيامة على المؤمنين رغم شدة أهواله. كما يكون الاختبار الدراسي الصعب على المستعد سهلا؛ ولذا خص الكافرين بالعسر بعد أن حكم على اليوم عامة بأنه عسير، فقال تعالى: (**عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ**) ليفهم السامع أنه على المؤمنين يسير، وقال ﷻ: (**فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**) [الليل:٥-٧]، وقال تعالى: (**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا**) [الانشقاق:٧-٩]، وقال ﷻ: (**يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ**) [الزخرف:٦٨]، وفي الحديث: (إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظلَّ إلا ظلي) [رواه مسلم]. وقد ورد أن الله ﷻ يخفف على المؤمن موقف القيامة الطويل البالغ خمسين ألف سنة، حتى يكون كأداء صلاة فريضة، نسأل الكريم الرحيم من فضله ورحمته.

صفحة الموجز ١-٢-١

الآيات: (١١. ٣٠)

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾

أ) المعاني:

(**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا**): أي اتركني وإياه أكفيك ردعه وعذابه، فأنا الذي أنشأته وأخرجته من بطن أمه وحيدا لا مال له ولا ولد ولا جاه، ثم أعطيته الأولاد والأموال. **قيل** المراد به: الوليد بن المغيرة المخزومي وكان من أكبر خصوم الرسول ﷺ وكانت له ولأولاده مكانة كبيرة في قريش وهو من أغنيائهم.

(**وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا**): أي واسعا كثيرا، فقد ذكروا له من الأنعام ومن البساتين في الطائف، الشيء الشاسع المثمر كل وقت.

(**وَبَنِينَ شُهُودًا**): أي أولادا ذكورا حاضرين حوله، وكان له عشرة من الأبناء، أسلم منهم ثلاثة؛ خالد وهشام والوليد. **وخص** البنين بالذكر؛ لأن الناس يفضلون الأبناء على البنات في النفع وفي كسب الجاه بهم وبخاصة عند عرب الجاهلية. وشهودهم حول أبيهم نعمة أخرى تفرح الأب وتكسبه عزة وفخرا ونفعا، ولا يناله حزن فراق وشفقة بعاد.

(**وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا**): أي سهلت له كافة أموره ويسرت له معيشته تيسيرا تاما؛ لذا أكد التمهيد.

(**ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ**): أي يؤمل أن يزيده الله ﷻ من النعم، رغم أنه معاند لله ﷻ مكذب لرسوله ﷺ، كما قال ﷻ: (**أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا**) [مريم:٧٧]. فاستخدم كلمة: (**ثُمَّ**) ولفظ: (**يَطْمَعُ**) إشارة لاستحالة أن يعطيه الله ﷻ ذلك.

(**كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا**): أي زجرا له لن نزيده فإنه كان معارضاً لكتاب الله ﷻ مكذبا له رغم اتضاح الحق عنده. **فالعنيد** أشد من المكذب إنه خصيم مبين.

(**سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا**): أي سأكلفه مشقَّة وعذابا متزايد: (**فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا**) [النبأ:٣٠].

(**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ**): أي فكر فيما يطعن به في القرآن الكريم، وحدد وقرر في نفسه ما سيقول في القرآن. ولأجل هذا الموقف وهذه الحادثة جاءت الآيات تسب هذا الكافر وتهدده. **وقصته**: أنه- الوليد بن المغيرة- مرَّ على النبي ﷺ وهو يصلي ويقرأ القرآن؛ فاستمع له فأعجبه، وأتى مجلس قومه فقال: (لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس والجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه)، ثم انصرف إلى منزله، فقالت قريش: لقد صبأ الوليد، ولتصبأن قريش كلها، فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه. فانطلق حتى جلس إلى الوليد مظهرا له الحزن، فقال له الوليد: ما لي أراك حزينا يا ابن أخي؟، فقال: كيف لا أحزن وهذه قريش تجمع لك مالا ليعينوك يزعمون أنك صبأت لتصيب من طعام محمد وماله، فغضب الوليد وقال: لقد علمت قريش أني أكثرها مالا وولدا، وقام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه، فقال: تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق؟، قالوا: لا، قال: تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه تكهن قط؟، قالوا: لا، قال: تزعمون أنه شاعر فهل سمعتموه قال شعرا قط؟، قالوا: لا، قال:تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه كذبا قط؟، قالوا لا، فقالوا للوليد: فما هو؟، ففكر في نفسه ثم قال: أما رأيتموه يفرِّق بين الرجل وأهله وولده، إن هو إلا سحر يُؤثر.

صفحة الموجز ١-٢-١

(**فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ**): أي لُعن وأهلك، عجبا كيف قرر وقدَّر ما قدَّر !، وهو زعمه أن القرآن سحر، ثم أكد هذا السب والتعجب بقوله: (**ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ**). وبعد هذا الفاصل عاد يكمل قصة ذلك الكافر فيما طعن به في القرآن العظيم!.

(**ثُمَّ نَظَرَ**): أي بعد أن فكر وقدر تأمل فيما قدره وقرره في نفسه ليصف به القرآن: (**فَانظُرْ مَاذَا تَرَى**) [الصافات:١٠٢]، أي: فكر وأعطني رأيك.

(**ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ**): أي بعد هذا التأمل قطب وجهه، وتغير وكلح: (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ**) [القيامة: ٢٤]، أي: قبيحة، عكس ناضرة.

(**ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ**): أي ولى ببدنه، مستكبرا في نفسه عن الاعتراف بأن القرآن كلام الله ﷻ. وهذا التفصيل القرآني لقصة ذلك الكافر هو لإظهار مدى حيرته أمام الحقيقة التي لا يستطيع أن يواجهها، وليبين الله ﷻ خطر الوصف الذي سيزعمه هذا الكافر في حق القرآن الكريم .

(**فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ**): أي فقال وهو مدبر: ليس هذا القرآن إلا سحر ينقله محمد عن الماضين.

(**إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ**): أي ليس هذا القرآن كلام الله ﷻ وإنما هو من تأليف البشر وسحرتهم. فهذا الوصف لا يتعارض مع الوصف بأنه سحر؛ لأن السحرة بشر، لينفي كونه كلام الله ﷻ.

(**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ**): أي سأحرق هذا الكافر المعاند في النار الحامية.

(**وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ**): أي ما أشدها فأنت لا تدري ولا تتصور شدة هولها.

(**لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ**): أي لا تبقي أحدا من الكفار إلا التهمته، ولا تترك من الكافر شيئا إلا أحرقته.

(**لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ**): أي محرقة لهم، بارزة لهم تدعوهم إليها: (**وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى**) [النازعات:٣٦]، (**نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ۝ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى**) [المعارج:١٦.١٧].

(**عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**): أي يقوم على خزانتها وعذاب أهلها تسعة عشر ملَكاً من الملائكة الأشداء.

ب) الفوائد:

١. الشقاء والعذاب مصير من آذى رسول الله ﷺ أو أهان كتاب الله ﷻ، كما حصل لذلك الكافر الذي اتهم رسول الله ﷺ بالسحر وأنه أخذ القرآن عمن قبله، وكفر بآيات الله ﷻ وتكبر وعاند: (**فَقُتِلَ**) (**ثُمَّ قُتِلَ**)، وقال تعالى: (**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**) [الكوثر:٣]، وقال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**) [الأحزاب:٥٧]، وكم حمل من الذم أبو لهب وامرأته لما آذوا رسول الله ﷺ: (**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**) [المسد:١]؛ ولما مزَّق كسرى كتاب رسول الله ﷺ مزَّق الله ﷻ ملكه.

٢. تذكر حال الماضي وفقره وحاجته يحمل على شكر النعمة للمنعم ﷻ؛ ولذا ذكَّر الله هذا الكافر بأنه خلقه كما خلق غيره وحيدا ثم أعطاه المال والبنون، يقول الله ﷻ للمؤمنين بعد انتصار بدر: (**وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) [الأنفال: ٢٦].

٣. حقارة الدنيا عند الله ﷻ؛ ولذا يمنحها للكافر بل ويغدقها عليه ويمهدها له تمهيدا كما فعل مع ذلك الكافر الظالم، ويقول ﷻ: (**قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً ۞ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَّرَدّاً**) [مريم:٧٥-٧٦]، وقد قال رسول الله ﷺ: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) [رواه مسلم].

٤. المال والبنون من نعم الله ﷻ العظيمة التي يبتلي بها الله ﷻ عبده هل يكفر ويتكبر بها ويفسد، أم يشكر فيستعمل المال في الطيبات ويصرفه في وجوه البر، ويربي الأبناء على طاعة الله ﷻ ويوجههم إلى فعل الخيرات وحسن الخلق وخدمة الدين: (**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**) [الكهف:٤٦]، ويقول ﷻ: (**وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**) [الأنفال:٢٨].

٥. استمرار النعم وزيادتها وتحقق السعادة منها مربوط بالشكر؛ ولهذا نفى الله ﷻ عن ذلك الكافر أن يزيده لأنه معاند لآيات الله تعالى: (**ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۞ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا**)، وقد قال ﷻ: (**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**) [إبراهيم:٧].

٦. إعجاز القرآن الكريم وعظمته؛ لهذا ضاق ذلك الكافر ذرعا لما أن أراد أن يطعن في القرآن الكريم وطال تفكيره وقطَّب وجهه همًّا وحيرة ماذا يقول؟!، ما هو الوصف الذي يمكن أن يقبله قوم هذا الكافر دون أن يظهر أمامهم بمظهر الكذاب، فانتهى إلى دعوى أنه سحر يجعل من يسمعه يتبع محمدا ويترك دين آبائه. ولسخافة هذه الدعوى عند كل إنسان يعرف السحر وأثره في عقل وبدن ونفسية المسحور، لم يواجه هذا الكافر قومه بل أدبر ورمى تلك الكلمة: (**ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۞ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۞ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ**)، وأين هذا الكلام العظيم الجميل من كلام سحرة البشر وأعوانهم من الجن؟، وقد قال الله ﷻ: (**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**) [الإسراء:٨٨].

٧. الكِبر شَر ويقود إلى الشر ويمنع من الحق والخير، وهذا هو الذي حرَم هذا المشرك من الإسلام: (**ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۞ فقال إن هذا إلا سحر يؤثر**)، وكذلك حرَم الكِبْرُ إبليس من سعادة الأبد ومنهج الهداية وأنزله من الرتبة العلية في ملائكة السماء. وقد ذم الله ﷻ ورسوله ﷺ، قال ﷻ: (**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا**) [الإسراء:٣٧]، وقال تعالى: (**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ**) [البقرة:٢٠٦]، وقال ﷺ: (الكبر بطر الحق وغمط الناس).

٨. التواضع والرجوع إلى الحق إذا استبان للإنسان خلق كريم وإنصاف وحكمة. وهو خلق المصطفى سيد الأولين والآخرين ﷺ فكان متوددا مخالطا للناس، ولم يكن متعاظما في شيء من أموره، ويقول ﷺ: (لو أُهدي إلى ذراع أو كراع لقبلت)، وكان في بيته في خدمة أهله، وزار الغلام اليهودي الذي كان يخدمه لما مرض. وكان يشاور أصحابه ﷺ ويترك رأيه لرأيهم.

٩. السحر والسحرة مذمومون حتى في عرف الكفار؛ ولهذا حين أرادوا سب الرسول ﷺ والطعن في القرآن قالوا: (**إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ**).

صفحة الموجز ١-٢-١

وهذا أمر يثبته الواقع حيث ينسلخ الساحر من الأخلاق والمروءة والصدق، وقد يقدم عرضه وأهله وأقاربه وكل ما تطلبه الشياطين ليخدموه ويعيش في أسوء حال ويرتاد أقذر الأماكن ويلبس أوسخ اللباس حتى تحضر له الشياطين. وما هو إلا استمتاع يشبه استمتاع أصحاب المخدرات، ثم بعده النكد والخوف والكره للناس والنفرة منهم: (**وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى**) [طه:١٢٧].

١٠. هول النار وتعدد أسمائها وأوصافها ودركاتها – أعاذنا الله منها – ولهذا قال ﷻ: (**وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ۝ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ**)، وسيأتي قسم الرب ﷻ عليها إنها إحدى العظائم الكبرى: (**إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ**).

١١. خزنة النار المكلفون بعذاب أهلها، وعددهم تسعة عشر ملكا، وقد ذكرت آيات أخرى اسم كبيرهم في خطاب أهل النار له: (**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ**) [الزخرف:٧٧].

الآيات: (٣١-٣٧)

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ۝٣١ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ۝٣٤ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧﴾

صفحة الموجز ١-٢-١

أ) المعاني:

(**وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً**): أي إنما خزنة النار هم من الملائكة المعروفين بالقوّة. وهذا رد على من احتقر عددهم من الكفار.

وسبب نزول الآية: ما روي أن أبا جهل قال لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم الشجعان، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم؟!، فقال أبو الأشد الجمحي . وكان شديدا .: أنا أكفيكم سبعة عشر، فاكفوني أنتم اثنين منهم. فأنزل الله ﷻ هذه الآية.

(**وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا**): أي ما جعل الله ﷻ عدد الخزنة تسعة عشر إلا ابتلاءا للكفار، فإنهم لا شك سيسخرون من عددهم لجهلهم بالله ﷻ الذي خلق هؤلاء الملائكة وهيأهم لذلك العمل.

(**لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**): أي ليتأكد اليهود والنصارى من صدق القرآن، لموافقة كتبهم له فيما قرره من أن عدد خزنة النار تسعة عشر . **والمراد** بالكتاب الذي آتاهم الله ﷻ: التوراة والإنجيل وأسفار الأنبياء من بني إسرائيل. وفي **تسميتهم** بأهل الكتاب تألُّف لقلوبهم إلى الإسلام. والسورة وإن كانت مكية إلا أن الاتصال قائم بين أهل مكة وبين اليهود في المدينة والنصارى في الشام.

(**وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا**): أي يزدادوا تصديقا وطمأنينة بموافقة ما في كتب اليهود والنصارى لما في القرآن الكريم. **ووصف** الله ﷻ أهل الكتاب باليقين وخص المسلمين بزيادة الإيمان؛ لأن الإيمان يشتمل على الطاعة والاستقامة، فهو أنفع وأشرف وأقرب لمعنى الأمان والطمأنينة، بخلاف اليقين فقد يحصل مع المخالفة: (**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**) [النمل:١٤].

(**وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ**): أي ولئلا يتطرق إليهم شك بعد ذلك، وقدم أهل الكتاب وأخر المؤمنين عند ذكر الشك تكريما لأهل الإيمان.

صفحة الموجز ١-٢-١

(**وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**): أي نفاق وشك، وقدَّم الذين في قلوبهم مرض على الكفار؛ لأنهم أكثر طعنا في الدين وتشكيكا وسخرية: (**هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ**) [المنافقون:٤]، وإنما ظهر النفاق في المدينة، فلعل ذلك إخبار بما سيقع في المستقبل.

(**مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا**): أي ماذا يريد الله ﷻ بهذا العدد العجيب قصدا. وهذا استفهام إنكار واعتراض واحتقار منهم لعدد الملائكة.

(**كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء**): أي أضل الله ﷻ من شاء كما حدث لهؤلاء الكفار والمنافقين الساخرين من عدد خزنة النار، وهدى الله ﷻ من شاء، كما حدث للمؤمنين الذين زادهم هذا الخبر إيمانا وخشية لله ﷻ.

(**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**): أي لا يعلم عدد وقوة جنود الله ﷻ من الملائكة وغيرهم إلا الله ﷻ الذي خلقهم، **واختار** لفظ: (**رَبَّكَ**) ليناسب القدرة.

(**وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**): أي وما هذه الآيات والأوصاف للنار إلا موعظة للناس.

(**كَلَّا وَالْقَمَرِ ۞ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۞ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ**): أي زجرا لهؤلاء الكفار والمنافقين المستهزئين بعذاب النار وخزنتها، أقسم بالقمر الذي يبدد الظلام، وبالليل يدبر ليطلع بعده الصباح. **استخدم** الظرفية القريبة: (**إِذْ**) لأنها في حال إدبار الليل، وأما الصبح فلم يسفر وسيسفر فاستخدم له الظرفية البعيدة: (**إِذَا**).

(**إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ۞ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ**): أي إن النار إحدى العظائم والمهالك الكبيرة، وصفناها بذلك تحذيرا للناس من أسباب دخولها.

(**لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ**): أي لمن أراد أن يتقدم ويتشرف بالإيمان وطاعة الرحمن، ومن شاء أن يتخلف ويذل بالكفر والمعاصي، فالأمر واضح لا عذر له: (**فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ**) [الكهف:٢٩].

ب) الفوائـد:

١. الملائكة كلهم خلق قوي؛ ولذا اكتفى في الرد على المستنكرين لعدد خزنة النار بقوله: (**وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً**).

٢. جهل الكافرين والمنافقين بعظمة الله ﷻ؛ ولذا استهانوا بخزنة النار، ونسوا أنهم جنود رب العالمين.

٣. الابتلاء منهج رباني دائم، وهذا مثال له في قلة عدد خزنة النار: (**وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا**)، ومن ذلك ما جعله الله ﷻ لآدم في الجنة من الشجرة الممنوعة، وما غرسه في الإنسان من شهوات، ومن نوازع الخير والشر: (**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**) [البلد:١٠]، وكذلك جعل في الأرض الطيبات والخبائث، من المطاعم والمشارب وغيرها: (**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**) [الأنفال:٣٧]، (**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**) [العنكبوت:٢].

٤. عدد خزنة النار التسعة عشر مذكور في كتب اليهود والنصارى؛ ولذا جعل الله ﷻ ما ذكر في هذه السورة مما يزيدهم تصديقا: (**لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**).

٥. في كتب اليهود والنصارى حقائق لم تحرَّف، ومنها عدد خزنة النار.

٦. الإيمان بكتب اليهود والنصارى في الجملة، كما اعترفت الآية هنا بكتبهم وسمتهم: (**الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**)، وأما التحريف فلا يخرجها عن هذا الأصل؛ لأنها في ذلك الزمن زمن النبي ﷺ كانت محرفة كثيرا.

٧. جواز الاستشهاد بكتب اليهود والنصارى وأقوالهم للتأييد وللرد، بشرط أن لا يخالف ذلك ما عندنا – إذ لا يمكن أن نكذب كلام الله ﷻ ورسوله ﷺ ونصدقهم- ولهذا جعل الله ﷻ خبر عدد خزنة النار المذكور في كتب اليهود والنصارى سببا لزيادة إيمان المؤمنين لتأييده ما جاء في القرآن الكريم.

٨. الإيمان يزيد وينقص؛ ولذا أثبت الله ﷻ زيادته بموافقة ما في كتب أهل الكتاب لما في كتب المسلمين. وهذا أمر طبيعي، فكلما ازداد المخبرون ازداد اليقين بصدق الخبر، وكلما ازداد المعارضون للخبر قلت الثقة به.

٩. من أسباب زيادة الإيمان العلم. وهذا ما حصل للمؤمنين لما علموا أن عدد خزنة النار موجود عند أهل الكتاب أيضا، وقد أثبت الله ﷻ الخشية لصاحب العلم: (**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**) [فاطر:٢٨].

١٠. القلوب تمرض، وقد يكون مرضها قاتلا، كما هو حال المنافقين: (**الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**) [الأنفال:٤٩]، أما القلوب الحية الصحيحة فهي قلوب أهل الإيمان: (**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**) [الأنعام:١٢٢].

١١. الهداية والضلال بيد الله ﷻ، يُضل من يشاء ويهدي من يشاء؛ ولذا ندعو دائما: (**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**).

١٢. جنود الله ﷻ ليسوا محصورين في الملائكة، بل لا يعلم بهم إلا الله ﷻ الذي خلقهم: (**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**) [الفتح:٧]، فمنها الفيروسات والغازات والإشعاعات (طبقة الأوزون) والكريات (جهاز المناعة)، فمن حفظ الله ﷻ حفظه الله ﷻ، ومن ضيَّع الله ﷻ وارتكب ما حرم لم يحفظه، وسلَّط عليه جنوده حتى من داخل جسمه.

١٣. عظمة النار وشدة هولها: (**إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ**).

١٤. إثبات مشيئة الإنسان واختياره، فهو مسؤول عن أفعاله وتصرفاته: (**لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ**).

١٥. الدِّين والاستقامة تقدم وشرف وعز، والكفر والمعاصي تخلف وذل وشقاء؛ ولذا عبَّر الله ﷻ عن الإيمان بالتقدم، وعبَّر عن الكفر بالتأخر. ولا شك أن الإنسان كلما كان أكثر تحضرا كان أكثر انضباطا وتمييزا بين الضار والنافع، وأكثر احتراما للحقوق، وكلما نزل الإنسان عن مستوى الحضارة وتخلى عن ضوابط العقل كان أكثر عشوائية وانتهاكا للحقوق. **وتأمل** في الإنسان حين يسكر أو حينما يقع في المخدرات، يصبح أخطر من الوحش وأحط من البهيمة- فالبهيمة تنزجر وهو لا ينزجر: (**لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ**) [المدثر:٣٧].

صفحة الموجز ١-٢-١

الآيات: (٣٨-٥٦)

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

أ) المعاني:

(**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**): أي مقترنة بعملها؛ إما نجاها إن كان خيرا، وإما أهلكها إن كان شرا، كالرهن يرهن به الدين ليحفظ الحق، فإن أُدِّى الدَّين وإلا اقتص من الشيء المرهون. أو بمعنى محبوسة في العذاب بسبب ما كسبت من السيئات. ثم **استثنى** الله ﷻ النفوس المؤمنة، كما في قوله تعالى: (**وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا**) [العصر: ٣.١].

(**إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ**): أي المؤمنين المكرمين، فقد أعتقهم الله ﷻ من العذاب بسبب إيمانهم. **وأسماهم** الله ﷻ بذلك؛ تكريما لهم، ولأنهم يأخذون كتابهم بأيمانهم.

(**فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ**): أي في منازل وبساتين عظيمة، يتحدثون بينهم، فيتساءلون عن حال الكفار الآثمين عامة أو من يعرفونه منهم. وحينئذٍ يطلعهم الله ﷻ على هؤلاء المجرمين فيخاطبونهم.

صفحة الموجز ١-٢-١

(**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ**): أي ما السبب والفعل الذي أدخلكم في النار.

(**قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ**): أي لم نكن معروفين بالصلاة أبدا. **وعبَّر** بهذا الأسلوب؛ لأن الصلاة عمل ظاهر متكرر خمس مرات كل يوم فلا يخفى أهلها، وبخاصة الرجال حيث تجب الصلاة عليهم جماعة في المساجد.

(**وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ**): أي لم نكن نطعم الفقراء ونحسن للمحتاجين. **وعبَّر** بالطعام؛ لأنه أشد الحاجات لاستبقاء الحياة.

(**وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ**): أي نتخبط في الباطل ومختلف المعاصي مشاركين أهل الغواية في ضلالتهم. **وعبَّر** بالخوض؛ ليناسب تخبطهم وتقلبهم في أنواع المعاصي وأعراض الناس وأكل المال الحرام دون مبالاة ولا وعي. **وأضاف** كلمة: (**مَعَ الْخَائِضِينَ**) إشارة إلى الصحبة السيئة والتقليد الأعمى.

(**وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ**): أي لم نكن مصدقين بأن هناك يوما نحاسب فيه ونجازى ولذا فعلنا ما فعلناه. **فأخَّر** ذكر التكذيب بالآخرة مع أهميته؛ لأنه كالسبب لما قبله من ترك الصلاة والبخل والخوض بالباطل: (**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۞ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**) [الماعون:١-٣].

(**حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ**): أي حتى جاءنا الموت الذي لا شك في مجيئه لكل إنسان: - (**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**) - وحتى جاءنا الوعد الحق يوم القيامة الذي كنا نكذب به.

(**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**): أي لا يقبل الله ﷻ شفاعة أحد فيهم لو شفع، ولو كان من الشافعين عند الله ﷻ من الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين. وهذا افتراض، وإلا فالشفعاء لا يشفعون عند الله ﷻ إلا لمن ارتضى الله ﷻ عمله. **وفيه** رد على ظن الكفار وزعمهم أن آلهتهم من الأصنام التي يعبدونها تقربهم إلى الله ﷻ زلفى وتشفع لهم عنده ﷻ!!.

(**فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ**): أي فبعد هذا البيان والتخويف ما لهؤلاء الكفار عن القرآن والموعظة منصرفين لا يسمعونها ولا يعملون بها.

صفحة الموجز ١-٢-١

(**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۞ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ**): أي كأنهم في هروبهم من الموعظة حمير مذعورة هربت من الأسد أو من الصياد، فشبههم بالحمير تحقيرا لهم كما شبه اليهود: (**كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**) [الجمعة:٥]، وشبه الرسول ﷺ بالأسد إعزازا لمقامه كما لقب بذلك الرسول ﷺ عمه حمزة رضي الله عنه: (أسد الله وأسد رسوله).

(**بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً**): أي لا يكفيهم القرآن المنزل على محمد ﷺ لتبليغهم، بل كل إنسان منهم يريد أن ينزل عليه كتابا مكتوبا مفتوحا يقرؤه. وهذا **يدل** على عنادهم وتعنتهم؛ ولذا وصف المنزَّل بأن يكون مكتوبا، فلا يكفي أن يكون وحيا شفويا كالقرآن، بل وأن يفتح لهم ليقرؤوه.

(**كَلَّا بَل لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ**): أي زجرا لهم على إعراضهم وعنادهم وتكذيبهم الرسول ﷺ، فالحق واضح، لكنهم لا يتوقعون العذاب الذي سيحل بهم في الآخرة فلا يخافونها، ولا يستعدون لها بالإيمان والعمل الصالح.

(**كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَن شَاء ذَكَرَهُ**): أي زجرا لهم مرة أخرى على تكذيبهم بالقرآن والآخرة، إن هذا القرآن موعظة كافية لمن أراد الحق،بليغة التأثير، فمن أراد الاتعاظ قرأ القرآن وتدبره.

(**وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ**): أي وما يتعظون أبدا إلا بعد أن يشاء الله ﷻ لهم الاتعاظ والهداية: (**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ۞ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ**) [الإنسان:٢٩.٣٠].

(**هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ**): أي الله ﷻ هو أهل لأن يُتَّقَى وتجتنب محارمه لشدة عذابه، وأهل لأن يغفر ذنوب التائبين مهما كبرت لسعة رحمته، وهو ﷻ واهب التقوى فما يتذكر عبد ولا يستقيم إلا بإذنه ومشيئته، وهو صاحب المغفرة الواسعة لا يغفر الذنوب ولا يمحو آثارها إلا هو.

ب) الفوائد:

١. عمل الإنسان هو مدار فوزه وهلاكه في الآخرة، إما أنجاه إن كان صالحا، وإما أرداه إن كان فاسدا، وقد قال ﷺ: (من بطَّأ به عمله، لم يسرع به نسبه) [رواه مسلم]، أي من بطَّأ به عمله عن الوصول إلى

لجنة، لم ينفعه شيء مهما كان نسبه وقرابته إلى أحد من الصالحين، وقال ﷺ: (كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها) [رواه مسلم]، فالذي أعتق نفسه من الهلاك هو الذي باعها لله ﷻ وجعلها تحت تصرفه تأتمر بأمره وتشتغل بعبادته وكل أعمالها في مرضاته. والذي أوبق نفسه وأهلكها هو الذي ترك طاعة الله ﷻ وأتبع نفسه هواها فاستعبده الشيطان في المعاصي.

٢. تقديم اليمين في مواضع التكريم؛ كالأكل والشرب والأخذ والعطاء والتسليم ودخول المنزل والمسجد. ولذا سمى الله ﷻ المؤمنين بأصحاب اليمين تكريما لهم، عكس ما سمى به أهل النار. والتيامن كان هو خلق المصطفى ﷺ في طعامه ووضوئه وغسله وتيممه ولبسه ثوبه وفي استياكه وحلاقته، تقول أم المؤمنين عائشة ﵂: (كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن في شأنه كله: في طهوره، وترجله، وتنعله) [متفق عليه].

٣. التزاور والاجتماع بين أهل الجنة . وإن اختلفت منازلهم في الجنة؛ ولذا ذكر الله ﷻ في الآيات حديثهم فيما بينهم . يتساءلون عن حال المجرمين، وقد قال الله ﷻ: **(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ)** [الحجر:٤٧]، وقال تعالى: **(يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ)** [الطور:٢٣]، أي يتعاطونها، وقال تعال: **(وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۞ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ)** [الطور:٢٥-٢٧]، وقال ﷻ: **(فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ ۞ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ)** [الصافات:٥٠-٥١]، ولهم أحوال أخرى يجتمعون فيها ويتحدثون، فقد [روى مسلم] عن أنس ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة).

٤. التخاطب والمعاينة بين أهل الجنة وأهل النار، كما هو واضح من خطاب أهل الجنة لأهل النار: **(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ)**، وهذا من عجيب صنع الله ﷻ حيث يكشف الله ﷻ بعضهم لبعض ويسمع بعضهم بعضا، وقد قال الله ﷻ لبعض أهل الجنة في صاحب له من أهل النار: **(قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۞ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيمِ ۞ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ)** [الصافات:٥٤-٥٦].

٥. خطر إضاعة الصلاة، وأن ذلك سبب لدخول النار . والعياذ بالله .؛ ولذا كان أول سبب ذكره أهل النار حين سألهم أهل الجنة: **(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ)**، قالوا: **(لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ)**.

وقد قال ﷻ: (**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً**) [مريم:٥٩]. وقال ﷺ: (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) [رواه مسلم]، وقال ﷺ: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر) [صحيح رواه الترمذي].

٦. اعتبار شهادة الناس للشخص بأنه يُصلي، فإذا لم يشهدوا لم يُصدَّق أنه يصلي؛ ولذا **عبرت** الآيات عن تركهم الصلاة بعدم عدادهم من المصلين، ذلك أن الصلاة عمل ظاهر متكرر، صاحبه لا يخفى، وبخاصة الرجل فإنه يجب عليه صلاتها في الجماعة في المساجد. يقول ابن مسعود ﷺ: (من سرَّه أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يُؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف) [رواه مسلم].

٧. أهمية الإحسان للمساكين وإطعامهم، فذلك من أعظم أسباب النجاة من النار، كما دل عليه كلام أهل النار في الآيات. وما أكثر الآيات في فضل إطعام المحتاجين والتحذير من حرمانهم، والواقع يثبت سبب هذا الإهتمام أمثال أولئك المسلمين الذين يموتون جوعا في إفريقيا أو يقتاتون على النفايات في مناطق كثيرة من العالم!!، وقد قال ﷺ أول ما دخل المدينة مهاجرا: (أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام) [رواه الترمذي بسند صحيح]، وقال ﷺ: (اتقوا النار ولو بشق تمرة).

٨. التقليد الأعمى والفوضوية سمة أهل المعاصي؛ ولذا عبر أهل النار عن حالهم في الدنيا بكلمة: (**وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ**)، وهذه نتيجة البعد عن الله ﷻ وعن شرعه القويم وعن مبادئ الدين الثابتة وعن منطق العقل السليم. فلو سألت أحدهم: لم تفعل كذا-(تدخين، تفحيط...) لم يذكر لك فائدة مقنعة، وحاول الخروج من الموضوع بحجة أن الكثيرين يفعلون ذلك!.

٩. الحذر من الصحبة السيئة؛ ولذا بين أهل النار مشكلتهم في التورط في المعاصي أنها المصاحبة لآخرين مثلهم في ذلك، فقالوا: (**وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ**)، ولا شك أن الصاحب ساحب؛ ولذا قال رسول الله ﷺ: (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) [رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح]، وقال ﷺ: (إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع

منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا منتنة) [متفق عليه]. وهل حرَم أبا طالب من الإسلام والجنة في آخر فرصة من عمره إلا صاحبه الأحمق أبو جهل.

١٠. الغفلة عن الآخرة وأهوالها وما فيها من حساب وجزاء هو السر وراء تضييع الكثيرين للصلاة، وحرمان الفقراء، والخوض في الأقوال والأفعال السيئة؛ ولذا ذكره أهل النار السبب الرابع لدخولهم النار مع أنه أشد من الأسباب التي قبله، لأنه الموقع فيها كالخمر توقع فيما سواها، فمن لم يخف الآخرة ولم يرج لقاء الله ﷻ فلماذا يتعب نفسه في عبادة أو يحرم نفسه من شهوة، ولهذا قررت الآيات مرة أخرى العلاقة بين الإيمان بالرسول ﷺ واتباعه وبين الخوف من الآخرة في قوله ﷻ: **(كَلَّا بَل لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ)**.

١١. إثبات الشفاعة يوم القيامة، وأنها لا تنفع إلا بشرط رضا الله ﷻ عن المشفوع له؛ ولذا أخبر الله ﷻ عن أولئك المضيعين للصلاة المكذبين بالآخرة أنها لا تنفعهم شفاعة الشافعين، قال تعالى: **(وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى)** [النجم:٢٦]، وقال ﷻ: **(وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى)** [الأنبياء:٢٨].

١٢. كراهية أهل الشر لمجالس الذكر، فمن أثقل شيء عليهم سماع القرآن والمواعظ، تنفر منه قلوبهم وترتاع كالحمير الوحشية المذعورة من الأسد أو من الصياد، قال ﷻ: **(وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)** [الزمر:٤٣].

١٣. من الحكمة في الدعوة كسب قلب المدعو أولاً، وعدم مواجهته مباشرة بما قد ينفره من الحق، وهذا مثل الصياد أو الأسد مع الصيد؛ فإنه يكمن للصيد ويتخذ له الطُّعم ولا يواجهه مباشرة حتى لا ينفر منه ويهرب. وبذلك شبَّه الله ﷻ نبيه محمدا ﷺ في دعوته للكفار.

١٤. الكبر والعناد هو المانع الحقيقي للكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام بوضوح؛ ولذا ذكَر الله ﷻ تكذيبهم للرسول ﷺ فلم يذكر لهم سببا مقنعا، وإنما أبت نفوسهم التبعية له، فطلبوا أن يُنزل الله ﷻ على كل واحد منهم كتابا خاصا له، وهذا غاية في التعنت، حيث يصبح كل واحد منهم نبيا.

واقرأ تعنتهم – بل تخبطهم – في قوله ﷻ: **(وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا ۞ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا ۞ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً)** [الإسراء:٩٠-٩٣].

١٥. الدعوة بالقرآن الكريم وتوزيع ترجمة معانيه، فهو أعظم موعظة وأبلغ حجة: **(إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ)**، وقال ﷻ: **(فبأي حديث بعده يؤمنون)**، وقال ﷻ: **(وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى)** [الرعد:٣١]، أي لكان هو هذا القرآن الكريم.

١٦. التوكل على الله ﷻ –وبخاصة في أمر الهداية فإنها– توفيق من الله ﷻ، لا تتحرك مشيئة العبد وهمته وخطرات قلبه إلا بإذن الله ﷻ ومشيئته: **(وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ)**، ويقول الله تعالى: **(وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)** [الأنفال:٢٤]، ويقول ﷻ لأفضل خلقه ﷺ: **(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء)** [القصص:٥٦]، **وتأمل** كيف هدى الله ﷻ زوجة فرعون وأضل زوجة نوح عليه السلام ولوط عليه السلام؛ ولذا كانت أول دعوة وأعظمها دعوة الفاتحة: **(اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ)**.

١٧. التوسط والجمع بين الخوف من عذاب الله ﷻ، والرجاء في مغفرته، فهو ﷻ: **(أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ)**، فيتقي العبد الذنوب خوفا من الله ﷻ، ولكن إذا وقع في الذنب لم ييأس ويستمر في ضلاله وبعده عن الله ﷻ، بل يتوب ويرجع أملا في عفو الله ﷻ: **(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)** [الزمر:٥٣].

صفحة الواجب ١-٢-١

س١: ما ترتيب سورة المدثر في النزول ؟، و اذكر ميزتين لها.

.....

س٢: ما معنى الكلمات التالية في سورة المدثر: (المدثر- الرجز- لاتمنن تستكثر- نقر- الناقور- ذرني ومن خلقت وحيدا- مالا ممدودا- وبنين شهودا- مهدت له- سأرهقه صعودا- فكر وقدر- كيف قدر- ثم نظر- عبس- بسر- سحر يؤثر- لواحة للبشر- عدتهم- فتنة للذين كفروا- الذين أوتوا الكتاب- يرتاب- مرض- ماذا أراد الله بهذا مثلا- ذكرى للبشر- لإحدى الكبر- أن يتقدم أو يتأخر- بما كسبت رهينة- ماسلككم- نخوض مع الخائضين- حتى أتانا اليقين- حمُر- قسورة- هو أهل التقوى وأهل المغفرة)؟.

.....

س٣: اذكر الشاهد من سورة المدثر على ما يلي:

أ- الحركية والنشاط سلوك القائد والداعية الناجح: .....

ب- عظمة الله ﷻ في قلب الداعي أكبر أسباب نجاحه: .....

ج- اهتمام الإسلام بالنظافة وحسن المظهر: .....

د - حضور المعصية- وإن لم يفعلها- معصية: .....

هـ-استكثار العمل الصالح من المنة المذمومة: .....

و- خزنة النار عددهم تسعة عشر ملكا: .....

ز- طاعة الله ﷻ تقدم ، ومعصيته تخلف: .....

ح- أهل الجنة يتزاورون ويتخاطبون: .....

ط- أهل الجنة يرون أهل النار ويخاطبونهم: .....

ي- تضييع الصلاة سبب لدخول النار: .....

س٤: كيف دلت السورة على أن عدد خزنة النار موجود في كتب اليهود والنصارى؟

.....

س٥: (**ذرني ومن خلقت وحيدا**) من هو المراد هنا؟، وما قصته؟.

.....

س٦: (**وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة**) ما سبب نزول هذه الآية؟.

.....

صفحة الموجز ١-٣-١

سورة القيامة

أ. المقدمة:

ركّزت سورة القيامة على إثبات البعث والجزاء، فافتتحت بالقسم بيوم القيامة، ثم ذكرت بعض علامات ذلك اليوم، وحتمية وقوعه، ثم طمأن الله ﷻ نبيه بحفظ هذا الكتاب الكريم، ثم ذكر انقسام الناس في الآخرة لقسمين أهل السعادة وأهل الشقاوة، ثم ذكر لحظات الاحتضار وشدة كرب الموت، ثم ختم السورة بإيراد الدليل الحي الواقعي على إثبات الحشر والمعاد.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ يقرأ الطالب السورة بطريقة صحيحة، ليتم حفظها بعد ذلك.

١-٢ يعرف الطالب دليل ثبوت البعث، وبعض أهوال يوم القيامة .

١-٣ يعرف الطالب حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن الكريم وتعهد الله له بذلك.

ج. المواضيع بإيجاز:

(أ) تعريف بالسورة: موضوعها، ومناسبتها، وميزاتها.

(ب) معاني الآيات.

(ج) فوائد من الآيات.

سورة القيامة

ب) موضوعها:

إثبات يوم القيامة وبيان هوله.

ج) مناسبتها:

ذكرت سورة المدثر عُسر يوم القيامة، فجاءت سورة القيامة تؤكد ذلك وتفصله. وذكرت سورة المدثر تكذيب الكفار بيوم الدين وعدم خوفهم منه، فجاءت سورة القيامة ترد عليهم بالحجة المقنعة، وتذكرهم بأحداثه المخيفة المفزعة حتى يقول الإنسان يومئذٍ: أين المفر. ويَظهر ذلك الخوف والحزن في وجهه: (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ**). وفي سورة المدثر بيان أسباب دخول النار من التكذيب وتضييع الصلاة، وكذا جاء في سورة القيامة.

د) ميزاتها:

١. كلها حديث عن الآخرة، عدا التفاتة قصيرة وسطها خاطبت الرسول ﷺ أن لا يتعجَّل قراءة القرآن أثناء الوحي.

٢. تضمنت عددا من أحداث القيامة، مع التركيز على وصف حال الإنسان في ذلك اليوم.

٣. صرامة أسلوب السورة ليناسب الرد على المكذِّب الساخر الذي: (**يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ**)!، فترى فيها القسم مرتين، والاستفهام الاستنكاري مرتين، والاستفهام التقريري مرتين، والنفي تسع مرات، والزجر بـ (كلا) ثلاث مرات، والإضراب بـ (بل) ثلاث مرات، أما صرامة السورة في التعامل مع المكذب فتراها تلقي القبض عليه لتفضحه غير مبالية بمعاذيره.

صفحة الموجز ١-٣-١

الآيات: (١-١٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ۝١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ ﴾

أ) المعاني:

(**لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**): أي أقسم بيوم البعث. **سماه** بذلك؛ لأن العباد يقومون من قبورهم، ويقفون للحساب بين يدي رب العالمين: (**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**) [المطففين:٦]. و(**لَا**) نفي لتأكيد القسم، أي لا أحتاج أن أقسم بيوم القيامة فالأمر ثابت. أو لنفي كلام مقدر يقتضيه المقام،والتقدير: لا صحة لما تعتقدون من أن الله ﷻ لن يقدر على بعثكم، **وقيل**: هي استفتاحية للاهتمام بالأمر. والعجيب أن الله ﷻ أقسم على يوم القيامة بيوم القيامة الذي ينكرونه أصلا، وهذا غاية في الرد عليهم بأن ما أنكروه معلوم لا يخفى ولا يُعقل إنكاره، حتى إنه ليقسم لهم به: (**إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**).

(**وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**): أي شديدة اللوم والعتب لصاحبها على ما فاته من خير، أو ما وقع فيه من شر مما يمكنه تلافيه. فمن طبيعة الإنسان أن يندم على ما فاته من الخير مما يمكنه تحصيله، وما وقع فيه من شر مما يمكنه اتقاءه. وهذا يحصل لكل أحد في الدنيا، وفي الآخرة أشد.

واختار الله ﷻ هذا القسم في الرد على المكذبين بالبعث تنبيها وتحذيرا لهم من موقف يندمون فيه ويلومون أنفسهم أشد اللوم حين يتحقق البعث الذي كانوا يكذبون به. **وجواب** هذا القسم مفهوم من قوله: **(أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ)**، وتقديره: لتبعثن ولتحاسبن.

(أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ): أي أيظن الإنسان الكافر أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفتتها وتفرقها فنعيده كما كان؟. وهذا الظن هو الذي جعلهم ينكرون الآخرة، كما قال الله ﷻ عن كلام بعضهم لبعض: **(أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۞ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)** [المؤمنون:٣٥-٣٧]، **واختار** لفظ: **(نَجْمَعَ)** إشارة إلى يسر الإعادة عليه ﷻ؛ فإنما هي مجرد جمع لرفاته.

(بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ): أي بلى سنجمع عظامه، قادرين على أن نكمل خلق أطراف أصابعه على أحسن وجه. وإنما خص رؤوس الأصابع لصغرها من بين سائر العظام، ولدقَّة خلقها وتفاوت بصمتها بين جميع البشر، فالقادر عليها قادر على ما سواها.

(بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ): أي قدرتنا على البعث لا تخفى على الإنسان، لكنه يُريد أن يستمر على فجوره وشهواته المحرمة مستقبل أيام عمره، فلذا ينكر البعث ويستبعد قيام الساعة. **والفاجر**: الفاسق الكذاب المجرم، والفجور الخروج الشديد عن الطاعة والميل العظيم عن الحق.

(يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ): أي يقول منكرا مستبعدا قيام الساعة: متى يوم البعث!؛ ولذا استخدم الكلمة الطويلة: **(أَيَّانَ)**، **(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا)** [النازعات:٤٢].

(فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۞ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۞ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۞ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ): أي إذا شخص بصر الإنسان الكافر فزعا، وانطفأ نور القمر كله، وجمع الله ﷻ الشمس مع القمر بعد أن كانا متفرقين، حينئذٍ يقول الإنسان الكافر: أين المهرب من ذلك الهول؟. فلا بصر، ولا ما يبصر به من شمس وقمر، مما يجعل الإنسان في غاية الحيرة والخوف مما حوله، فهو يسأل عن المفر وعن الطريق إليه: **(أَيْنَ الْمَفَرُّ)**؟، وهذا في القيامة وليس في الدنيا، لقوله تعالى: **(يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ)**.

وخسوف القمر أكمل من كسوفه، والقمر يستقي نوره من الشمس، مما يقتضي أن ضوء الشمس يوم القيامة قد ذهب أيضا.

(**كَلَّا لَا وَزَرَ**): أي زجرا لهذا الإنسان الكافر، لا ملجأ له أبدا من هول يوم القيامة وعذابه، كما قال ﷻ: (**مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يومئذ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ**) [الشورى:٤٧]، فلا نصير، ولا شيء يختبيء فيه: (**وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً**) [الكهف: ٤٧].

(**إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ**): أي إلى الله ﷻ وحده في ذلك اليوم منتهى العباد ومصيرهم، لا مفر لهم من حسابه وجزائه.

(**يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ**): أي يخبر الله ﷻ الإنسان يوم القيامة بكل ما فعله في حياته الدنيا من خير أو شر، وما تركه من واجب أو تجنبه من معصية لأجل الله ﷻ، سواء قدم ذلك في حياته أو تركه أثرا من بعده صالحا أو سيئا، كما قال ﷻ: (**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ**) [يس:١٢].

(**بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**): أي الحقيقة أن الإنسان يوم القيامة مطلع تماما على حقيقة أمره، عليم بمظالم نفسه مهما قدم من أعذار، كما قال ﷻ: (**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**) [الإسراء:١٤]. ولفظ: (**بَصِيرَةٌ**) للمبالغة من بصير، كعليم وعلّامة.

ب) الفوائد:

١. يوم القيامة حقيقة واضحة لا يشك فيها عاقل: (**إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**) [الذاريات:٢٣]؛ ولذا يقسم الله ﷻ على يوم القيامة بيوم القيامة. وهل يظن عاقل أن هذه الخليقة العظيمة بسماواتها وأرضها وأفلاكها ومخلوقاتها لمجرد متاع دنيوي قصير؟!: (**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ**) [الروم:٨]، وهل يظن مؤمن يعرف الله ﷻ وعدله في أحكامه أنه يُهمل حق مظلوم قُتل أو مات ولم يستوف حقه ممن ظلمه؟.

وذاك العابد المجتهد لو لم يكن بعث وجزاء فقد ساواه الله ﷻ بالفاجر المجرم، بل ربما كان الفاجر أكثر تمتعا في الدنيا: (**فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۞ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ**) [التين:٧-٨]، بلى إن الله ﷻ أعظم حكمة وأعدل حكما.

٢. من فطرة الله ﷻ لنفس الإنسان ندمها الشديد على ما فاتها، وهو أيضا دليل حياتها وصلاحها إذا حملها على الخير؛ ولذا أقسم الله ﷻ بالنفس اللوامة، وقد ذكر الله ﷻ في سورة القلم قصة أصحاب الجنة وتلاومهم وندمهم، فقال ﷻ: (**قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۞ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ۞ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۞ عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ**).

٣. يسر البعث على الله ﷻ لكمال قدرته على إعادة أدق الأشياء، وإنما البعث جمع لعظام الميت ورفاته؛ ولذا قال ﷻ: (**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**) [الروم:٢٧]، وقال ﷻ: (**يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**) [ق:٤٤].

٤. البعث إنشاء من الخلق الأول، وليس خلقا جديدا؛ ولذا وصفه الله ﷻ لأنه جمع لعظام الميت. وفي الحديث: (يفنى من ابن آدم كل شيء إلا عجب الذنب فمنه يُركّب).

٥. تركيب رؤوس الأصابع من أعجب آيات الله ﷻ في جسم الإنسان؛ ولذا ضرب الله ﷻ بها المثل على تمام قدرته على البعث، ولدقَّة تركيبها واختلافها بين ملايين البشر، كانت البصمة وثيقة علمية عالمية على نسبة الأمر إلى صاحب البصمة، ومن عجيب أمرها أنها تمتاز بمنتهى الحساسية؛ لأنها مركز تحسس الموجودات لإنذار الإنسان ليقي نفسه من المخاطر، أو ليجد مطلوبه، أو ليقرأ بها . حسب لغة المكفوفين (برايل) .. ولأهميتها في إدارة حياة الإنسان وتنفيذ إرادته وقُدُراته، أمر الله ﷻ المجاهدين بتعطيل بنان العدو، فقال ﷻ: (**فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**) [الأنفال:١٢].

٦. تذكر الآخرة ضابط لسلوك الإنسان، وإنما يندفع للفجور لغفلته عن الآخرة أو تكذيبه بها، كما قال ﷻ: (**بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ**)، أي: هو غير مكذِّب من قلبه بالآخرة، بل يريد أن يستمر في شهواته

المحرمة؛ فلذا يجحد الآخرة ولا يحب أن يُذكّر بها. ولذا كان التذكير بالآخرة وأحداثها هو من أكثر آيات القرآن الكريم من أي موضوع آخر.

٧. شدة هول يوم القيامة على الكافر، فيصاب بالرعب والذهول حتى يشخص بصره فلا يرتد إليه: (**فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ**)، (**فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ**) [الأنبياء:٩٧]، (**لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء**) [إبراهيم:٤٣]، أي قلوبهم خواء من شدة الذهول، وحينئذٍ يبحث عن المهرب: (**أَيْنَ الْمَفَرُّ**).

٨. الظلام المطبق على أرض القيامة، فلا شمس ولا قمر ينيران. وإنما هي أنوار الإيمان والعلم الصالح، كلٌّ نوره على قدر إيمانه وصلاحه وصلاته: (**يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا**) [التحريم:٨]، أي اجعله يستمر ولا ينطفئ، وحينئذ يحاول المنافقون أن يمهلهم المؤمنون ليمشوا معهم: (**يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا**) [الحديد:١٣]، وحين سئل النبي ﷺ أين يكون الناس يوم تبدَّل الأرض غير الأرض والسموات؟، فقال ﷺ: (هم في الظلمة دون الجسر) [رواه مسلم]، أما دنو الشمس من رؤوس الخلائق قدر ميل وهم في المحشر، كما في [صحيح مسلم]؛ فهذا ممكن مع ذهاب نورها وبقاء حرارتها. فإذا نزل الرب ﷻ لفصل القضاء، تجلَّت الظلمات وانكشف العباد بعضهم لبعض: (**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**) [الزمر:٦٩].

٩. استواء أرض القيامة، فليس بها حفرة ولا جبل ولا مختبأ؛ ولذا يسأل الكافر وهو يرى أهوال القيامة: (**أَيْنَ الْمَفَرُّ**)؟، يقول ﷻ: (**وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً**) [الكهف:٤٧]، وقال تعالى: (**فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۞ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا**) [طه:١٠٦-١٠٧]، أي: لا ترى فيها منحدرا ولا مرتفعا صغيرا، وقال ﷺ: (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عَفراء كقُرْصَة النَّقِيِّ) [متفق عليه]، أي: كخبزة الطحين النقي الناعم.

١٠. عرض أعمال العبد عليه صالحها وسيئها يوم القيامة، وإن غفر الله ﷻ له: (**يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ**)، وقال ﷻ: (**عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ**) [الانفطار:٥].

وقال ﷻ: (**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**) [الزلزلة:٧-٨]، وهذا العرض يشمل كل إنسان، وهو الذي سماه الله ﷻ في حق المؤمن بالحساب اليسير: (**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**) [الانشقاق:٧-٨]. وهذا ليعرف المؤمن فضل الله ﷻ عليه في سِتر ذنوبه في الدنيا وعفوه عنها في الآخرة، روى ابن عمر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كَنَفَه ـ أي ستره ـ ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا ؟، أتعرف ذنب كذا؟، فيقول: أي نعم رب. حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته) [متفق عليه].

١١. الحرص على الآثار الصالحة والحذر من الآثار السيئة، فهي من عمل الإنسان الذي سينبؤه الله ﷻ به يوم القيامة، وهي ما أخَّره العبد بعده مما يجري ثوابه؛ كمسجد بناه أو كتاب ألَّفه أو ولد رباه على الخير، كما قال ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلى من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) [رواه مسلم]. وبعكس ذلك ما أخَّره بعده مما يجري عليه إثمه؛ كآلات اللهو وأشرطته وكتبه، وأطباقه، وفي الحديث: (من سنَّ في الإسلام سُنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سُنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) [رواه مسلم].

١٢. من كمال عدل الله ﷻ وإعذاره من عبده أنه كتب أعمال العبد في الدنيا، ثم يُطلعه عليها يوم القيامة قبل أن يعاقبه؛ إظهارا لكمال علمه وعدله، وإلا فإنه ﷻ لا يحتاج إلى تذكير، ولا يخشى أحدا من العباد. ولأجل العدل والمعذرة نصب الله ﷻ الموازين يوم القيامة وأقام الشهود على العباد، يقول الرسول ﷺ: (لا أحد أحب إليه العذر من الله، ولذا أرسل الرسل)، وقال الله ﷻ: (**رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**) [النساء:١٦٥]، أي: حتى لا يكون لهم حجة إذا عذبهم على كفرهم وظلمهم.

١٣. قناعة الإنسان يوم القيامة بكتاب أعماله وجزائه، فهو يومئذٍ في غاية البصيرة بحقيقة نفسه: (**بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ**)، (**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**) [ق:٢٢]، أي حاد البصر عارف بالحقيقة قد انكشفت عنه أغطية الشبهات وران الشهوات.

صفحة الموجز ١-٣-١

الآيات: (١٦-١٩)

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾

أ) تمهيد:

عن ابن عباس ﷺ قال: (كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرك به لسانه وشفتيه، مخافة أن يتفلَّت منه، يريد أن يحفظه، فأنزل الله تعالى: **(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)**، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذ أتاه جبريل استمع، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله) [أخرجه البخاري ومسلم].

فهذه آيات تخاطب الرسول ﷺ في أمر خاص به يتعلَّق بتلقيه الوحي من جبريل عليه السلام، دخلت هذه الآيات بين الآيات التي تقرر صدق يوم القيامة؛ لتشعر السامعين بأن الله جل جلاله هو المتحدث هنا، وأن محمدا ﷺ مرسل من الله سبحانه وتعالى. فمثل هذه اللفتات التي يعقِّب الله سبحانه وتعالى فيها على نبيه أو يعاتبه فيها، هي من أقوى الأدلة على أن القرآن وحي من الله سبحانه وتعالى وليس من محمد ﷺ، وأن ما تضمنه من خبر عن الآخرة وغيرها هو حق لا مرية فيه.

ب) المعنى:

أي: لا تحرِّك يا نبي الله ﷺ بالقرآن لسانك حين إلقاء جبريل عليه السلام الوحي عليك، لأجل أن تعجل بحفظه فلا تنسى شيئا منه؛ فإن علينا جمعه في صدرك، وقراءتك له كما أُنزل عليك، فإذا أتممنا قراءته وإلقاءه عليك فاتبع في قراءة القرآن الطريقة التي قرأناه بها، ثم إن علينا إفهامك لمعانيه وتوضيح أحكامه لك. فلفظ: **(قُرْآنَهُ)** هنا بمعنى قراءته، كما في قوله سبحانه وتعالى: **(وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا)** [الإسراء:٧٨]، أي قراءة صلاة الفجر تشهدها الملائكة الكرام.

ج) الفوائد:

١. الإنصات لقراءة القرآن الكريم، كما أمر الله ﷻ نبيه محمدا ﷺ أن لا يقرأ مع جبريل عليه السلام، ولو بمجرد تحريك اللسان، وقد قال ﷻ: (**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**) [الأعراف:٢٠٤]. والإنصات هو السكوت وترك الحركة أو الاشتغال بأي شيء. ولاشك أن الاستماع الجيد أنفع في التدبر من القراءة، لأن مراعاة الحروف والأداء تشغل الذهن شيئا، ولهذا طلب النبي ﷺ من ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه وقال له: (أحب أن أسمعه من غيري) [متفق عليه].

٢. الإنصات للمعلم وعدم الانشغال عنه أو إشغاله أو مقاطعته حتى يفرغ؟، وهذا ما يفعله الرسول ﷺ مع جبريل عليه السلام حين يُلقي عليه الوحي فيطرق حتى كأنه يغط في سبات عميق، وحينما قرأ ﷺ مع جبريل عليه السلام خشية النسيان نهاه الله ﷻ عن ذلك كما هنا. ومن **أجمل** مواقف الإنصات والأدب مع المعلم قصة جبريل عليه السلام مع النبي ﷺ وهو يسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وعلامات الساعة، فيجلس أمامه واضعا يديه على فخذيه، يسأله ثم يستمع لإجابته، حتى إذا فرغ من إجابة السؤال، علَّق عليه بقوله: (صدقت)، ثم سأل سؤالا آخر، وهكذا حتى فرغ ثم خرج، فكان هذا الأسلوب طريقة تعليمية من جبريل عليه السلام للصحابة رضي الله عنهم يعلمهم فيها الدِّين وكيفية تعلمه، كما قال ﷺ: (هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم) [رواه مسلم].

٣. القراءة مع المعلم وسيلة للحفظ وصحة النطق، كما فعل النبي ﷺ مع جبريل عليه السلام إلى أن نهاه الله ﷻ، بسبب أن الله قد تكفل له بالحفظ وصحة النطق، وهذا وعد من الله ﷻ خاص بالنبي ﷺ: (**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**)، فالأصل في استماع القرآن الإنصات وعدم القراءة مع القارئ إلا أن يكون ذلك للتعلم.

٤. القراءة باللسان دون صوت معتبرة شرعا، فإذا قرأ القرآن في الصلاة أو خارجها بلسانه ولم يُسمع نفسه فقراءته صحيحة؛ لأن الله ﷻ اعتبر تحريك النبي ﷺ لسانه بالقرآن وهو يستمع لجبريل عليه السلام قراءة، فنهاه عنها حتى يفرغ جبريل عليه السلام من قراءته وإلقائه عليه.

٥. القراءة في النفس دون تحريك اللسان لا تعتبر قراءة تترتب عليها الأحكام؛ كصحة الصلاة، وثواب قراءة القرآن. ولهذا لم يعتبر استماع الرسول ﷺ لقراءة جبريل عليه السلام قراءة، حتى حرك لسانه، فنهاه الله ﷻ، وهذا لا يعارض ما يسمى القراءة التصويرية أو البصرية للتعلم والفهم.

٦. كلام الله ﷻ بنطق ـ على ما يليق بجلاله وعظمته ـ ولذا لم يعتبر الله ﷻ القراءة والتكلم من النبي ﷺ إلا حين حرَّك لسانه بالقرآن، أما مجرد التفكير وحديث النفس فلا تعتبر كلاما لا شرعا، ولا لغة، ولا عرفا. وفي هذا غاية **الرد** على منكري صفة الكلام عن الله ﷻ، الذين أوَّلوا الكلام بأنه كلام النفس، وهذه **البدعة** الكبيرة هي التي أوقعت فتنة القول بخلق القرآن، لينفوا أن الله ﷻ تكلم به، وفيها عذب الإمام أحمد بن حنبل فثبت – رحمه الله– وقال: القرآن كلام الله منزَّل غير مخلوق، حتى انجلت الفتنة عن أمة الإسلام ولله الحمد.

٧. تلاوة القرآن الكريم وفق ما ثبت من قراءات وقواعد وأحكام؛ ولذا أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يتبع طريقة قراءة جبريل عليه السلام: (**فإذا قرأناه فاتبع قرآنه**).

٨. حرص الرسول ﷺ على حفظ القرآن وضبطه، للقيام بمهمة الرسالة والدعوة إلى الله ﷻ، وهكذا ينبغي لطالب العلم وللداعية وكل مسلم أن يعتني بحفظ القرآن الكريم وأن يفعل الأسباب المعينة على ذلك؛ كاتخاذ المعلم، والإنصات له، وتصحيح النطق، وتجزئة المحفوظ، ثم جمعه ومراجعته، مع فهم المعاني، كما دلت على ذلك الآيات. وليثبِّت بالقرآن فؤاد النبي ﷺ ويستقر فيه أنزله الله ﷻ مفرقا، وكان يراجعه معه جبريل عليه السلام كل عام في شهر رمضان.

٩. التوكل على الله ﷻ وبخاصة في التعلُّم، فإن الله ﷻ هو الذي يعلِّم الإنسان ما لم يعلَم، وهو الذي يذكره وينسيه: (**سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى ۞ إِلَّا مَا شَاء اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى**) [الأعلى:٦-٧]، علَّم آدم عليه السلام أسماء الأشياء كلها حتى فاق الملائكة عليهم السلام كلهم. وعلَّم يوسف عليه السلام وهو في بيت الخدمة ووراء أسوار السجن: (**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**) [يوسف:٢٢]، وعلَّم اليتيم الأمي نبينا محمدا ﷺ حتى كان إمام الأولين والآخرين: (**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**) [النساء:١١٣]. فحتى يعلِّمنا الله ﷻ ويوفقنا لابد أن نتقيه بطاعة أوامره واجتناب نواهيه، قال ﷻ:

(**وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ**) [البقرة:٢٨٢]، وقال تعالى: (**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً**) [الأنفال:٢٩]، ومن ذلك الدعاء ولهذا أرشد الله إليه نبيه ﷺ حين نهاه عن القراءة أثناء إلقاء جبريل عليه السلام الوحي فقال تعالى: (**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**) [طه:١١٤].

١٠. القرآن الكريم معصوم من النقص ومن التغيير؛ لأن الله جل جلاله تكفَّل بجمعه، وهذا يشمل جمعه في الصدور وجمعه في السطور، وقد قال الله عز وجل: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) [الحجر:٩]، فيشمل الحفظ الخاص بالرسول ﷺ فلم ينس منه شيئا بإذن الله سبحانه وتعالى، ويشمل الحفظ العام للأمة فلم يزل القرآن في الأمة كما أنزل على نبيها يتناقل بينها سماعا وكتابة، ولله الحمد. وقد كانت كتابة القرآن الكريم مباشرة كلما نزل شيء منه، ثم لما مات النبي ﷺ جمع أبو بكر رضي الله عنه القرآن من ذلك المكتوب في زمن النبي ﷺ، ثم حفظ عند عمر رضي الله عنه، فلما تولى عثمان رضي الله عنه نسخ منه النُّسخ المشهورة ووزعها في الأقطار.

١١. ليس في القرآن الكريم شيء لا يُعرف معناه؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد تكفَّل ببيانه. بينه الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ وبلغه الرسول ﷺ لأمته بأبيَن بلاغ: (**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**) [العنكبوت:٤٩]، وقال تعالى: (**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**) [الشعراء:١٩٣-١٩٥]، يقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي في مقدمة كتابه . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .: (ما من مجمل إلا وجاء تفصيله في مكان آخر) ا.هـ، يعني أن الله سبحانه وتعالى بينه في موضع آخر من القرآن الكريم.

١٢. الرجوع في فهم القرآن إلى القرآن والسنة؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد تكفل ببيانه للرسول ﷺ. وكما أن الرسول ﷺ هو الأعلم بألفاظ القرآن حيث تلقاها عن جبريل عليه السلام عن رب العالمين، فهو الأعلم بمراد الله عز وجل منها؛ لأنه المخاطب أولا بها، ولأنه المسؤول عن تبليغها للناس. وهذا يؤكد أهمية عِلم السُّنة النبوية ومكانة علمائها، فهي المبينة للقرآن، وهي الوحي الثاني كما قال ﷺ: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) [رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح]. كما يؤكد أيضا حفظ الله سبحانه وتعالى لهذه السنة المبينة للقرآن، لتكفِّل الله سبحانه وتعالى ببيان القرآن، ومن يرجع إلى تدوين السنة وخبر حُفَّاظها وعِلم السَّنَد والجرح والتعديل، يعرف العناية الربانية

صفحة الموجز ١-٣-١

لهذه السنة المبينة للقرآن. وقد رتب العلماء **عِلم التفسير** في درجات؛ أعلاها تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسير القرآن بكلام الرسول ﷺ، ثم تفسير الصحابة ﷺ للقرآن لقربهم من زمن التنزيل ومخالطتهم للنبي ﷺ المنزَّل عليه القرآن ﷺ.

الآيات: (٢٠-٤٠)

﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ۝٢١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ۝٢٥ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ۝٣٠ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّيٰٓ ۝٣٣ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ۝٣٥ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ۝٤٠﴾

أ) المعاني:

(**كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ**): أي زجرا لكم لا دليل لكم على ما تزعمون، لكنكم معجبون بالدنيا وزينتها، وإنما هي قصيرة زائلة، ومتناسون الآخرة ونعيمها الأبدي لا تعملون لها، **فسمى** الدنيا بالعاجلة تقليلا لشأنها.

صفحة الموجز ١-٣-١

(**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**): أي يوم القيامة أناس وجوههم حسنة مشرقة، تنظر إلى ربها ﷻ في غاية السرور والمتعة. وهؤلاء هم المؤمنون عبر عنهم بوجوههم؛ لأن الوجه عنوان الراحة والسرور؛ ولأنه أكرم الأعضاء وأبرزها.

(**وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۞ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ**): أي وأناس وجوههم يوم القيامة قبيحة ، تتوقع أن تنزل بها مصيبة عظيمة تقصم فقار الظهر، وهؤلاء هم الكفرة.

(**كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ ۞ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۞وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۞ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۞ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ**): أي زجرا لهذا المشغول بالعاجلة عن الآخرة المهولة، سيعلم إذا وصلت الروح إلى أعلى الصدر تغرغر للخروج، وقال بعض الحاضرين لبعض: هل من راقٍ يرقيه لعله يشفى؟، وأيقن المحتضر أن الذي نزل به الموت، وحينئذ تلتف ساقه بساقه لشدة ألم النزع، فتخرج روحه تسوقها الملائكة إلى الله ﷻ. **والتراقي** جمع ترقوة وهي عظمان يحيطان بالحنجرة يمينا وشمالا. **والسؤال** عن الراقي يدل على عجز الأطباء ونفاذ جميع الحيل، فما بقي إلا الرقية. **وسمى** الموت بالفراق إشارة إلى شعور المحتضر أنه سيفارق الدنيا التي طالما أحبها وشغل بها عن الآخرة.

(**فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ۞ وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۞ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى**): أي فلا صدق هذا الكافر بالله ﷻ ورسوله ﷺ والدار الآخرة، ولا أدى فريضة الصلاة، ولكنه كذب الله ﷻ رسوله ﷺ، وأعرض عن طاعة الله ﷻ ومساجده وحزبه، ثم مضى مختالا متبخترا إلى أهله. **وصفه** الله ﷻ بفساد العقيدة، وفساد العمل، وفساد الخلق. وذكر ذهابه إلى أهله إشارة إلى دواعي الاغترار بما أعطي من زوج وولد وأحفاد، وإشارة إلى غفلته عن الآخرة وفراق الأهل: (**إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۞ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ**) [الانشقاق:١٣-١٤]. **واستخدم** كلمة: (**ثُمَّ**) إشارة إلى أنه رغم قبيح صنعه وانعدام خيره يعود إلى أهله مسرورا فخوراً آمنا من غضب الله ﷻ وانتقامه؛ و لهذا جاء بعد ذلك يهدده.

(**أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ۞ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى**): أي ويل لك فويل، ثم ويل لك فويل. وهي كلمة تستعملها العرب للتهديد بقرب نزول الهلاك. **كررها** أربع مرات مبالغة في التهديد والتخويف وتأكيدا لهلاك ذلك الشخص المكذب المتولي عن الصلاة والدين، المتكبر المغتر بأهله وسلطانه.

صفحة الموجز ١-٣-١

قيل إنه وعيد له بعذاب في الدنيا وعذاب في القبر، ثم عذاب في القيامة و في النار. **قيل** إنها **نزلت** في أبي جهل فرعون هذه الأمة الذي قتله أبطال المسلمين في معركة بدر الكبرى.

(**أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى**): أي أيظن هذا الإنسان الكافر المختال أن يترك في الحياة هملا لا يُؤمر ولا يُنهى، ويترك بعد الموت لا يبعث فيحاسب ويجازى؟، هذا ظن باطل. ثم استدل الله ﷻ على بطلان هذا الظن بعظيم خلق الإنسان الذي يدل دلالة واضحة على أنه لم يخلق عبثا بلا حكمة.

(**أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ۞ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى**): أي ألم يكن هذا الإنسان في بداية نشأته قطرة من ماء الرجل والمرأة يدفق ويراق؟، ثم صار قطعة دم عالقة بجدار الرحم، فخلق الله ﷻ الإنسان من تلك القطعة فكمله وأحسن خلقه، وجعله على صنفين ذكر وأنثى؟. **سميت** العلقة بذلك؛ لأنها تعلق بجدار الرحم فتتغذى عن طريقه، أو لأنها تسبح في ماء الرحم كالعلقة دابة الماء المعروفة، وربما لأنها تشبهها في شكلها المذنب.

(**أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى**): أي أليس ذلك الخالق لهذا الإنسان السوي الحي من النطفة الحقيرة الميتة قادر على إعادته حيا بعد موته؟، بلى إنه لقادر. **ختم** السورة بإثبات قدرته على البعث وإعادة الإنسان إلى الحياة، كما بدأها بذلك حين أقسم على قدرته على جمع عظام الميت وإعادة تسويتها كما كانت.

أ) الفوائد:

١. الحذر من الانشغال الدائم بالدنيا، فإنها من أكبر صوارف القلب عن الآخرة، وربما أوصلت الإنسان إلى إنكار الآخرة أو التشكيك فيها، كما في قصة صاحب الجنتين: (**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا۞وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا**)[الكهف:٣٥،٣٦].

٢. محبة الدنيا تكون مذمومة إذا أنست العبد آخرته وثوابها وعقابها؛ ولذا قرن بينهما: (**كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۞ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ**)، وهذا هو الغلو في حب الدنيا وتجاوز الحد الطبيعي في ذلك الذي ذمه الله ﷻ: (**وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا**) [الفجر:٢٠].

فتراه لا يبالي من أين اكتسب المال أو المنصب أو الشهادة، أو أي مصلحة من مصالح الدنيا العاجلة، وتراه يضبط وقته وارتباطاته على وظيفته ومصالحه الدنيوية، غير مبال بوقت الصلاة: (**فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**) [التوبة:١٣].

٣. حجاب المرأة وجهها عن الرجال غير المحارم؛ لأن الوجه محل الحسن ومثار الفتنة، وهو العنوان على حال صاحبه، ولذا نسب الله ﷻ إليه النضارة والقبح يوم القيامة، ولا يشك عاقل في أن وجه المرأة من أكبر مقاصد الخاطب ودواعي قبوله بها أو عدمه.

٤. رؤية المؤمنين ربهم ﷻ في الآخرة، وذلك غاية النعيم والتكريم، وهذا يكون لهم في يوم القيامة، ويكون في الجنة، يقول جرير بن عبد الله ﷺ كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال ﷺ: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون، فإن استطعتم ألا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا) [رواه البخاري]، وقال ﷺ: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله ﷻ: تريدون شيئا أزيدكم؟، يقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟، قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ، ثم تلا هذه الآية: (**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**) [يونس:٢٦] [رواه مسلم]. ومن دعائه ﷺ: (وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك، في غير ضرَّاء مُضرة ولا فِتنة مُضلة).

٥. حرمان الكافر من رؤية الله ﷻ؛ لأن رؤيته كرامة عظيمة، ولذا خص بها أهل الإيمان، قال ﷻ: (**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**) [المطففين:١٥].

٦. مخرج الروح من أعلى الجسم، فإنها عند الاحتضار تبلغ التراقي، وتغرغر بالحلقوم، كما قال ﷻ: (**فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ۞ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۞ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۞ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۞ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**) [الواقعة:٨٣-٨٦]. لكنها من الغيب، فلا يعلم كيفيتها وكيفية خروجها والملائكة الذين يقبضونها-إلا الله ﷻ، يقول الله تعالى: (**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**) [الإسراء:٨٥].

٧. الرُّقية علاج معروف حتى عند الكفار؛ ولذا طلبوا الرقى لمحتضرهم الكافر: (**وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ**)، وقد سأل عوف بن مالك ﷺ النبي ﷺ عن رقى كانوا يرقون بها في الجاهلية، فقال ﷺ: (لا بأس بالرقية، ما لم تكن شركا) [رواه مسلم]. وقد رقى النبي ﷺ نفسه بالمعوذات حين سحره اليهودي لبيد بن الأعصم، ورقى الصحابة ﷺ اللديغ الكافر-بطلب منه- بالفاتحة سبعا فشفي، واشترطوا أجرة لذلك وأخذوها، فأقرهم النبي ﷺ [متفق عليه].

٨. خطر تضييع الصلاة بتركها أو بعضها، أو إساءة أدائها فيكون كمن لا يصلي، كما في قصة المسيء صلاته الذي قال له الرسول ﷺ: (ارجع فصلِّ، فإنك لم تُصلِّ) [متفق عليه]، ويقول الله ﷻ في مضيِّع الصلاة: (**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**) [مريم:٥٩].

٩. ذم الكِبر والخيلاء، ومنه الاختيال في المشية، وبهذا ذم الله ﷻ الكافر المذكور في الآيات، وقد قال ﷻ: (**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**) [الإسراء:٣٧]، وقال تعالى: (**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**) [لقمان:١٨]، وقال ﷺ: (بينما رجل يمشي في حِلَّة، تعجبه نفسه، مرجِّل رأسه، يختال في مشيته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة) [متفق عليه].

١٠. أهمية التفكر في خلق الله ﷻ العجيب للإنسان فذلك من أعظم بواعث الإيمان بالله ﷻ وباليوم الآخر، واستخدام ذلك في دعوة المسلم وغير المسلم، كما فعلته هذه الآيات، قال ﷻ: (**فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ**) [الطارق:٥]، ألم يُخلق من نطفة صغيرة، تحمل ملايين الحيوانات المنوية، فاختار الله ﷻ منها واحدا، يلقح البويضة الأنثوية، فكانت النطفة الأمشاج، ثم تحولت الخلية الممتزجة المتلقِّحة إلى علقة، تتعذى من الرحم، حتى يكون ذلك جنينا معتدلا جميلا متسق الأعضاء يحمل ملايين الملايين من الخلايا الحية؟، فمن ذا الذي قاد هذه الرحلة الطويلة التي بدأت من خلية ضعيفة صغيرة جدا لا عقل لها ولا إدراك ولا تجربة؟!، ثم من الذي حدد لهذه الخلية الواحدة أن تكون (ذكرا وأنثى)؟، وهل يزعم أحد أنها ذات إرادة عاقلة تختار جنسها؟، أو يزعم أحد أنه هو الذي قاد خطواتها في ظلمات الرحم إلى هذا الاختيار؟، فلا إله إلا الله ﷻ.

١١. الكافر والمعرض عن عبادة الله ﷻ مُتّهِم لله ﷻ بالعبث وأنه خلق الإنسان سدى بلا حكمة، كما قال ﷻ يبطل هذا الظن: (**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ**) [المؤمنون:١١٥-١١٦]. إن الحياة في نظر الكافر لا هدف لها ولا غاية، وإنما هي أرحام تدفع وقبور تبلع، وبين هاتين لهو ولعب وزينة وتكاثر وتفاخر: (**أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ**) [الأعراف:١٧٩]، يقول الله ﷻ: (**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ**) [ص:٢٧]

١٢. مساواة الإسلام بين الرجل والمرأة في أصل الخلق، فهما شقيقان، لا فرق بينهما في المنشأ من النطفة والعلقة؛ ولذلك سماهما زوجين، أي كل منهما يكمل الآخر، ولا تقوم حياة أحدهما وتستمر إلا بالآخر. فأين هذا من نظرة الجاهلية الظالمة المحتقرة للمرأة، وحتى إنهم لا يورثونها من الميراث، بل يرثونها إذا مات زوجها فيتزوجها أحد أقاربه أو يزوجها لمن يشاء بلا رضاها. والجاهلية الحديثة أقبح احتقار لها، حيث يستخدمونها دعاية لتسويق سلعهم ومجلاتهم وجلب الزبائن لفنادقهم ومحلاتهم .

١٣. الرضا بالمولود ذكرا أو أنثى؛ لأنه اختيار الله ﷻ، فالاعتراض على ذلك اعتراض على الله ﷻ، وعلى حكمته، قال ﷻ: (**يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ ۞ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**) [الشورى:٤٩-٥٠]، وقد قال ﷻ عن الجاهلية قديما: (**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ**) [النحل:٥٧-٥٨].

صفحة الواجب ١-٣-١

س١: ما معنى الكلمات التالية في هذه السورة: (اللوامة- نجمع عظامه- نسوي بنانه- ليفجر أمامه- أيان- برق البصر- خسف القمر- لا وزر- بما قدم وأخر- على نفسه بصيرة- ألقى معاذيره- لتعجل به- جمعه وقرآنه- فاتبع قرآنه- العاجلة- ناضرة- باسرة- فاقرة- إذا بلغت التراقي- من راق- الفراق- المساق- يتمطى- أولى لك فأولى- سدى- علقة- فسوى-الزوجين)؟.

.....

.....

.....

.....

س٢: أرض المحشر ظلام أم نور؟، وضح ذلك بالدليل.

.....

.....

س٣: اذكر خمس فوائد من قوله تعالى: (**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ۞ ثم إن علينا بيانه**).

.....

.....

س٤: كيف ردت السورة على منكر البعث بأنه متهم لله ﷻ بالعبث أو بالعجز؟.

.....

.....

س٥: اذكر الشاهد من السورة على رؤية المؤمنين لله ﷻ في الآخرة.

.....

.....

صفحة الموجز ١-٤-١

سورة الإنسان

أ. المقدمة:

جاءت سورة الإنسان مفتتحة بالكلام عن مبدأ خلق الإنسان، ثم ذكرت انقسام الخلق إلى فئتين؛ شاكر وكفور، وأخبرت بجزاء الكافرين، ثم أشادت بأعمال الشاكرين من الوفاء بالنذر وإطعام الطعام لوجه الله ﷻ، ثم بينت ما لهم عند ربهم من الجنات والكرامات، ثم ختمت السورة بإعلان أن القرآن تذكرة وعظة لمن أراد طريق السعادة.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ يقرأ الطالب السورة بطريقة صحيحة، ليتم حفظها بعد ذلك.

١-٢ يعرف الطالب عجيب خلق الله ﷻ للإنسان.

١-٣ يعرف الطالب عظمة نعيم الجنة.

١-٤ يعرف الطالب أهمية ملازمة القرآن والذكر والصلاة.

ج. المواضيع بإيجاز:

(أ) تعريف بالسورة : فضلها، وموضوعها، وميزاتها، ومناسبتها.

(ب) معاني الآيات.

(ج) فوائد من الآيات.

صفحة الموجز ١-٤-١

سورة الإنسان

أ) فضلها:

(كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: "**الم ۞ تَنزِيلُ**"-السجدة-، و"**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ**"-الإنسان-) [رواه مسلم].

وهي تذكِّر بأحداث وقعت وتقع يوم الجمعة؛ من خلق آدم عليه السلام، وقيام الساعة، يقول ﷺ: (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة) [رواه مسلم].

ج) موضوعها:

التذكير بالآخرة ونعيم الجنة العظيم.

د) ميزاتها:

الإطالة والتفصيل في ذكر نعيم الجنة بأسلوب رائع مشوق، وذلك أكثر من نصف السورة.

هـ) مناسبتها:

اختتمت سورة القيامة بالتذكير بأصل خلق الإنسان من النطفة الحقيرة، فجاء مطلع سورة الإنسان يذكره بذلك أيضاً رداً على ذلك الكافر المختال المتكبر؛ وكما أطالت سورة القيامة في تقرير يوم القيامة، فقد تخصصت الإنسان فيما بعد يوم القيامة من عذاب النار ونعيم الجنة. وكلاهما يعالجان مشكلة واحدة عند الإنسان ألا وهي حبه للعاجلة وإعراضه عن الآخرة، ذلك اليوم الثقيل العبوس القمطرير.

صفحة الموجز ١-٤-١

الآيات: (١-٢٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾

صفحة الموجز ١-٤-١

أ) المعاني:

(**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا**): أي قد مضى على الإنسان وقت من الزمن لم يكن يحسب في الناس الأحياء. وإنما هو نطفة مني، أو علقة قطعة من دم، أو مضغة قطعة لحم. **وقيل**: إن المراد بالإنسان آدم عليه السلام حيث كان مصورا في الطين سنين عديدة- قيل أربعين سنة وقيل أكثر-حتى اكتمل تخليقه ونفخت فيه الروح، يقول الرسول ﷺ: (لما صوَّر الله آدم عليه السلام في الجنة، تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به، ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خُلِق خَلقا لا يتمالك) [رواه مسلم].

(**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**): أي خلق الله جل جلاله الإنسان من نطفة مختلطة من منيِّ الرجل ومنيِّ المرأة، خلقه ليختبره بالتكاليف الشرعية هل يقوم بها أولا؛ ولذا جعله ذا سمع وبصر، يسمع الآيات، ويبصر الدلائل، فيميز الحق من الباطل ويختار سبيله في الحياة.

(**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**): أي عرفناه طريق الحق والخير بالرسالات النبوية والدلائل الكونية، فهو إما أن يختار طريق الهدى فيكون شاكرا لله ﷻ قائما بحقه عليه، وإما أن يعرض عنه فيكون جاحدا لفضل الله جل جلاله الخالق الرازق ﷻ، كما قال تعالى: (**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**) [فصلت:١٧]، فبعد أن ذكر الله عز وجل إعداده للإنسان سميعا بصيرا عاقلا مميزا، ذكر إرساله الرسل يهدونه سبيل ربه، ثم الناس انقسموا بين مؤمن وكافر.

(**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا**): أي أعددنا للكفار سلاسل من حديد يقيدون بها ويسلكون ويعذبون، وأغلالاً تغل بها أيديهم إلى أعناقهم، وناراً مشتعلة يحرقون بها، كما قال عز وجل: (**إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۞ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**) [غافر:٧١-٧٢].

(**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۞ عيناً يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيرا**): أي إن أهل الطاعة والإخلاص لله يشربون في الجنة من كأس خمر ممزوجة بطيب الكافور، مأخوذة من عين يشرب منها عباد الله الأبرار، ويُجْرونها حيث شاؤوا من الجنة. فالتفجير يأتي بمعنى التصريف والإجراء: (**وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَراً**) [الكهف:٣٣].

صفحة الموجز ١-٤-١

بدأ ذكر نعيمهم بالشراب، للدلالة على الاستقبال الكريم لهم كما يقدم المشروب الفاخر للضيف من أول قدومه فيشرب منه شيئا، وسيمدحهم الله ﷻ بعد هذا المطلع المفرح المبشر، ثم يعود **لتفاصيل** النعيم الذي أعده لهم:

(**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ**): أي يقومون تماما بما أوجبوه على أنفسهم من طاعة الله ﷻ. **بدأ** صفاتهم بذلك إظهارا لبرهم وطاعتهم لله ﷻ، حتى إنهم ألزموا أنفسهم بطاعات مشروعة لم تكن لازمة عليهم تقرباً ومحبة لله ﷻ،فكيف بما هو لازم عليهم أصلا.

(**وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**): أي يحذرون يوم القيامة الذي يكون شره وعسره منتشرا شاملا جميع الناس-إلا من رحم الله- فهم يتقربون لله ﷻ بالطاعات ليقيهم شر يوم القيامة.

(**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**): أي ويطعمون الطعام-رغم حاجتهم له-فقيرا، وطفلا مات أبوه لا مال له، وأسيرا في الحرب من الكفار أو من المسلمين. ويقولون في أنفسهم إنما نطعمكم ونحسن إليكم ابتغاء مرضاة الله ﷻ، لا نريد منكم عوضا لذلك ولا حتى مجرد الشكر لنا، نرجو بذلك النجاة يوم القيامة فإننا خائفون من الله ﷻ أن يعذبنا ذلك اليوم الكئيب الشديد..**وقيَّد** الإطعام بلفظ: (**عَلَى حُبِّهِ**) إشارة لإيثارهم للمحتاج على أنفسهم وإطعامه مما يحبون لا من الرديء.ونسب إلى اليوم ما يحدث للناس فيه من عبوس الوجوه، وما ينزل بهم من الشدائد.

(**فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا**): أي فلذلك حفظهم الله ﷻ من خطر يوم القيامة، بل وأعطاهم حُسناً وبهاءاً في وجوههم، وفرحا وابتهاجا في قلوبهم. خافوا من عبوس ذلك اليوم وضَنَكه، فسلموا وأمنوا، ثم غنموا النضرة والسرور، كما قال ﷻ: (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۞ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ**) [عبس:٣٨-٣٩].

(**وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۞ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۞ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا**): أي وأثابهم بسبب صبرهم في الدنيا على طاعة الله وأقداره

صفحة الموجز ١-٤-١

المؤلمة جنة عظيمة ولباسا من الحرير الفاخر، يجلسون في الجنة متكئين على الأسرة المزخرفة، في جو معتدل لا يصيبهم فيها حر شمس ولا شدة برد، تدنو منهم أشجارها تظللهم، وكذلك الثمار قد سهلت لهم وقربت غاية التقريب ليقطفوها على أي حال كانوا. **واختار** (الحرير) لنعومته وجماله، **والاتكاء** دليل على الترفه والراحة والأنس؛ جلسة مريحة على مكان مريح في جو مريح حوله الأغصان والثمار، ثم تأتيهم الخدمة:

(**وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۞ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا**): أي يدور عليهم الخدم بأواني الطعام الفضية، وبأكواب الشراب الشفافة كالزجاج ، لكنها مصنوعة من الفضة، قدرها هؤلاء الخدم بقدر حاجة أهل الجنة من الطعام والشراب لا تزيد ولا تنقص، فهي في حجمها وفي ملئها بقدر حاجتهم.

(**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۞ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا**): أي ويسقون في الجنة خمرا ممزوجة بالزنجبيل، من عين عظيمة في الجنة **اسمها**: (سلسبيل)، وهذا الاسم يدل على السلاسة والرقة والصفاء. وقد تكون هي العين المذكورة أول الآيات: (**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**)، وقد تكون غيرها، وقد تكون الخمر ممزوجة بالزنجبيل الطيب المذاق وبالكافور الطيب الرائحة، وقد يكون هذا تارة وهذا تارة للتنويع لهم.

(**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا**): أي ويدور عليهم لخدمتهم غلمان دائمون على شبابهم، إذا رأيتهم في الجنة منتشرون ظننتهم لجمالهم وصفائهم اللؤلؤ المنثور، فإذا كان هذا جمال الخدم فكيف بالمخدومين. **وعبَّر** بلفظ (الطواف) ليدل على التردد ذهاباً ومجيئاً في الخدمة. **وعبَّر** بلفظ: (**إِذَا رَأَيْتَهُمْ**) لشد انتباه المخاطب وكأنه في الجنة يشاهدهم.

(**وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا**): أي وإذا نظرت هناك في الجنة فإنك ترى نعيما لا يخطر على بالك، وملكا واسعا عظيما. وقد أخبر النبي ﷺ أن أدنى أهل الجنة منزلة من له قدر الدنيا وعشرة أمثالها [متفق عليه]، وأخبر عن شجرة في الجنة يسير راكب الجواد المضمر السريع مائة سنة ما يقطعها [متفق عليه]، وفيها خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا [متفق عليه].

واستخدم لفظ: (**وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ**) لينتقل بتفكير المخاطب إلى هناك وكأنه داخل الجنة، وليغرس اليقين في قلبه ليحرك همته للعمل للجنة، نسأل الله الكريم من فضله.

(**عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**): أي تكسوهم ثياب الحرير الرقيق الأخضر، وثياب الحرير السميكة، وتزين أيديهم أساور الفضة، وقد منَّ الله ﷻ عليهم بشراب نقي لا كدر فيه ولا ضرر يطهر بطونهم فيذهب ما فيها رشحاً كريح المسك. **وعبَّر** بلفظ: (**عَالِيَهُمْ**) للتفخيم لهم وللباس المقدم لهم، فهو لباس عالي يزيدهم علوا. وقد **سبق** أول الآيات ذكر الحرير: (**وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا**)، فجاء هنا يبين أوصافه، وأنه نوعان، يلبسون منهما ما شاءوا، أو أن باطنه السندس الرقيق وظاهره الإستبرق السميك. وجمال الثياب مع التحلي بالأساور يزيدهم جمالاً إلى جمالهم ونضرتهم، كما يلفت النظر إلى الفرق الكبير بين الأبرار الذين يحلون بأساور الفضة، وبين الكافرين الذين يقيدون بالسلاسل وتغل بها أيديهم في أعناقهم. **واختيار** اللون: (الأخضر) للدلالة على الخير والنماء والنعمة، وللتناسب البيئي، ولذا فإن طير الجنة خضر. **وختم** هنا بالشراب، كما بدأ به: (**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ**) ليكون الاستقبال والختام بالشراب. ولفظ: (**طهور**) أبلغ من لفظ: (طاهر)، فهو طاهر في نفسه مطهِّر لهم .

(**إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا**): أي يقال لهم في الجنة إن هذا الذي ترونه من النعيم العظيم كان جزاء لعملكم الصالح، أنتم تستأهلونه، وقد كان عملكم مرضيا مقبولا مضاعفا عند الله ﷻ. **ووصف** سعيه بأنه مشكور ليناسب وصف صاحبه في أول السورة بأنه شاكر لله ﷻ، فشكر بشكر: (**جَزَاء وِفَاقًا**) [النبأ:٢٦]. وفي هذه العبارة الجميلة إشعار لهم بأنهم أهل لهذا الثواب، فهو تكريم معنوي من الله ﷻ لهم بعد ما سبق من التكريم الحِسِّي لهم بالشراب والطعام واللباس والأرائك والخدم، كما قال ﷻ: (**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**) [الحاقة:٢٤].

صفحة الموجز ١-٤-١

أ) الفوائـد:

١. التَّفكُّر والتَّأمُّل في خلق الله ﷻ العجيب للإنسان؛ فقد كان عدماً فأوجده، أوجد أباه الأول من التراب، وخلق الأم الأولى من ضلع زوجها، قال ﷻ: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء)** [النساء:١]. ثم أوجد البنين من النطفة الممتزجة من ماء الرجل وماء المرأة، قال ﷻ: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)** [المؤمنون:١٢-١٤]. وهذا التفكر **يثمر** أمورا عظيمة، **منها**: إدراك عظمة الخالق ﷻ، وما يتبع ذلك من خشيته ومراقبته وعبادته وحده ﷻ، والأمر **الثاني**: إدراك فضله على الإنسان، وما يتبع ذلك من محبته والتقرب إليه وحده، وأمر **ثالث** مهم وهو إدراك ضعف الإنسان فلا يتكبر ولا يفتخر، بل يتواضع ولا يحتقر أحدا.

٢. الدنيا دار ابتلاء وعمل، فلا يخلد العبد إلى الراحة والكسل، ولا يغتر بالنعم. بل يجعل التوفيق للعمل الصالح هو المقياس لرضا الله ﷻ عنه، ويجعل النعيم زيادة تكليف عليه بالشكر لله ﷻ والقيام بحقه فيها؛ ولذا قال ﷻ: **(وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا ۞ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ)** [الجن:١٦-١٧]، وقال ﷻ: **(وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً)** [الأنبياء:٣٥].

٣. هداية الإرشاد تكون لجميع العباد، بخلاف هداية (التوفيق) فلا تكون إلا لمن شاء الله ﷻ له الاهتداء والصلاح؛ ولذا لم يستجب بعض الناس للهداية المذكورة في السورة، بل كان بعضهم كفورا لربه ﷻ: **(وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ)** [يونس:٩٩]، والله ﷻ أرسل موسى عليه السلام وهارون عليه السلام بالهداية إلى فرعون مع علمه ﷻ أنه لن يهتدي أبدا، قال تعالى: **(فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)** [طه:٤٤].

٤. الإنسان مختار، مسؤول عن اختياره، فالله ﷻ يُبين له الحق ويهديه السبيل الصحيح، ثم هو يختار طريقه؛ فإما أن يكون شاكرا وإما أن يكون كفورا، قال ﷻ: **(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ)** [التغابن:٢]، ذلك أن الله ﷻ هيَّأه سميعا بصيرا يعقل ويميز، ثم بين له الطريق الصحيح.

فلذا يعذره الله ﷻ عند فقدان العقل بالجنون، أو فقدان الاختيار بالإكراه، أو عند الجهل بالدين. وقد أنكر الله ﷻ على المشركين احتجاجهم بالقدر وخلطهم بين مشيئة الله ﷻ الكونية ومشيئته الشرعية، فقال ﷻ: **(وَقَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)** [الزخرف:٢٠].

٥. شِدَّة العذاب والإذلال للكفار في الآخرة؛ يُغلُّون، ويُسحبون، ويُحرقون، قال ﷻ: **(خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ)** [الحاقة:٣٠-٣٢]، وقال تعالى: **(يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ)** [القمر:٤٨].

٦. النار موجودة معدَّة من الآن، وقد أخبر الرسول ﷺ أنه رآها وبعض الأرواح التي تعذب فيها ليلة الإسراء والمعراج، وكذلك رآها وهو في صلاة الكسوف، وأخبر أن شِدَّة حر الصيف من نفس سمومها، وشِدَّة برد الشتاء من نفس زمهريرها، وأخبر أن القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وقد نص الله ﷻ في كتابه الكريم على تعذيب آل فرعون في النار وهم في قبورهم قبل يوم القيامة: **(النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)** [غافر:٤٦].

٧. علو منزلة الأبرار؛ ولذا مدحهم الله ﷻ في الآيات، وقد وصف الله ﷻ نفسه بالبِرِّ، ووصف ملائكته بالبررة، قال تعالى: **(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۞ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ .يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ۞ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۞ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۞ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ . خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)** [المطففين:١٨-٢٦].

٨. نيل درجة الأبرار يكون بتحقيق العبودية لله ﷻ بالتقرب إليه بالصدقات وغيرها، والوفاء بعهده، وخشيته والإخلاص له، والصبر على ذلك، كما وصفتهم الآيات، وقد قال ﷻ: **(لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ)** [آل عمران:٩٢]، وقال تعالى: **(لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُون)** [البقرة:١٧٧].

٩. سقوط التكاليف الشرعية في الآخرة، فهي دار جزاء لا دار عمل وابتلاء؛ ولذا ترى من أول نعيمهم الخمر، ولباسهم من الحرير، وأوانيهم من الفضة، ومن الذهب، وكذا أساورهم رجالا ونساءا، مع أنها كانت في الدنيا محرمة عليهم أو على ذكورهم. وكذلك سقوط حكم الحجاب، وحكم تعدد الزوجات المحدود، والغناء الذي هو من أعظم نعيمهم في الجنة، كما قال ابن القيم رحمه الله:

أو ما سمعت سماعهم فيها غناء الحور بالأصوات والألحان

نزه سماعك إن أردت سماع ذياك الغنا عن هذه الألحان

١٠. اختلاف قوانين الحياة الآخرة عن الحياة الدنيا؛ **فخمر** الجنة لا يُسكر، وليس يصنع بل ينبع عينا ويجري نهرا، **وأنهارها** تجري بأمر أهلها كيف شاؤوا بلا جداول ولا مضخات، والجنة **منيرة** بلا شمس، وكذا **ظل** أشجارها الوارف: (كظل العرش بلا شمس، وكسطوع النور من كف موسى عليه السلام). وأما **ثمارها** فتدنو بأمر أهلها لا تحتاج إلى هز ولا صعود، وأما **قواريرها** فشفافة لكنها من الفضة وليست كزجاج الدنيا مصنوع من الرمل، ويأتي حجمها وشرابها على قدر ما يريد الشارب تماما، وليس في **كافورها** ولا **زنجبيلها** شيء من أذى الكافور والزنجبيل في الدنيا. وأما **خدمها** فهم كأهلها شباب لا يهرمون ولا تتغير نضارتهم وجمالهم. وأما **شرابهم وطعامهم** فلا يتحول إلى قذر كما في الدنيا، بل هو طهور دائما فيتحول إلى رشح كريح المسك، نسأل الله الكريم من فضله.

١١. عظمة نعيم الجنة وتنوعه وسعادة أهلها قمة السعادة؛ **فالشراب** منوَّع بالكافور وبالزنجبيل وبالمسك، عيونا تتفجر وتجري معهم كيف شاؤوا، **واللباس** حرير جميل منوع بين رقيق وسميك، والوجوه جميلة مستنيرة، **والقلوب** مسرورة. أما **المجالس** فغاية الراحة والفخر، وصفاء العيش عن كل مكدر، ونسيان كل هموم الدنيا؛ فالجلسة على أريكة فاخرة، متكئين في جلستهم، في جو معتدل لا شمس ولا زمهرير، وحولهم الأشجار الجملية المثمرة، قد تدلت أغصانها تظللهم، ودنت ثمارها ليقطفوا منها ما شاؤوا وهم جلوس متكئون، وفي هذه الجلسة الجميلة الساحرة يأتي إليهم **خدمهم** بالخمر الممزوجة بالزنجبيل من العين الرقراقة المسماة: (سلسبيل) في أوانٍ عجيبة؛ لأنها قوارير من فضة، وذلك بمقدار حاجتهم بالتمام، وهؤلاء الخدم يزيدون الطعام حلاوة والمكان جمالا، فإنك حين تراهم تظنهم لؤلؤا منثورا-الله أكبر، إنه النعيم والملك الكبير، نسأل الله جل جلاله أن يجعلنا من أهله-.

١٢. فضل الوفاء بالنذر، وبذلك بدأ الله ﷻ وصف الأبرار في الآيات، قال ﷻ: **(وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ)** [الحج:٢٩]، وقال تعالى: **(وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللّهَ يَعْلَمُهُ)** [البقرة:٢٧٠]. والنذر معلوم في الشرائع السابقة، فقد ذكر الله ﷻ أن أم مريم عليها السلام نذرت مولودها لخدمة بيت العبادة: **(إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)** [آل عمران:٣٥]، وذكر الله ﷻ نذر مريم عليها السلام الصيام عن الكلام بأمر الله ﷻ لها، وكان ذلك في شرعهم: **(فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا)** [مريم:٢٦]. والنذر نوع من العهد والوعد، قال ﷻ: **(وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً)** [النحل:٩١]. ولام ﷻ المنافقين فقال: **(وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۞ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ)** [التوبة:٧٥-٧٧]، وقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)** [الصف:٢-٣]، وقد قال رسول الله ﷺ: (من نذر أن يُطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه) [رواه البخاري]. هذا بالنسبة للوفاء بالنذر، أما إنشاؤه فيكره لحديث: (نهى النبي ﷺ عن النذر وقال إنه لا يرد شيئا، وإنما يستخرج به من البخيل) [متفق عليه].فالأفضل أن يفعل العمل الصالح الذي يريده دون نذر وإلزام لنفسه .

١٣. فضل الإطعام والصدقات والإحسان للمساكين والأيتام وسائر المحتاجين، وبذلك وصف الله ﷻ الأبرار، وبين أن ذلك هو الوقاية من شر يوم القيامة. وقد أخبر ﷻ عن أسباب دخول النار في ذلك الحوار الأخروي في سورة المدثر، فقال ﷻ: **(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۞ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ)** [المدثر:٤٢-٤٤]، وسأل رجل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟، فقال له: (تُطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف) [متفق عليه].

١٤. فضل الإيثار وهو غاية الجود، بأن يقدم غيره على نفسه فيما يحتاجه ويحبه، وبهذا بلغ أصحاب الإيثار درجة الأبرار، قال ﷻ: **(لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ)** [آل عمران:٩٢]، ومدح الله ﷻ الأنصار بهذا الخُلق العالي، فقال تعالى: **(وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)** [الحشر:٩].

١٥. سماحة الإسلام في معاملة الكفار وحسن معاملته للأسرى، وبطلان ما يُتهم به الإسلام من الإرهاب الظالم؛ ولذا مدح الله ﷻ المؤمنين المؤمنين بأنهم يُطعمون الأسير من جيد طعامهم، ويقدمونه على أنفسهم رغم حاجتهم للطعام. ذكر ابن كثير- رحمه الله في البداية والنهاية- أن الرسول ﷺ قال لأصحابه عقب معركة بدر: (استوصوا بالأسرى خيرا)، وكان أبو عزيز بن عمير-أخو مصعب ﷺ- قبل إسلامه، أسيرا ببدر لدى بعض الصحابة ﷺ، يقول أبو عزيز: (فكانوا إذا قدموا طعاما خصوني بالخبز وأكلوا التمر، لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، حتى ما يقع في يد رجل منهم كسرة إلا نفحني بها، فأستحيي فأردها، فيردها علي ما يمسها) أ هـ. وقد شرع الإسلام الجِوار للكافر، والاستجارة به، وإنفاذ جواره على المسلمين تقديرا لمعروفه، كما قال الرسول ﷺ في أسرى بدر: (لو كان المطعم بن عدي حيَّاً ثم سألني هؤلاء النَّتنى لتركتهم له) [رواه البخاري]، والمطعم هو الذي أجار الرسول ﷺ من قريش بعد أن رجع من الطائف. **وقاعدة** الإسلام في معاملة الكفار واضحة: (**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**) [الممتحنة:٨-٩].

١٦. فضل الإخلاص لله ﷻ وإرادة ثوابه في الآخرة، والحذر من الرِّياء وطلب الممدحة أو إرادة الدنيا بالعمل الصالح؛ فقد مدح الله ﷻ الأبرار الذي يطعمون المحتاجين لا يريدون منهم جزاءا ولا شكورا، وإنما يريدون بذلك وجه الله ﷻ والدار الآخرة، قال ﷻ يثني على أبي بكر ﷺ وأمثاله: (**الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۞ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ۞ إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۞ وَلَسَوْفَ يَرْضَى**) [الليل:١٨-٢١]. والرياء أو إرادة الدنيا مبطل لثواب العمل، كما قال ﷻ: (**كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ**) [البقرة:٢٦٤].

١٧.إثبات صفة الوجه لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته: (**إنما نطعمكم لوجه الله**).

صفحة الموجز ١-٤-١

١٨. فضل الصبر، فقد جعله الله ﷻ السبب فيما أعطاهم من الجنة والحرير وأنواع النعيم. وهذا يشمل صبرهم على طاعة الله ﷻ، وصبرهم عن معصية الله ﷻ، وصبرهم على أقدار الله ﷻ المؤلمة، وقد قال الله ﷻ: (**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**) [الزمر:١٠]، وقال ﷺ: (ما أُعطي أحد عطاءا خيرا وأوسع من الصبر) [متفق عليه].

الآيات: (٢٣-٣١)

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾

أ) تمهيد:

بعد هذه الرحلة -الممتعة- مع الإنسان من لحظة وجوده، وانتقالاً به إلى دار خلوده، ينتقل الحديث مع الحبيب المصطفى ﷺ فيخاطبه ربه ﷻ خطاب المحب المواسي له على ما يلقى من المشركين من تكذيب ومن إغراء، فيدعوه للصبر والذِّكر، ويردُّ على خصومه المكذبين بالبعث.

ب) المعاني:

(**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلا**): أي هذا القرآن العظيم هو من عندنا لا شك فيه، أكرمناك وأنزلناه عليك محفوظا مفرقا لتبلغه للناس. ذكَّره بذلك ليزداد تصديقا بما فيه من أخبار أخروية وغيبية، وليزداد تمسكا بما فيه من إرشادات وأحكام، ويستمر في تبليغه ويصبر، ثقة بالله ﷻ الذي أنزله. **وضمائر** الجمع: (إنا/ نحن/ نزلنا) هنا للتعظيم.

(**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا**):أي فانتظر لوعده لك بالنصر على خصومك، ولا تطع منهم مرتكبا للفواحش ولا جاحداً لله ، فيما عرضوه عليك من الدنيا مقابل تركك دعوتك.

سمى وعده له بالنصر حكما إشارة إلى أنه مقدر ثابت. والإثم يتعلق بالسلوك والجوارح، والكفر يتعلق بالاعتقاد والقلب. **والكفور** صيغة مبالغة من كافر، **قيل** إن الآثم هو عتبة بن ربيعة، والكفور هو الوليد بن المغيرة، فقد عرضا على النبي ﷺ الزواج والمال على أن يترك دعوته، فقال عتبة: فأنا أزوجك ابنتي وأسوقها إليك من غير مهر، وقال الوليد: أنا أعطيك من المال حتى ترضى.

(**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلا**):أي داوم على ذكر الله ﷻ أول النهار وآخره. وهذا يشمل ذكره بالصلاة له: (**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**) [طه:١٤]، وخص هذين الوقتين لفضلهما، فالفجر استقبال اليوم، والعصر ختامه ووداعه، كما قال ﷻ: (**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**) [طه:١٣٠].

(**وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلا طَوِيلا**): أي وصل لربك ﷻ واذكره وقتا طويلا من الليل. فخص من أفعال الصلاة السجود ومن أقوالها التسبيح؛ لأنهما رمز التذلل والخضوع والخشوع لله ﷻ، ولذا يجمع بينهما المصلي في الركوع والسجود، ويقول الله ﷻ: (**إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**) [السجدة:١٥]. وقد بين الله ﷻ لنبيه ﷺ مقدار هذا الليل الطويل الذي أمره أن يقومه للصلاة: (**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ**) [المزمل:١-٤].

صفحة الموجز ١-٤-١

(**إِنَّ هَؤُلَاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْمًا ثَقِيلا**): أي إن هؤلاء المشركين يحبون الحياة الدنيا القصيرة، وينشغلون بها عن يوم القيامة العسير فلا يهتمون به ولا يستعدون له. فاهتماماتهم تافهة ونظرتهم قاصرة، بعكس طموحك واهتمامك با نبي الله، فلا تستغرب ما عرضوه عليك من الدنيا ولا تطعهم أبدا. **وسمى** الدنيا عاجلة تحقيرا لشأنها. **وعبر** بكلمة: (**وَرَاءهُمْ**) للدلالة على التناسي وعدم المبالاة. **ووصف** اليوم بالثقيل لما سيحدث فيه من عظائم وأهوال شديدة.

(**نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلا**): أي الله ﷻ هو الذي أوجدهم وابتدأ خلقهم، وقوَّى رباط أعضائهم بعضها ببعض، وجعلهم تحت سلطته وتحكمه التام كالمأسورين، وإذا شاء الله ﷻ إحياءهم بعد الموت أعادهم مثل ما كانوا من قبل تماما. ذكَّرهم بخلقهم وتقويتهم وبتمام السيطرة عليهم للدلالة على قدرته ﷻ على إعادتهم ومجازاتهم.

(**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا**): أي إن هذه الآيات العظيمة موعظة مؤثرة ، فمن أراد الخير فليسلك طريقا يوصله إلى رضا الله ﷻ ورحمته بالإيمان به وعبادته وحده . وهذا هو السبيل المذكور في أول السورة: (**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**)، وذِكر المشيئة هنا ليس للتخيير، وإنما لبيان أن الأمر متيسر لكل أحد، قال تعالى:(**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**) [القمر:٢١]، ووصف هذه الآيات بالتذكرة؛ لأنها تذكِّر الإنسان بأصل خلقه، وبخالقه، وبحقه عليه، وبمصيره بعد الموت.

(**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**): أي واعلموا أنكم لن تريدوا أمرا ولن تفعلوه إلا أن يكون الله ﷻ أراد ذلك لكم وأعانكم عليه، فإن الله ﷻ عليم بكل أحوال عباده وما سيقع لهم وكيف يصرف قلوبهم على مايريد، وهو ﷻ حكيم فيما يقدره وما ييسره لهم من خير أو شر. فهاتان الآيتان كقوله ﷻ: (**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۞ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۞ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**) [التكوير:٢٧-٢٩].

(**يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**): أي يدخل الله ﷻ من شاء هدايته في رحمته وجنته، وأما الظالمين الذين حرموا أنفسهم طريق الهداية فقد هيأ لهم عذابا مؤلما شديدا في الآخرة.

صفحة الموجز ١-٤-١

وكما بدأت السورة بالتذكير بالهداية، وانقسام الناس فيها بين مهتدٍ شاكر وبين معرضٍ كافر، وجزاء كل منهما، فقد ختمت السورة بمثل ذلك، لكنها ربطت اهتداء العبد بمشيئة الله ﷻ، وقدَّمت أهل الرحمة على أهل العذاب.

ج) الفوائد:

١. القرآن كلام منزل من الله ﷻ على نبيه ﷺ، سمعه جبريل عليه السلام من ربنا ﷻ فنقله إلى نبينا ﷺ، وليس في القرآن ولا غيره كلمة تدل على أن الله ﷻ خَلَق القرآن، كما يزعم بعض المبتدعة الذين يدعون أن القرآن مخلوق لينفوا عن الله ﷻ صفة الكلام، بحجة عدم المشابهة للخلق. وهذا ضلال عجيب، إذ لا يلزم من اتصاف شيء بصفة أن يماثله غيره في تلك الصفة، كما لا يلزم من نفي المشابهة بين اثنين عدم وجود صفة مجملة بينهما؛ ولذا قال ﷻ عن نفسه: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**) [الشورى:١١].

٢. إثبات صفة العلو لله ﷻ، لأن الله ﷻ قال: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلا**)، والتنزيل إنما يكون من الأعلى إلى الأسفل. فالله ﷻ العلي الأعلى بذاته كما هو الأعلى في صفاته، فليس فوقه شيء، ولا يحيط به شيء، بل هو فوق عباده محيط بكل شيء، قال ﷻ: (**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**) [فاطر:١٠]، وقال تعالى: (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**) [طه:٥].

٣. عظمة تنزيل القرآن الكريم؛ ولذا عبر بلفظ: (**نَزَّلْنَا**)، وكرره مبالغة: (**تَنزِيلًا**)، ونسب ذلك إلى نفسه مؤكدا: (**إِنَّا نَحْنُ**)، ومما يبين شأن هذا التنزيل العظيم أن الله ﷻ كلَّف به أقوى وأكرم وأعبد ملائكته:جبريل عليه السلام: (**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۞ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**) [التكوير:١٩-٢١]، وقد حمى الله ﷻ السماء بالحرس الشديد من الملائكة وبالشهب الحارقة للشياطين، وذلك حفظا للقرآن الكريم منذ ابتداء تنزيله. وحمى الله ﷻ نبيه ﷺ أن تلقي الشياطين في سمعه أو على لسانه أثناء تلقي القرآن أو تلاوته: (**وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۞ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۞ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ**) [الشعراء:٢١٠-٢١٢]، (**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**) [النجم:٣-٤]، وقال ﷻ: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) [الحجر:٩].

٤. ارتباط الداعية المسلم بالقرآن الكريم، فهو أعظم نعمة على البشرية، يحمل لهم أعظم هداية، ويسمعون فيه أعلى كلام، كلام ربهم ﷻ؛ ولذا ذكَّر الله ﷻ به نبيه ﷺ وبدأ به في معرض التسلية له وتصبيره، ويقول الله ﷻ له: **(وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً)** [الكهف:٢٧]، وقال ﷻ في الدعوة بالقرآن واستعمال حججه للرد على الكفار: **(فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً)** [الفرقان:٥٢]، فهو أقوى سلاح للداعية.

٥. الصبر سبب نجاح الداعية بإذن الله ﷻ؛ لذا أمر الله ﷻ به نبيه ﷺ، فيصبر الداعية على مشقة العمل والدعوة، وإعراض المعرضين وأذاهم، وعلى ما يقدِّره الله ﷻ عليه في طريق الدعوة من مصائب، يقول الله ﷻ: **(فَاصْبِر كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لهم)** [الأحقاف:٣٥]، وقال تعالى: **(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ)** [القلم:٤٨]. وكم لاقى رسول الله ﷺ من الأذى من قومه وسائر المشركين ومن اليهود والمنافقين، وكان ثابتا على مبادئه، حكيما في مواجهة خصومه، هدفه هدايتهم إلى الله ﷻ.

٦. نصر الله ﷻ للإسلام آتٍ لا محالة، ولكن قد يتأخر، ويقع الابتلاء لأهل الإسلام، ثم تكون لهم العاقبة؛ ولذا أوصى الله ﷻ نبيه ﷺ بانتظار هذا النصر الذي حكم الله ﷻ به حكما قدريا نافذا: **(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ)** [القلم:٤٨]، ويقول الله ﷻ: **(كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)** [المجادلة:٢١]، وقال تعالى: **(فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)** [هود:٤٩]. وبيْن الصبر والنصر علاقة لفظية وحكمية وتاريخية؛ فعن خباب بن الأرت ﷺ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟، ألا تدعو لنا؟، فقال ﷺ: (قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يُؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون) [رواه البخاري]. وهذا كان أول العهد المكي، فما هي إلا سنوات حتى دخل الإسلام بلاد اليمن وآمن أهلها وأمنوا، كما بشَّر بذلك النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

٧. من أخطر وسائل أعداء الإسلام الإغراء، وحرب الشهوات. كما فعل مشركو قريش مع النبي ﷺ، فنهاه الله ﷻ أن يطيعهم فقال تعالى: **(وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا)**، وأخبر الله ﷻ في سورة القلم أنهم مستعدون أن يبذلوا ما شاء مقابل أن يترك دعوته، فقال ﷻ: **(وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ)** [القلم:٩]. وكان موقف النبي ﷺ قاطعا لمحاولاتهم حين رد على عمه أبي طالب فقال ﷺ: (والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته). وقد كانت حرب الشهوة والإغراء أول حرب شنها إبليس أعاذنا الله ﷻ منه على أبوينا آدم وحواء عليهما السلام: **(فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ۞ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا)** [طه:١٢٠-١٢١]. فالحذر الحذر من إعطاء أي تنازلات في الدين مهما كان المقابل: **(وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى)** [القصص:٦٠].

٨. ذِكر الله ﷻ مصدر الطمأنينة والقوة للمسلم، وبخاصة في مواجهة مصاعب الدعوة إلى الله ﷻ؛ ولذا أرشد الله ﷻ إلى ذلك نبيه محمدا ﷺ، فكان ﷺ ذاكرا لله ﷻ في كل أحيانه، وبخاصة في الشدائد؛ ففي طريق هجرته كان يقرأ القرآن الكريم لا يلتفت، وفي ليلة معركة بدر كان قائما طوال الليل يصلي ويدعو. وحين أرسل الله ﷻ موسى عليه السلام وهارون عليه السلام إلى فرعون قال لموسى عليه السلام: **(اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي)** [طه:٤٢]، أي لا تفترا ولا تقصرا في ذكري. وكلما كان المؤمن أكثر ذكرا لله ﷻ كان أسبق وأنجح في أموره كلها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ: (سبق المفرِّدون)، قالوا: ما المفردون؟، قال ﷺ: (الذاكرون الله كثيرا والذاكرات) [رواه مسلم].

٩. المحافظة على أذكار الصباح والمساء، كما أمر الله ﷻ هنا وفي مواضع كثيرة من كتابه الكريم، قال ﷻ: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)** [الأحزاب:٤١-٤٢]، ذلك أن اختلاف الليل والنهار من آيات الله ﷻ الدالة على عظمته، وهما من رحمة الله ﷻ وفضله؛ إذ لم يجعل الليل علينا سرمدا إلى يوم القيامة لا ضياء نبصر به، ولا النهار سرمدا لا ليل نسكن فيه ونرتاح. وحتى يستقبل المؤمن يومه بذكر الله ﷻ فيبارك له فيه، ويختمه بذكر الله ﷻ فيغفر له ما قصر فيه.

١٠. الأذكار اليومية تقال في الصباح الباكر وفي آخر النهار: (**وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**)، ويقول تعالى: (**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**)، ليبدأ المسلم يومه بذكر الله ويختمه كذلك، وليتحصن بذكر الله ﷻ قبل دخول الليل وشروره .

١١. فضل صلاتي الفجر والعصر، فهما أعظم أذكار الصباح والمساء، قال ﷻ: (**حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ**) [البقرة:٢٣٨]، **قيل** إنها صلاة العصر، **وقيل** إنها الفجر. وكلا الوقتين أقسم الله ﷻ به، وأخبر الرسول ﷺ أنهما ملتقى الملائكة الموكلين بحضور الجماعة في صلوات الليل مع الموكلين بحضور صلوات النهار، وبشر النبي ﷺ من حافظ عليهما بالجنة وبالنجاة من النار وبالنظر إلى وجه الله ﷻ الكريم يوم القيامة.

١٢. فضل قيام الليل وأهميته في توثيق علاقة الداعية بربه ﷻ وتثبيت قلبه، فقد حث الله ﷻ نبيه ﷺ على ذلك من أول الرسالة، كما هنا، وكما في سورة المزمل وغيرها، قال ﷻ: (**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً**) [الإسراء:٧٩]، فكان يقوم الليل حتى تفطرت قدماه ﷺ، وكان يحث أصحابه ﷺ على قيام الليل، فيقول في حق عبد الله بن عمر ﷺ: (نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل)، يقول ابنه سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا [متفق عليه].

صفحة الواجب ١-٤-١

س١: اذكر من هدي النبي ﷺ ما يدل على فضل سورة الإنسان؟.

.....

س٢: ما معنى الكلمات التالية من سورة الإنسان: (لم يكن شيئا مذكورا- أمشاج- نبتليه- هديناه السبيل- أغلالا- من كأس- مزاجها كافورا- يفجرونها- مستطيرا- على حبه- يوما عبوسا- قمطريرا- نضرة- الأرائك- زمهريرا- قطوفها- كانت قواريرا- قدّروها-وإذا رأيت ثَم- سندس- إستبرق- فاصبر لحكم ربك- لاتطع منهم آثماً أو كفورا- بكرة وأصيلا- العاجلة- يوما ثقيلا-شددنا أسرهم- بدّلنا أمثالهم- تذكرة)؟.

.....

.....

.....

.....

س٣: اذكر الشاهد من السورة على ما يلي:

أ- حسن معاملة الأسرى في الإسلام: .....

ب- إثبات صفة الوجه لله ﷻ: .....

ج- إثبات صفة العلو الذاتي لله ﷻ: .....

د - الأذكار اليومية تكون أول النهار قبل طوع الشمس، وفي آخره قبل الغروب.

.....

س٤: اذكر خمسة أمور من أحوال الجنة تختلف فيها عن أحوال الدنيا ذكرتها السورة؟.

.....

س٥:ما حكم إنشاء النذر؟، وما حكم الوفاء به؟.

.....

س٦: كيف ترد على من يتهم الإسلام بالإرهاب؟.

.....

صفحة الموجز ١-٥-١

سورة المرسلات

أ. المقدمة:

هذه السورة الكريمة يدور محورها عن البعث وأحوال الآخرة، وقد وأوردت بعض دلائل القدرة الإلهية؛ وهو إهلاك بعض الأمم السابقة، وخلق الإنسان. ثم حددت مصير المجرمين، ووصفت عذاب الكافرين، ثم وصفت نعيم المؤمنين المتقين، ثم ختمت السورة بتوبيخ الكفار على بعض أعمالهم.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ يقرأ الطالب السورة بطريقة صحيحة، ليتم حفظها بعد ذلك.

١-٢ يعرف الطالب بعض الأحداث الهائلة يوم القيامة.

١-٣ تذكير الطالب بعظيم قدرة الله ﷻ في الكون والإنسان.

١-٤ يعرف الطالب شدة عذاب الآخرة وضخامة النار.

١-٥ يعرف الطالب عظمة نعيم الجنة.

ج. المواضيع بإيجاز:

(أ) تعريف بالسورة: فضلها، وموضوعها، ومناسبتها، وميزاتها.

(ب) معاني الآيات.

(ج) فوائد من الآيات.

صفحة الموجز ١-٥-١

سورة المرسلات

أ) فضلها:

هذه آخر سورة قرأ بها رسول الله ﷺ في آخر صلاة صلاها بأصحابه ﷺ قبل موته ﷺ؛ تقول أم الفضل ﷺ حين سمعت ابن عباس ﷺ يقرأ بسورة المرسلات: (يا بني لقد أذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب، ثم ما صلى لنا حتى قبضه الله) [رواه البخاري ومسلم].

ب) موضوعها:

إثبات وقوع اليوم الآخر، وما وراء ذلك من عذاب أو ثواب.

ج) مناسبتها:

بين هذه السورة وسورة الإنسان علاقة واضحة؛ من حيث الحديث عن الآخرة وما أعده الله ﷻ للمجرمين من عذاب وما أعده للمتقين من نعيم. لكن تضيف هذه السورة أحداثا في القيامة وأوصافا أخرى للنار، وتركز على مصير المكذبين، مقابل تركيز سورة الإنسان على ذكر نعيم الأبرار المتقين.

د) ميزاتها:

١. تكرر عبارة التهديد للمكذبين باليوم الآخر: (**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**) عشر مرات، لتنشئ بعد كل مقطع تهديدا جديدا لمن يكذب بهذا الكلام.

٢. حشد وسائل الإقناع، **مثل**: الأقسام والتأكيدات، والاستفهامات التقريرية، والتهديدات المتكررة. ثم تختم بعد هذا الإقناع الحاشد بهذا السؤال المتعجب: (**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**)!.

٣. أسلوب الخطاب والحوار هو أسلوب السورة، حتى وهي تذكر الأخبار المستقبلية في الآخرة وكأنها واقعة الآن: (**انطَلِقُوا**) (**كُلُوا وَاشْرَبُوا**).

صفحة الموجز ١-٥-١

الآيات: (١-٢٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝١٣ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝١٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ۝٢٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ۝٢٦ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ۝٢٧ ﴾

أ) المعاني:

(وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۞ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۞ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۞ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۞ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۞ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۞ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ): أي أقسم بالرياح المتتابعة الشديدة المدمرة، وبالملائكة التي تنشر السحاب والمطر لتحيي به الأرض، فتأتي بما يبين الحق من الباطل؛ فلذا تنزل بالوحي على الرسل، إعذارا من الله ﷻ للمكذبين لكي لا يحتجون عليه إذا عذبهم، أو إنذاراً لمن شاء الله ﷻ هدايته لعلهم يتقون. **أقسم** بذلك على أن ما توعدون به أيها الناس من البعث والحساب والجزاء واقع لا محالة.

صفحة الموجز ١-٥-١

وبعد أن أثبت الله ﷻ وقوع يوم القيامة جاء يصفه: (**فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۞ وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ ۞ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۞ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ**): أي فإذا النجوم انطفأ نورها، وإذا السماء انشقت، وإذا الجبال أُزيلت وسُيِّرت، وإذا الرسل أُحضرت في الوقت المحدد للفصل بينهم وبين أممهم، فحينئذٍ يرى المكذبون صدق ما كانوا يوعدون.

(**لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۞ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ**): أي أتدري أي يوم أُخِّرت له الرسل؟، إنه يوم الحكم بين العباد، ما أشد هوله لو تدري. **فالاستفهام** ونفي العلم هو للتهويل. **وسمى** يوم القيامة بيوم الفصل؛ لأن الله ﷻ يفصل في خصومات العباد والخلافات التي كانت بينهم في الدنيا: (**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**) [السجدة:٢٥]. وبعد أن عظَّم الله ﷻ شأن القيامة، جاء يهدد المكذبين من كفار مكة وغيرهم فيذكرهم بسوء مصير من قبلهم من المجرمين.

(**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**): أي هلاك وحسرة شديدة يوم القيامة للمكذبين بالآخرة.

(**أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۞ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ۞ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ**): أي ألم ندمر الكفرة الأقدمين (كقوم نوح وعاد وثمود)، ثم نلحق بهم الكفرة الآتين بعدهم: (كقوم لوط وأصحاب السبت وأصحاب الفيل)، مثل ذلك الإهلاك نفعل بمن كفر وظلم من كفار مكة وغيرهم. **واستخدم** الاستفهام بلفظ: (**أَلَمْ نُهْلِكِ**) إشارة إلى أن هذا التدمير مشاهد معلوم عند الكفار المخاطبين، كما قال الله ﷻ عن ديار قوم لوط: (**وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۞ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**) [الصافات:١٣٧-١٣٨]. **وفي** هذا المقطع تهديد لمن يكذب بالآخرة، واستدلال على صدق البعث بتدمير من كذب به من الأولين والآخرين. ثم استدل الله ﷻ أيضا على الآخرة وقدرته على البعث بخلقه للإنسان:

(**أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ ۞ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۞ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ**): أي ألم نخلقكم أيها المكذبون بالبعث من ماء ضعيف حقير وهو النطفة، فجعلنا هذا الماء في مكان حصين وهو الرحم، إلى وقت مقدر معروف، فقدرنا على تنفيذ ما قدّرناه من أطوار هذا الإنسان إلى أن يخرج حيا، فنعم القادرون نحن؟.

وبعد أن ذكر الله ﷻ المرحلة الجنينية للإنسان إلى ولادته، انتقل إلى ما بعد الولادة وهي مرحلة سكنه وعيشه على الأرض إلى موته؛ فهي ثلاث منازل للإنسان في الدنيا: الرحم، ثم البيت، ثم القبر، وسيذكر بعدها الانطلاق إلى المنزل الرابع في الآخرة، في ظلل النار أو في ظلال الجنة:

(**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۞ أَحْيَاء وَأَمْوَاتًا ۞ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتًا**): أي ألم نجعل هذه الأرض ضامة لكم بالسكن فيها حال حياتكم، وبالقبر فيها عندما تموتون، وجعلنا فيها جبالاً ثوابت عاليات تثبت لكم الأرض، وأسقيناكم ماءً عذبا سائغا ؟.

ب) الفوائـد:

١. الرياح من آيات الله ﷻ العظيمة؛ ولذا أقسم الله ﷻ بها في السورة لإثبات وقوع الآخرة، وكذلك أقسم بها في سورة الذاريات: (**وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً ۞ فَالْحَامِلَاتِ وِقْراً ۞ فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً ۞ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً ۞ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۞ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ**) [الذاريات:١-٦]، وقد جعل الله ﷻ الرياح لواقح للسحاب وللنبات، دافعات للسفن في البحر، ولكنها أيضا مهلكات مدمرات، أرسلها الله ﷻ على كفرة قوم عاد: (**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۞ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ**) [القمر:١٩-٢٠]، وكذلك أرسلها الله ﷻ على الكفار في غزوة الخندق فهزمتهم: (**إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً**) [الأحزاب:٩]، وسخر الله ﷻ الريح لسليمان ﷺ تحمله وتنقله مسافة شهر في نصف نهار: (**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ**) [سبأ:١٢]، وقال تعالى: (**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**) [الأنبياء:٨١].

٢. الله ﷻ يُقسم بما شاء من خلْقه، فأقسم هنا بالريح وبالملائكة، وقد أقسم في سورة القيامة بيوم القيامة، وبالنفس اللوامة، وفي سورة المدثر أقسم بالقرآن وبالليل وبالصبح، وأقسم في سورة القلم بالقلم وبالكتابة. وهذه **خصوصية** لرب الكون ﷻ، أما العباد فلا يقسمون إلا بربهم وحده، تحقيقا للتوحيد الذي أمرهم به، قال رسول الله ﷺ: (من حلف بغير الله فقد أشرك) [رواه أحمد بسند صحيح].

٣. من أعمال الملائكة؛ سَوق السحاب وتوزيع المطر على الأرض-حسب مراد الله ﷻ-، يقول ابن كثير رحمه الله: (ميكائيل موكل بالقطْر والنبات، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب ﷻ) أ هـ. وفي قصة عجيبة تدل على فضل الصدقة قال ﷺ: (بينما رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتا في سحابة: اسق حديقة فلان. فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرْجة من تلك الشِّراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله: ما اسمك؟، قال: فلان-للاسم الذي سمع في السحابة-،فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟، قال: إني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤوه يقول: اسق حديقة فلان-لاسمك-، فما تصنع فيها؟، قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثا وأرد فيها ثلثا) [رواه مسلم].

٤. من أحداث القيامة؛ انطفاء النجوم، وانشقاق السماء، وزوال الجبال، والقضاء بين العباد، واستشهاد الرسل على أقوامهم، قال تعالى: (**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۞ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ**) [التكوير:١-٣]، وقال ﷻ: (**وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۞ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا**) [النبأ:١٩-٢٠]، وقال ﷻ: (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) [الحج:١٧]، وقال ﷻ: (**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**) [الزمر:٦٩]، وقال ﷻ: (**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا**) [النساء:٤١].

٥. النظر في أحداث الأمم السابقة واللاحقة لأخذ العبرة والعظة، قال ﷻ: (**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**) [الأعراف:١٧٦)]، وقال ﷻ: (**قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**) [الأنعام:١١].

٦. خلْق الإنسان من آيات الله ﷻ العجيبة؛ سواء في **مادة** خلقه من ماء ضعيف حقير هو المني، أو في مكان نشأته وحفظه في قرار مكين هو الرحم. يبدأ خلق الإنسان من ماء قليل (نطفة) ينسل منها حيوان منوي ليلقح البويضة الأنثوية: (**مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ**) [السجدة:٨].

ثم تبدأ عملية التخليق من هذا المزيج المركب: (**أمشاج**)، حيث تتعلق بجدار الرحم وتنغرس فيه لتكون علقة، ويكون الرحم لها حرثا يغذيها، وهي في شكلها تشبه دودة الماء (العلقة)، ثم تكون كقطعة اللحم الممضوغة (مضغة) وهذه التضاريس التي تمتد بها تكوّن الأساس للهيكل العظمي الذي يكسى بعد ذلك بلحم العضلات، كما قال ﷻ: (**فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا**) [الأنبياء:١٤]. والجانب الثاني العجيب في هذا الجنين هو **مكانه** (الرحم) من جهة حصانته وقوته، ومن جهة راحة الجنين فيه واستقراره؛ حيث يقع الرحم في مركز الحوض محاطا بالعظام والعضلات القوية، وأما كون الرحم قرارا للجنين، فإن من المعلوم أن طبيعة الجسم أن يطرد أي جسم خارجي، لكن الله ﷻ هيأ الرحم لإيواء الجنين وحفظه وتغذيته تسعة أشهر، ومن ذلك سماكة المنطقة المحيطة بالجنين. فبالإضافة إلى جدار البطن وجدار الرحم، هناك المشيمة، داخلها السائل الأمينوسي الذي يجعل الجنين كالسابح فيقيه الضربات ويسهل تحركه، وبخاصة لحظة الانقلاب للولادة. أما المشيمة فهي المصفاة والوسيط بين الأم والجنين تغذيه عن طريق الحبل السري، والرحم يستجيب لنمو الجنين، حتى يتضاعف (٢٥٠٠) مرة –وأكثر عند التوائم–ويكون الطفل في وضع الجالس بعكس اتجاه الأم، ليحتمي المخاطر بظهره، فإذا ما حانت ساعة الولادة تنكس ليخرج من جهة رأسه. وهنا تأتي القدرة الآلهية العجيبة في ارتخاء عظام الحوض وتمدد عضلاته ليخرج الطفل المكتمل، ثم يعود الحوض ويعود الرحم كما كانا. وتبدأ قصة أخرى من القدرة الإلهية في دمج هذا المولود مع الحياة الجديدة والبيئة المختلفة تماما عن بيئة الرحم التي نشأ فيها، يتغذى من فمه، ويتنفس الهواء من رئتيه، يهضم طعامه ويصنعه داخل جسمه بعد أن كان يهضم ويصنع له من أمه، فسبحان الذي خلقه فقدره: (**فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ**).

٧. اجتناب الكِبر، بتذكر أصل التخليق، فإن كل بني آدم خلقوا من ماء مهين، قال تعالى: (**ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**) [غافر:٧٦]، وقال تعالى: (**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**) [لقمان:١٨]، وقال تعالى: (**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**) [الإسراء:٣٧]، وقال رسول الله ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) [رواه مسلم].

وقد أخبر الله ﷻ عن قصة خسفه بالمتكبر قارون، وأخبر الرسول ﷺ عن قصة شخص مختال معجب بنفسه خسف الله به، ودعا ﷺ على رجل يأكل بيساره تكبرا فشل الله يده [رواه مسلم].

٨. محبة الله ﷻ للمدح والثناء، فقد مدح نفسه، وحث على حمده وذكره: **(فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ)**، **(نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)** [الأنفال:٤٠]، **(هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ)** [المدثر:٥٦]، **(وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ)** [الإخلاص:٣]، وأعظم سورة هي الفاتحة كلها مدح لله ﷻ، وكذا سورة الإخلاص، وآية الكرسي.

٩. السكن من نعم الله ﷻ الكبيرة؛ ولذا امتن الله ﷻ به على الناس، فقال تعالى: **(وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ ۞ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ)** [النحل:٨٠-٨١].

١٠. القبر المنزل الثاني من الأرض، وهو من نعم الله ﷻ على العباد؛ ولذا عطفه الله ﷻ على نعمة المسكن، ومثله قوله ﷻ: **(ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۞ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ)** [عبس:٢٠-٢١]. ولا شك أن الدفن ستر للميت، وسلوة للحي، وقد ذكر الله ﷻ في سورة المائدة قصة الدفن الأولى في خبر قتل ابن آدم لأخيه. **وتفصيل** ذلك: أن آدم وحواء عليهما السلام كان يولد لهما في كل بطن ذكر وأنثى، فيتزوج ذكر كل بطن بأنثى البطن التالي، فحسد أحد أبناء آدم (قابيل) أخاه (هابيل) على نصيبه، حيث كانت أخته أجمل، وطلب منه أن يتنازل له فأبى، واختصما إلى أبيهما آدم عليه السلام، فأمرهما أن يذبحا قربانا، ليبين صاحب الحق منهما، فتقبل الله ﷻ من أحدهما (هابيل)، حيث أنزل الله ﷻ على قربانه نارا في الليل فأكلته، ولكن أخاه (قابيل) أصرَّ على رأيه وهدده بالقتل، فلما لم يستجب لطلبه قتله. ثم ندم أشد الندم، بعد فوات الأوان، فأخذ يتنقل بأخيه يحمله من مكان إلى مكان، حتى رأى موقفا بين غرابين قتل أحدهما الآخر ثم حفر له ودفنه، فقال: **(يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي)** [المائدة:٣١].

١١. عمارة القبر وإعداده بالعمل الصالح قبل النزول فيه،فإنه المنزل الثاني للإنسان في هذه الأرض، بل هو أطول وأخطر شأنا من البيت المعروف، وهو إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

صفحة الموجز ١-٥-١

١٢. الجبال آية ونعمة ربانية عظيمة؛ ولذا خصها الله ﷻ وقدم ذكرها بين المعالم الطبيعية في الأرض، قال ﷻ: **(وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ)** [النحل:١٥]، أي لئلا تضطرب الأرض بأهلها. وحث العبد على التفكر فيها فقال تعالى: **(وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ)** [الغاشية:١٩]، وقال تعالى: **(وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ)** [فاطر:٢٧].

١٣. الماء من أعظم النعم التي يجب شكرها لله ﷻ والمحافظة عليها؛ ولذا خصها الله ﷻ بالذكر من بين جميع الأرزاق التي هيأها الله للإنسان في الأرض، قال ﷻ مهددا ومذكرا بنعمة الماء: **(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ)** [الملك:٣٠]، ونهى الله ﷻ عن الإسراف والتبذير، قال ﷻ: **(وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)** [الأعراف:٣١]، وقد نهى النبي ﷺ عن الإسراف حتى في الوضوء والغسل، فكان يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع، ويقول ﷺ محذرا: (إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطَّهور وفي الدعاء) [رواه أحمد بسند صحيح].

الآيات: (٢٩-٥٠)

﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

صفحة الموجز ١-٥-١

أ) تمهيد:

بعد أن أقسم الله ﷻ على ثبوت يوم القيامة وعظَّم شأنه، ورد على مكذبيه، جاء إلى المكذبين وهم في عرصات القيامة يدعوهم إلى العذاب، ويلومهم على تكذيبهم بالبعث والجزاء: (**انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ**)، وفي مقابلهم يذكر الله ﷻ ثواب المتقين: (**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ**)، ثم عاد يخاطب المكذبين في الدنيا يهددهم ويلومهم: (**كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ**).

ب) المعاني:

(**انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞ انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۞ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ۞ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۞ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ**): أي يُقال للمكذبين يوم القيامة: أسرعوا إلى عذاب جهنم الذي كنتم تكذبون به في الدنيا، أسرعوا لتستظلوا بدخان جهنم المتفرع إلى ثلاث قطع؛ لا بارد في نفسه يظلكم من الحر، ولا يمنع عنكم لهب جهنم. إن جهنم التي ستدخلونها تقذف بشرر عظيم، كل شرارة منها كالبناء الضخم، وكأن هذا الشرر المتطاير فرقة من الإبل الصفر.

استخدم لفظ: (**انطَلِقُوا**) للدلالة على السير السريع جدا؛ ولذا يقال: (انطلقت الرصاصة)، ولأنهم كانوا موقوفين محبوسين على أرض المحشر للحساب. وقد جاء هذا المقطع مفاجأة لهم بعد الحديث عن السكن في الأرض والاستقرار فيها والتمتع بمائها العذب، فإذا ملائكة العذاب تبغتهم: (**انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ**). فالانطلاق **الأول** إلى النار، والانطلاق **الثاني** للهرب من حرها بالاستظلال بالظل الذي يظنونه ظل سحاب، فإذا هو دخان جهنم الأسود الخانق، وإذا شرر النار العظيم يلحقهم يتساقط عليهم. وقد جعل الله ﷻ الظل على ثلاث شعب زيادة في حيرتهم وحسرتهم كلما جاءوا إلى شعبة وجدوها كالأخرى لا ظل ولا سلامة، وهذا بعكس ظل أشجار الجنة الوارف المذكور في سورة الإنسان: (**لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۞ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا**) [الإنسان:١٣-١٤]. **واستخدم**: (الجِمال) في التشبيه لضخامة أجسامها وانتشارها في المرعى، **واختار** الإبل لشهرتها عند قريش والعرب، ولإحزان هؤلاء المعذبين فبعد أن كانوا أهل القصور والإبل الكثيرة العظيمة في الدنيا صاروا إلى النار وشررها المتطاير.

صفحة الموجز ١-٥-١

(**هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۞ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ**):أي هذا الوقت وقت صمتهم الكئيب لا يتكلمون بكلمة من تلقاء أنفسهم، ولا يأذن الله ﷻ لهم في الكلام فيعتذرون له عن كفرهم وقبيح أفعالهم إذ لا عذر لهم، وقد انقضى وقت الكلام والمعاذير وتم الفصل في أمرهم. وهذا الصمت إشارة إلى اليأس والإحباط النفسي والرعب الشديد الذي يملأ قلوبهم بعد أن أمر الله ﷻ بهم إلى النار فلا ينطقون بكلمة.

(**هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۞ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ**):أي يقال لهم: هذا اليوم الذي وعدناكم للفصل في أمركم أيها المكذبون من هذه الأمة، قد جمعناكم فيه مع المكذبين من الأمم السابقة، فإن كان لكم حيلة وقوة تتخلصون بها من عذابنا فأتوا بها وأنقذوا أنفسكم-فهيهات لكم-. وهذا أسلوب تحدي وتحزين لهم زيادة على ما ذكر الله ﷻ من قطعه لأعذارهم وعدم الإذن لهم في الكلام. والكيد المكر العظيم، كما في قصة إبراهيم عليه السلام: (**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ**) [الأنبياء:٥٧]، وفي قصة النسوة مع يوسف عليه السلام: (**إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**) [يوسف:٥٠] .

(**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۞ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**): أي أما المتوقون عذاب الله ﷻ؛ بفعل أوامره واجتناب نواهيه فهم يتنعمون في ظلال أشجار الجنة الوارفة، وعيون مياهها الجارية، وثمارها اللذيذة المنوعة كما يتمنون ويطلبون. يُقال لهم: كلوا واشربوا كيف شئتم بلا كدر ولا تنغيص جزاء ما كنتم تعملون من الصالحات في الدنيا، فهكذا يكون جزاؤنا لمن أحسن في عبادة الله ﷻ وأحسن لعباده. **ووصفهم** بالمتقين والمحسنين؛ لأنهم جمعوا بين اتقاء المحرمات وحسن أداء الطاعات. وحين ذكر في الآيات الماضية ظلال النار الملتهبة وشررها المتساقط على المكذبين ، قابلها هنا بظلال الجنة الوارف ومائها البارد وثمارها الدانية، وقابل أمره للمكذبين بالانطلاق إلى العذاب إهانة وزجرا لهم، بدعوته للمتقين إلى الأكل والشرب تكريما وإيناسا لهم. **وجمع** العيون والفواكه لكثرتها وتنوعها، **ونسب** ذلك إلى عملهم تكرما منه ﷻ .

(**كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ**): أي وأنتم أيها المكذبون بالآخرة كلوا من لذائذ الدنيا وتنعموا بها زمنا قصيرا،ثم ينقطع، فليس لكم في نعيم الآخرة نصيب، ولن نترككم لأنكم مكتسبون ذنبا عظيما (ومن ذلك ترك الصلاة كما سيأتي). فهذا خطاب تهديد لهم،كقوله ﷻ: (**ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**) [الحجر:٣]، وقال ﷻ: (**قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**) [الزمر:٨].

صفحة الموجز ١-٥-١

وذكر هذا الخطاب الموجه للمكذبين بعد خطاب للمتقين: (**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**)، وذلك إبرازا للفارق الكبير بين الحالين: (حال المحسنين وحال المجرمين) وبين الدارين دار الجنة ونعيمها الدائم، ودار الدنيا ومتاعها القليل الزائل.

(**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ**): أي وإذا نصح هؤلاء المكذبون بالآخرة وقال لهم المؤمنون: صلوا لله ﷻ واخضعوا له، أصروا على تكذيبهم وإعراضهم فأبوا أن يصلوا لله أبدا. **وعبر** عن الصلاة بالركوع للدلالة على الخضوع لله ﷻ، كما قال ﷻ: (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**) [المائدة:٥٥]، فدل على شدة جرمهم وتكذيبهم بترك أعظم أعمال الدين وهي الصلاة، رغم نصح الناصحين وإنكار المنكرين، فهم جمعوا بين المعصية وبين المجاهرة بها والعناد.

(**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**): أي إذا لم يستجب هؤلاء المجرمون ويرتدعوا رغم هذا البيان القرآني الواضح فبأي كلام بعد كلام الله ﷻ العظيم المعجز يصدقون ويعملون؟: (**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**) [الحشر:٩]. فهذا استفهام إنكار ولوم، يتضمن الحث لهم على المسارعة إلى الإيمان بالقرآن وبما أخبر به من البعث والحساب والجزاء. **وختم** السورة بذلك، كما بدأها بالقسم على صدق وقوع ما حدثهم به من أمور الآخرة: (**إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ**).

ج) الفوائد:

١. عظمة النار، حتى إن شررها كالقصر. ومما يبين عظمتها أنه يُجاء بها يوم القيامة ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها [رواه مسلم]، ويهوي فيها الكافر سبعين سنة حتى يبلغ قعرها، ورغم كثرة الكافرين من الإنس والجن فإنها محيطة بهم جميعا بل وتقول: (**هَلْ مِن مَّزِيدٍ**) [ق:٣٠]. ثم لك أن تتخيل حجمها إذا عرفت حجم الكافر في النار ليبلغ عذابها منه مبلغه: (إن ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع) [رواه مسلم]، (وإن غلظ جلده مسيرة ثلاث، وضرسه مثل جبل أُحُد) [رواه مسلم].

٢. من عذاب النار: ظلل الدخان، ولهب النار، والشرر المتطاير-أعاذنا الله منها-، قال ﷻ: (**لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ**) [الأعراف:٤١].

وقال ﷻ: **(وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۞ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۞ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۞ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ)** [الواقعة:٤١-٤٤]، واليحموم هو الدخان الأسود الحار.

٣. منع المكذبين من الاعتذار والكلام يوم القيامة عذاب نفسي شديد، وكذلك قطع أعذارهم بالحجة وفضحهم بالحقائق المشهودة حتى لا يجدوا ما يتكلمون ويعتذرون؛ ولذا قال الله ﷻ عنهم يوم القيامة: **(هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۞ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ)**، فسكوتهم من جهتهم حيث لا عذر لهم، ومن جهة الله ﷻ حيث لم يأذن لهم، قال ﷻ: **(وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ)** [النمل:٨٥]؛ أي قامت الحجة عليهم وتحقق عذابهم فلا عذر لهم فيعتذرون، ولا فائدة من الاعتذار حتى يتكلمون، كما قال ﷻ: **(فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ)** [الروم:٥٧]، أي ولا هم يسمع اعتذارهم واسترضاؤهم لله ﷻ. أما ما ذكره الله ﷻ عنهم من الاعتذار والكلام، فهذا في أول مواقف القيامة الطويلة كقولهم: **(وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)** [الأنعام:٢٣]، وقوله تعالى: **(وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ)** [الأنعام:٣٠]، ومن ذلك طلبهم الرجوع إلى الدنيا للتوبة والعمل، واختصام الأتباع مع المتبوعين في القيامة، فهذا كله في أول الأمر، وكذلك أول دخولهم النار فإنهم يقولون: **(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۞ قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)** [المؤمنون:١٠٧-١٠٨].

٤. سِعة أرض المحشر، حيث يجمع الله ﷻ العباد كلهم الأولين والآخرين على صعيد واحد: **(قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۞ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ)** [الواقعة:٤٩-٥٠]، بل وحتى البهائم والطير بوحوشها كما قال ﷻ: **(وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)** [الأنعام:٣٨]، وقال ﷻ: **(وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ)** [التكوير:٥]؛ ولذا تبدل الأرض غير الأرض فتمد مدَّ الأديم حتى تكون كالخبزة الملساء، قال ﷻ: **(وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ)** [الإنشقاق:٣]، وقال ﷻ: **(يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ)** [إبراهيم:٤٨].

٥. فضل التقوى والبُعد عمَّا حرَّم الله ﷻ خشية لله ﷻ، وقد أثنى الله ﷻ ووعد المتقين بأحسن الثواب، قال تعالى: (**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللّهُ الْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**) [النحل:٣٠-٣٢]. وكم هي الآيات والأحاديث في فضل المتقين كقوله ﷻ: (**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**) [الحجرات:١٣]. وبذلك بدأ الله ﷻ كتابه العزيز بعد فاتحته المباركة فقال تعالى: (**الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**) [البقرة:١-٢]، وكانت آخر آية نزلت على نبينا محمد ﷺ: (**وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**) [البقرة:٢٨١].

٦. إحسان العمل وإتقانه وليس مجرد أدائه فهذا هو ثمرة الخوف من الله ﷻ ومراقبته لئلا يكون في العمل عيب أو لا يبلغ رضا الله ﷻ العظيم؛ ولذا رد الله ﷻ سبب ثواب أهل الجنة إلى كونهم محسنين. وقد أمر الله ﷻ بإحسان العمل إلى حد التنافس فقال تعالى: (**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**) [الملك:٢]. وقد عد الرسول ﷺ الإحسان أعلى مراتب الدين فوق وصف الإسلام والإيمان، قال ﷺ: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، وبهذا المعنى للإحسان أتقن المحسنون العمل أيما إتقان.

٧. عظمة نعيم الجنة، عيون متعددة جارية، وفواكه منوعة من كل ما لذ وطاب، قال ﷻ: (**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**) [الحجر:٤٥]، وقال تعالى: (**فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ**) [الغاشية:١٢]، وقد سمى الله ﷻ من عيونها السلسبيل والتسنيم، قال تعالى: (**فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ**) [محمد:١٥]، وقال ﷻ: (**يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ**) [الدخان:٥٥].

٨. حقارة الدنيا؛ ولذا يمنحها الله ﷻ للمجرمين ويمتعهم فيها، وحتى قال ﷻ: (**قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا**) [مريم:٧٥]، وقال تعالى: (**وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۞ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ ۞ وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**) [الزخرف:٣٣-٣٥].

٩. كفر تارك الصلاة؛ ولذا وصف الله ﷻ هؤلاء المكذبين المحرومين بأنهم لا يركعون لله ﷻ، فلذا كانوا مجرمين ولم يكن لهم في الآخرة نصيب، كما قال ﷻ: **(وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ)** [الأحقاف:٢٠]، وأي تكبُّر أسوء من التكبُّر عن الركوع لله ﷻ؟، وأي فسق أشد من التمرد على أمره وفريضته العظيمة؟، يقول الرسول ﷺ: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) [رواه الترمذي والنسائي بسند صحيح].

١٠. الكفار محاسبون على فروع الشريعة كالصلاة والزكاة وحقوق العباد؛ ولذا أنكر الله ﷻ عليهم أنهم لا يركعون، مع أنهم كفار مكذبون بالآخرة لو صلوا لم تقبل صلاتهم، قال ﷻ: **(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)** [المائدة:٢٧]، وقال ﷻ: **(وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ)** [التوبة:٥٤]، ومما يؤكد على أنهم مؤاخذون بأفعالهم الفرعية؛ كالربا والتطفيف والزنا والقتل، أن الله ﷻ نسب هلاك كثير من الأمم الكافرة إلى بعض هذه الأفعال، كتطفيف قوم شعيب، وفاحشة قوم لوط، وجريمة قوم هود، قال الله ﷻ: **(فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۞ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۞ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا)** [الشمس:١٣-١٥]، وقال ﷻ: **(إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ)** [التوبة:٣٧]، والمراد **بالنسيء** تأخير حرمة القتال في الشهر الحرام، كمحرم مثلا، إلى شهر آخر ليقاتلوا في الشهر الحرام.

١١. القرآن الكريم أقوى حجة وأعظم واعظ لمن تدبره؛ ولذا استبعد الله ﷻ أن يتأثر المكذبون بأي كتاب ما دام هذا القرآن العظيم لم يؤثر فيهم، وهو الذي وصفه الله ﷻ بالفرقان، وبالهدى وبالتبيان، وقال عنه ﷻ :**(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)** [فصلت: ٤٢]، وقال ﷻ: **(وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا)** [النساء:٨٢]. ولقوة تأثير القرآن في سامعه المتجرد للحقيقة سماه أعداء الدين بالسحر وأبعدوا الناس عن سماعه، قال ﷻ: **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)** [فصلت:٢٦].

صفحة الواجب ١-٥-١

س١: ما هي آخر صلاة صلاها الرسول ﷺ بأصحابه رضي الله عنهم، وما هي السورة التي قرأها فيها؟.

.....

س٢:اذكر ميزتين لسورة المرسلات.

.....

س٣: ما معنى الكلمات التالية من سورة المرسلات: (**المرسلات- عرفا- الناشرات-فالفارقات- فالملقيات ذكرا عذراً أو نذرا- طمست- فرجت- الرسل أقتت- الفصل- الأولين- الآخرين-ماء مهين- قرار مكين- إلى قدر-كفاتاً أحياءا وأمواتا- رواسي شامخات- فراتا-لاظليل-ولايغني من اللهب- جمالة صفر- كيد- فبأي حديث بعده يؤمنون**)؟.

.....

.....

.....

س٤: اذكر أربعة أمور تقع يوم القيامة ذكرتها السورة.

.....

س٥: اذكر ثلاثة أمور عجيبة في خلق الإنسان ذكرتها السورة.

.....

س٦:كيف وصفت السورة النار-أعاذنا الله ﷻ منها-؟.

.....

س٧:كيف تجمع بين نفي النطق عن أهل النار، وبين إثبات الكلام لهم؟.

.....

س٨: اذكر الشاهد من السورة على ما يلي:

أ . الله ﷻ يقسم بالمخلوق:.....

ب . الله ﷻ يحب المدح: .....

ج . تارك الصلاة كافر: .....

انتهى المقرر

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المراجـع

١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير.

٢) تفسير أحكام القرآن، لابن العربي.

٣) تفسير القرآن الكريم، للبغوي

٤) تفسير فتح القدير، للشوكاني.

٥) تفسير أضواء البيان، للشنقيطي، تكملة تلميذه عطية محمد سالم.

٦) تفسير تيسير الكريم الرحمن، للسعدي.

٧) تفسير في ظلال القرآن، لسيد قطب.

٨) تفسير صفوة التفاسير، للصابوني.

٩) التفسير الميسر لمجمع المصحف الشريف.

الفهـرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المقدمة	١	سورة الإنسان	٦٥
سورة المزمل	٣	الآيات ١-٢٢	٦٧
الآيات ١٠.١	٤	الآيات ٢٣-٣١	٧٧
الآيات١١-١٩	١٠	سورة المرسلات	٨٥
الآية ٢٠	١٥	الآيات ١-٢٨	٨٧
سورة المدثر	٢١	الآيات ٢٩-٥٠	٩٣
الآيات ١-١٠	٢٣	المراجع	١٠١
الآيات١١-٣٠	٢٨	الفهرس	١٠٢
الآيات٣١-٣٧	٣٣		
الآيات٣٨-٥٦	٣٨		
سورة القيامة	٤٦		
الآيات ١-١٥	٤٨		
الآيات١٦-١٩	٥٤		
الآيات٢٠-٤٠	٥٨		